

الأمم المتحدة

في رسالة القرون الوسطى

من مؤلفات مؤلفي القرون الوسطى

الكتاب
في القرون الوسطى



الكتاب
في القرون الوسطى

الكتاب
في القرون الوسطى

الإمامية بالآلة

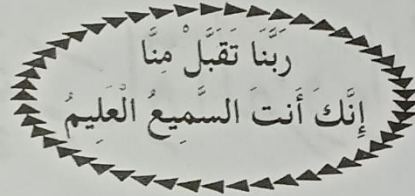
في حياة الفرد والأسرة والمجتمع
« المظاهر - الأسباب - الآثار - العلاجات »

تأليف أبي محمد
السيد محمد وسادة

دار الإمامية
للطباعة والنشر والتوزيع
بمسقط ٥٤٥٧٦٩

دار القسمة
لتنسيق الكتاب والتخطيط والتوزيع
بمسقط ٥٤٥٧٦٩ ت : ٥٢٢٠٠٢





محفوظ جميع الحقوق

رقم الإيداع

٢٠٠٧ / ١٨٦١٤

الترقيم الدولي

977-331-421-9

دار الأمان
للطباعة والنشر والتوزيع

١٩، ١٧ شارع خليل الحياط - مصطفى كامل - إسكندرية

تليفون فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail: dar_aleman@hotmail.com



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده وستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) [آل عمران/١٠٢]﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) [النساء/١]﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) [الأحزاب/٦٩-٧١]﴾

أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثاتها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد :

اعلم علمني الله وإياك : أن من المظاهر الحريّة بالدراسة و المعالجة تلك الظاهر التي عمت و سادت في المجتمع الإسلامي ،إنها ظاهرة :اللامبالاة التي نبتت و ترعرعت في وسط تبدل الأحاسيس و السلبية و غياب الوازع الديني لدى كثير من المسلمين ،فعظم خطرهما واستفحل ضررها ،حتى أصاب الأفراد و الأسر و المجتمعات ،بل الأمة كلها ،فكان لزاما و أجل مسمى أن يتصدى لها الدعاة قادة سفينة الحيا البشرية إلى ساحل الروضة الإيمانية ،ليقفوا على أسبابها و يبينوا خطرهما و لسان حالهم ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]

وحال قادة سفينة البشرية حال نوح ﷺ ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ [هود: ٤٢]

وها هي مظاهر اللامبالاة —أعني بعضها— و آثارها على الفرد و المجتمع بين يدي كل مسلم ومسلمة ، يرجو النجاة لنفسه و لأمته ، ويرجو لها العز و الانتصار على أعدائها أقدمها للدعاة خاصة لأنهم أطباء الأمة ، وهم حملة الرسالة و مشاعل الإيمان و الهدية ثم لكل مسلم ومسلمة غيور على دينه و على أمته ان يعمل بها ، و يدعو للقضاء على مظاهرها ، حالهم كما قال مؤمن آل فرعون ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٣٨-٤٠]

وقد اشتمل هذا السفر على الأبواب الآتية:

الباب الأول: اللامبالاة في ترك السنة وعدم العمل بها.

الباب الثاني: اللامبالاة بالكلمة وأثرها.

الباب الثالث: اللامبالاة بالذنوب والمعاصي.

الباب الرابع: اللامبالاة بالصلاة وأحكامها.

الباب الخامس: اللامبالاة بالموعظة.

الباب السادس: اللامبالاة بأكل الحرام

الباب السابع: اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد اشتمل كل باب على عدة فصول ذكرت فيها صوراً من اللامبالاة ثم آثارها ، ثم علاج تلك الصور ثم ذكرت صوراً مشرقة من حياة الصحابة والتابعين ومدى اعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله ، ثم ذكرت المراجع في نهاية البحث ثم وضعت فهرساً عاماً في نهاية الكتاب.

وأخيراً... فإنني قد بذلت غاية ما عندي من جهد في تتبع مظاهر اللامبالاة في المجتمع الذي أعيش فيه ، فالله سبحانه وتعالى — بعد ذلك وقبل ذلك هو المسؤول أن ينفع بها المسلمين والمسلمات في الدارين ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وما كان في ذلك السفر من صواب فمن الله العزيز الوهاب ، وما كان فيه من خطأ أو نقصان فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه براء.

وما ذاك مني بل من الله وحده بعفو وإمداد وفضل ونعم
 فإن أَلُ فيها مخطئاً أو مغالطاً فمن ذات نفسي كل خطئي وغلطتي
 أتوب إلى الرحمن من كل غلطة واستغفر الرحمن لي وإخوتي
 وأسأله جل اسمه بصفاته وأسمائه الحسني قبول رسالتي

تأليف

أبو همام / السيد مراد عبد العزيز سلامة

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

hamam4111@gmail.com

الباب الأول

اللامبالاة بترك السنة و عدم العمل بها

عَنِ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوْشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أُرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، " (١)

وفي رواية " أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ " (٢)

(١) «مسند أحمد» (٢٨ / ٤١١ ط الرسالة): «وأبو داود في "السنن" (٤٦٠٤) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠ / (٦٦٨) و (٦٧٠)»

(٢) «مسند أحمد» (٢٨ / ٤٢٩ ط الرسالة) «وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٦١/٨-٢٦٢ ، ومن طريقه ابن ماجه (١٢) و (٣١٩٣)»

مظاهر اللامبالاة بترك السنة و عدم العمل بها

اخي المسلم : من مظاهر اللامبالاة الخطيرة اللامبالاة بالسنة النبوية و عدم العمل بها و الناس فيها على قسمين :

القسم الأول : سمي نفسه القرآنيين

القسم الثاني : قسم أقر بها و لكنه لا يبالي بتركها .

فمن حين لآخر يظهر في المجتمع الإسلامي أناس حاقدون على هذا الدين وكثير منهم ينتمون اليه ، و لكنهم يجهلون حقيقته ، فيعمدون الى ترويج آرائهم الجائرة بالطعن في السنة النبوية ، والحال انها المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية قائلين : بكفيها كتاب الله ، نعمل بما جاء فيه ، بحجة أن السنة دونت بعد وفاة النبي ﷺ بزمن يسير ، وقد شابها و دخل فيها الكثير من الزيف مما حملهم على ان يتناولوا الكتب الصحاح كالبخاري ومسلم وغيرهما بالنقد و الهدم ، وغالبا ما تكون وراءهم أيدٍ خفية من أعداء الإسلام تحركهم ، وتدفعهم الى هذا الافتراء الذي يقصدون من وراءه التشكيك و البلبلة

ثم هدم الدين لبنة بعد لبنة ، حتى يتسنى لأولئك أن يشبعوا نهمهم و يشفوا غليلهم بالقضاء عليه ، و لكنهم لن يجدوا الى ذلك سبيلا ، وسيرد كيدهم الى نحورهم و هذا القسم هو الذي أشار اليه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد و الترمذي و ابن ماجه عَنْ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أُرَيْكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلَوْهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرَّمُوهُ، " (١)

(١) «مسند أحمد» (٢٨ / ٤١١ ط الرسالة): «وأبو داود في "السنن" (٤٦٠٤) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠ / (٦٦٨) و (٦٧٠)»

وفي رواية " أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ " (١)

و هذا عمران بن حصين رضي الله عنه - عندما دعا رجل الى الاكتفاء بكتاب الله - عز وجل - وترك سنة النبي ﷺ فقد سأله ذلك الرجل عن شيء فاجابه بحديث رسول الله ﷺ فقال ذلك الرجل ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ، أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَحَدَّثَهُ ، فَقَالَ الرَّجُلُ: حَدِّثُوا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا تُحَدِّثُوا عَنْ غَيْرِهِ ، فَقَالَ: «إِنَّكَ أَمْرٌ أَحْمَقُ ، أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنَّ صَلَاةَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا لَا يُجْهَرُ فِيهَا ، وَعَدَدَ الصَّلَوَاتِ وَعَدَدَ الزَّكَاةِ وَنَحْوَهَا ، ثُمَّ قَالَ: أَتَجِدُ هَذَا مُفَسَّرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْكَمَ ذَلِكَ وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ ذَلِكَ» (٢)

و في رواية: قال الحسن، قَالَ: بَيْنَمَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ، عَنْ سُنَّةِ ﷺ إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا نُجَيْدٍ، حَدِّثْنَا بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ عِمْرَانُ: «أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، أَكُنْتَ مُحَدِّثِي عَنِ الصَّلَاةِ وَمَا فِيهَا وَحُدُودِهَا؟ أَكُنْتَ مُحَدِّثِي عَنِ الزَّكَاةِ فِي الدَّهَبِ وَاللَّيْلِ وَالْبَقَرِ وَأَصْنَافِ الْمَالِ؟ وَلَكِنْ قَدْ شَهِدْتُ وَغَبْتَ أَنْتَ» ، ثُمَّ قَالَ: «فَرَضَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الزَّكَاةِ كَذَا وَكَذَا» وَقَالَ الرَّجُلُ: أَحْيَيْتَنِي أَحْيَاكَ اللَّهُ. قَالَ الْحَسَنُ: فَمَا مَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ حَتَّى صَارَ مِنْ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ» (٣)

عَنْ أَيُّوبَ، « أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ: لَا تُحَدِّثُونَا إِلَّا بِالْقُرْآنِ فَقَالَ لَهُ مُطَرِّفٌ: وَاللَّهِ مَا تُرِيدُ بِالْقُرْآنِ بَدَلًا وَلَكِنْ تُرِيدُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ مِنَّا » (٤)

أدلة حجة السنة النبوية

الى هؤلاء الذين لم يبالوا بسنة رسول الله ﷺ وجعلوها وراء ظهورهم ، واعوا انه لا حاجة لنا في تلك السنة ، و أنها من تأليف التابعين ، الى هؤلاء أدلة حجة سنة رسول الله ﷺ.

(١) «مسند أحمد» (٢٨ / ٤٢٩ ط الرسالة) «وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٦١/٨-٢٦٢ ، ومن طريقه ابن ماجه (١٢) و (٣١٩٣)»

(٢) «نهاية المراد من كلام خير العباد» (٢ / ١٩٣)

(٣) «المستدرك على الصحيحين للحاكم - ط العلمية» (١ / ١٩٢)

(٤) كتاب الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر. حديث أكاديمي، فيصل آباد، باكستان، ص ٥١

الدليل لأول: القرآن الكريم :

آيات القرآن الكريم فيما يتعلق بحجية السنة النبوية بينت أموراً:

(أ) وجوب الايمان و التصديق بكل ما يبلغه رسول الله ﷺ سواء كان بالقران او بغيره من أقواله وافعاله و تقريراته فمن ذلك يقول الله سبحانه و تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

(ب) أن رسول الله ﷺ مبينٌ للكتاب شارحٌ له شرحاً مقبولا عند الله تعالى مطابقاً لما حكم به على عباده فمن ذلك ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]

فالحكم كما قرر الشافعي رحمه الله هي السنة لان الله تعالى في هذه الاية وما ماثلها قد عطفها على القرآن الكريم و ذلك يقتضي المغايرة فهي ليست إياه ولا يصلح ان تكون شيئاً اخر -غير القرآن و السنة- لان الله قد من علينا بتعليمها و المن لا يكون الا بما هو صواب وحق عنده -جل شأنه- فتكون الحكمة هي السنة النبوية واجبة الاتباع كالقران الكريم لاسيما و قد قرنهما الله -جل شأنه- به

(ج) وجوب الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ فمن ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رُسُولِنَا الْبَلَاغِ الْمُبِينِ﴾ [المائدة: ٩٢]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]

(د) وجوب اتباع رسول الله ﷺ في جميع ما يصدر عنه و التأسى به و ان اتباع لازم لمحبة الله تعالى فمن ذلك ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] إذن علم مما سبق ان الدليل الأول على حجية السنة النبوية انما هو القرآن الكريم كما سبق بيانه .

١- وجوب الايمان و التصديق بكل ما يبلغه رسول الله ﷺ

٢- أن نبي الله ﷺ مبين للقران الكريم شارح له .

٣- وجوب الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ وجوب إتباع النبي ﷺ في جميع ما يصدر عنه

الدليل الثاني : تعذر العمل بالقران الكريم وحده :

من المعروف ان بعض نصوص القران الكريم مجملة و أخرى مشكلة ولا بد لفهمها و العمل بها من شرح و توضيح و تأويل و تفسير ،إما بصورة قولية او فعلية من ذات معصومة مؤيدة بالوحي و الأمثلة كثيرة منها :

في العبادات: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] يتساءل المكلف عن ماهية الصلاة التي اوجبها الله ؟ و ما كيفيتها ؟ وما وقتها؟ وما عددها؟ و على من تجب ؟ و كم مرة تجب ؟ و في أي وقت تجب ؟ وكم مرة تجب في العمر أو في اليوم ؟
و ما هي الزكاة ؟ وعلى من تجب ؟ وفي أي مال تجب ؟ وما مقدارها ؟ و ما هي شروط وجوبها ؟

و في الحج ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ما حكمه و ما هي كيفيته ؟ و كم مرة يجب ؟ وهل العمرة غير الحج ؟

و في المعاملات المالية : هل يقتصر التعامل المالي على البية و الرهن فقط ؟ وما مشروعية غيرهما اذن كالسلم -مثلا- ثم ما هو البيع الجائز شرعا ؟ وما شروطه ؟.....الخ .

و في نظام الاسرة (الأحوال الشخصية) ما هي الشروط التفصيلية لصحة عقد النكاح ؟ وما متى يقع الطلاق ؟ ومتى يحرم الرضاع ؟ و كيف يكف يكون الخلع ؟ وقس على ذلك الأطعمة والاشربة ، و الاعمال الطبية ؟ و الأيمان و النذور ، و الجهاد والحدود ؟

الدليل الثالث : تقرير الله تعالى لتمسك الصحابة بالسنة النبوية في حياته ﷺ

ما روي ان النبي ﷺ كان يصلي بأصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فعن عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَا هُوَ قَائِمٌ إِذْ وَضَعَ نَعْلَيْهِ عَلَى يَسَارِهِ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ ذَلِكَ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ، قَالَ: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إلقاءِ نِعَالِكُمْ؟» قَالُوا: رَأَيْنَاكَ أَلْقَيْتَ فَأَلْقَيْنَا.

قَالَ: «إِنَّ جَبْرِيلَ أَخْبَرَنِي، أَنَّ فِيهِمَا أَدَى، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِنْ كَانَ بِنَعْلَيْهِ أَدَى، فَلْيُمْسَحْهُ، وَلْيُصَلِّ فِيهِمَا»^(١)

وما روي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ رَجُلًا مَدَّاءً وَكَانَ عِنْدِي بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرْتُ رَجُلًا فَسَأَلَهُ عَنِ الْمَذْيِ فَقَالَ: إِذَا رَأَيْتَهُ فَتَوَضَّأْ وَاغْسِلْهُ»^(٢)

الدليل الرابع -السنة

و منها خبر عَنْ الْمُقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرَبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، أَلَا يَوْشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلُوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ

^(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٠ و ٩٢ رقم ١١١٥٣ و ١١٨٧٧)، وأبو داود (٦٥٠)، وغيرهما

^(٢) أخرجه البخاري (١٣٢) و (٢٦٩)، ومسلم (٣٠٣)، والترمذي (١١٤)

السَّبَّاحُ، وَلَا لُقْطَةً مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَعْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ
(١)»

الدليل الخامس: أن السنة نوعان :

وحي ، وما هو بمنزلة الوحي ، فأما ما كان وحيًا فهو ما صدر عنه ﷺ لتبليغ الأحكام
عن الله تعالى ، كأقواله و أفعاله ﷺ و اما ما كان بمنزلة الوحي فهو ما صدر عنه ﷺ غير
قاصد به تبليغ أحكام عن الله تعالى و قد اقره الله تعالى فيكون بمنزلة الوحي كتقريره ﷺ
مثلا و النوعان يدل عليهما قول الله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ
يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]

الدليل السادس - الاجماع:

و يتضح هذا في ان أئمة المجتهدين سلفا و خلفا قد تمسكوا بالسنة النبوية محتجين با
عاملين بمقتضاها و مما قالوه "اذا صح الحديث فهو مذهبي ، و اضربوا بقولي عرض
الحائض"

فحجية السنة النبوية قد انقعد اجماعهم و اتفقت كلمتهم عليها وتواطأت أفئدتهم و لم
يختلفوا في ذلك من حيث الجمبة "(٢)

و اعلم علمني الله و اياك - ان القرآن مع السنة ثلاثة أوجه كما أوضح العلامة ابن
القيم في كتابه (أعلام الموقعين) يقول : " والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه؛

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه؛ فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم
الواحد من باب توارد الأدلة وتظاferها.

بمعنى ان القرآن يامر بالتوحيد و الصلاة و الصيام و الزكاة و الحج فتاتي السن هي
الأخرى لتؤكد على هذه الأركان فيقول النبي ﷺ كما في حديث ابنِ عمرَ، عَنِ النَّبِيِّ

(١) «مسند أحمد» (٢٨ / ٤١١ ط الرسالة): «وأبو داود في "السنن" (٤٦٠٤) ، والطبراني في "الكبير" ٢٠ / (٦٦٨) و (٦٧٠)»

(٢) السنة النبوية / د- احمد كريمة (ص ٨/١٥) بتصرف يسير

ﷺ قَالَ: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ " (١)

الثاني: أن تكون بيانا و تفسيرا لما أريد في القرآن على سبيل الاجمال.

فالله سبحانه و تعالى - امر في القرآن بالصلاة و امر في القرآن بالصيام و لكن كيف نصلي وما أوقات الصلاة و ما عددها وما أركانها و ما واجباتها و ما مبطلاتها كل ذلك ليس في القرآن الكريم و انما يوضح هذا كله فياتي صاحب السنة ليقول «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي» (٢)

وهكذا باقي العبادات

الثالث: أن تكون السنة موجبة لحكم سكت القرآن عن إيجابه أو محرمه لما سكت عن تحريمه، وهذا من اخطر أوجه السنة مع القرآن» (٣)

بيان فرض الله في كتابه اتباع سنة نبيه ﷺ

وهيا لنقف مع الإمام الشافعي - رحمه الله - هو يوضح لنا تلك الحقيقة في كتابه أصل الأصول ألا وهو (الرسالة) يقول - رحمه الله تعالى - وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه الموضع الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله علماً لدينه بما افترض من طاعته وحرّم من معصيته وأبان من فضيلته بما قرّن من الإيمان برسوله مع الإيمان به فقال تبارك و تعالى: (فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ) (النساء: ١٧١)

وقال (إنما المؤمنین الذین آمنوا باللّهِ ورسوله وإذا كانوا معه على أمرٍ جامعٍ لم یذهبوا حتّی یستأذّنوه). (النور: ٦٢)

(١) أخرجه مسلم (١٦) (٢١) ، والأجري في "الشریعة" ص ١٠٦ ، وابن منده في "الإيمان" (٤١) و (١٤٩)

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠) و (٦٣١) و (٦٥٨) و (٦٨٥) و (٨١٩)

(٣) مجلة التوحيد عدد ربيع الآخر (١٤٢٠) (ص ٥٧)

فجعل كما ابتداء الإيمان الذي ما سواه تَبَعَ له الإيمان بالله برسوله، فلو آمن عبد به ولم يؤمن برسوله لم يقع عليه اسم كمال الإيمان أبداً حتى يؤمن برسوله معه، وهكذا سن رسوله في كل من امتحنه للإيمان

أخبرنا مالك عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عُمَر بن الحَكَم قال " أَتَيْتُ رسول الله بجزارية فقلت يا رسول عليّ رَقَبَةٌ أَفَاعَتْقُهَا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ أَيْنَ اللَّهُ فَقَالَتْ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ وَمَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ فَأَعَتْقُهَا»^(١)

قال الشافعي " وهو معاوية بن الحكم " وكذلك رواه غيرُ مالك وأظن مالك لم يحفظ اسمه

قال الشافعي ففرض الله على الناس اتباع وحيه وسنن رسوله

فقال في كتابه (ربنا ابعث فيهم رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). (البقرة: ١٢٩)

وقال جل ثناؤه (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) (البقرة: ١٥١)

وقال (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ). (آل عمران: ١٦٤)

وقال جل ثناؤه (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ). (الجمعة: ٢)

وقال (وَادْكُرُوا اللَّهَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ). (البقرة: ٢٣١)

^(١) ورواه مسلم ١ : ١٥١ وأبو داود ١ : ٣٤٩ - ٣٥١ والنسائي ١ : ١٧٩ - ١٨٠

وقال (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا). (النساء: ١١٣)

وقال (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا). (الأحزاب: ٣٤)

فذكر الله الكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة فسمعت مَنْ أَرْضَى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْقُرْآنِ يقول الحكمة سنة رسول الله وهذا يشبه ما قال والله أعلم

لأن القرآن ذكر وأُتِيتْ الحكمة وذكر الله منه على خَلْقِهِ بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يجز الله والله أعلم أن يقال الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله ، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله وأن الله افترض طاعة رسوله وحثم على الناس اتباع أمره فلا يجوز أن يقال لقوله فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله لِمَا وصفنا من أن الله جَعَلَ الْإِيمَانَ برسوله مقرونا بالايان به^(١)

علماء الأمة يردون على منكري السنة

إلى هؤلاء الذين لم يبالوا بسنة رسول الله ﷺ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا، إلى هؤلاء الذين باعوا دينهم من أجل عرض من الدنيا حقير إلى هؤلاء العابثين الذين لم يقرؤوا كتاب الله تعالى و لم يفهموا آياته و أحكامه إلى هؤلاء جميعا ذلك الرد المفحم من علماء الأمة الإسلامية و هم يظهرور عور هؤلاء الجاحدين

و قد نشر هذا الرد في مجلة التوحيد عدد ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ (٤٠ / ٤٧) وإليك نصه:

الذي حَفِظَ الْقُرْآنَ هُوَ الَّذِي حَفِظَ السُّنَّةَ:

ويعلق فضيلة الأستاذ الدكتور/ نصر فريد واصل مفتي جمهورية مصر العربية الأسبق، قائلاً: إِنَّهُ لَا يَصِحُّ إِلَّا الصَّحِيحُ، ودائماً نحن نُدافع عن الإسلام، وتبين أن السنة هي الوحي الثابت الذي لا غنى عنه في بيان القرآن، وفي فهمه، وفي تفسيره للناس، وفي

(١) الرسالة (ص ٢٥-٢٦)

تطبيقه في كل زمان، وفي كل مكان؛ لأنَّ السُّنة هي القرآن غير المتلَّو، فالقرآن هو كتاب الله الخالد الذي تعبَّدنا الله بتلاوته وقراءته، والذي لا تبديل فيه ولا تغيير، أما السُّنة فهي الوحي غير المتلَّو التي جاءت متممةً ومكملةً لكل ما جاء به القرآن الكريم.

نُوضِّح للجُهلاء بالحكمة والموعظة الحسنة:

ويواصل الدكتور واصل، مفتي الجمهورية حديثه قائلاً: إنَّ قضية إنكار السُّنة لا تقلق المسلمين بحال؛ لأنَّ الله - سبحانه وتعالى - تولى حفظها، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، والذِّكر هو القرآن الكريم، والسُّنة هي مكملة للقرآن الكريم، فالذي حَفِظَ القرآن هو الذي حفظ السُّنة، وهو الذي حقَّق لها التدوين وحقَّق لها هذا الحفظ في هذه الكتب التي أصبحت كالقرآن الكريم في التراث الذي تحتويه هذه السُّنة، وما يأتي من أقوال بين الحين والآخر؛ هذا أمرٌ كَمَنْ يُنْكِرُ طُلُوع الشَّمْس وهي ساطعة، فإنَّ الأعمى إذا أنكَرَ طُلُوع الشَّمْس وهي طالعة، فماذا يضرُّها؟ فهذا لا يضر السُّنة، ولا يضر الإسلام، والله الحمد، فنحن نوضح الأمور للجُهلاء والمعاندين والمشكِّكين، ونردُّ عليهم كيدهم، نوضح ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة؛ حتَّى لا يَضِلَّ الجُهلاء والعامة، والَّذين لا يعرفون هذه الحقيقة، ولكن هناك بين هذا وذاك مَنْ يَشْتَبِه عليهم الأمرُ في بعض الأمور، أو قد يكون ذلك من باب الحرص على أمرٍ ما في نظره، من خلال الحرص على الشريعة والدِّفاع عنها، ولكن بفهم غير شرعي، فهو إن كان حسن النية فنقول: إنَّك أخطأت الاجتهاد؛ لأنَّ ذلك يتعارض تعارضاً كاملاً مع ما هو مقطوع به في الكتاب والسُّنة، وإن كان غير ذلك فأمره إلى الله - سبحانه وتعالى - ولكن لنا الظاهر.

يفعلون كما فعلت الدابة بصاحبها:

ويشدُّ فضيلة المفتي - في كلماته إلى العابثين بأمر السُّنة - قائلاً: إنَّني أقول لهؤلاء: إنَّكم عندما تُنْكِرُونَ السُّنة في أمرٍ معيَّن وتدعون إلى الحرص على الإسلام والدَّعوة إلى الإسلام، والتمسُّك بالإسلام من خلال دفع مفهومٍ معيَّن، هو تمسُّك غير العاملين، وغير المؤمنين أو العصاة بهذه الشِّفاعة والكسالى الذين لا يَعْمَلُونَ، هذا الفهم - بإطلاقه

هكذا - غير مستقيم في النظام الإسلامي، ونقول لمثل هؤلاء: إنهم يفعلون كما تفعل الدابة التي قتلت صاحبها لحِرْصها عليه، فإنها عندما جاءت هذه الدابة التي وقعت، وجاءت بحجر كبير وألقته؛ لتدفع هذه الدابة، فقد قتلت صاحبها، ولذلك نحن نقول لمثل هؤلاء: على رسلكم، وأرجعوا الأمور إلى نصابها، واذهبوا إلى المتخصصين في الفقه الإسلامي وفي الشريعة الإسلامية، وإلى علماء الحديث لتعلموا ما تجهلون، وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، فنحن إذا ذهبنا إلى من يداوي المرض فلا نذهب إلا إلى الطبيب، وكذلك كل متخصص له اختصاصه، والعقل يأمرنا بذلك، فلماذا نغفل القاعدة مع أمور الدين، وتبعتها في أمور الدنيا؟! نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ذود كل الشبهات التي تدور حول كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ.

فما أشبه اليوم بالبارحة!

يقول فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف، وكيل الأزهر:

إن تعرض السنة النبوية، أو تعرض مصادر التشريع للإنكار، ومحاولة النيل منها ليست جديدة، فقد ألفنا ذلك منذ أزمان بعيدة، والحمد لله الإسلام فيه رجال يستطيعون أن يفتدوا هذه المزاعم بالحجة والبرهان، فهذه الحملة الشرسة على الإسلام أو على السنة ما هي إلا مؤامرة تحاك أطرافها من عدة جهات، تريد القضاء على الإسلام؛ باعتبار أنهم يستفيدون من تشتت المسلمين، ومن التفرقة بينهم.

فالهجوم على السنة ليس هجوماً جديداً، وإنما هو امتداد لمعارك قديمة، قامت بين الحق والباطل، فالحمد لله؛ عندنا من الحجج والأدلة ما يدحض أقوال هؤلاء؛ لأنهم في الواقع لا يقصدون هدم السنة في حد ذاتها، وإنما يقصدون هدم الإسلام، فهم يدخلون إلى السنة أولاً باعتبار أنها مدخل، ثم بعد ذلك سينتقلون إلى القرآن، وحاشا لله أن يصلوا إلى أهدافهم، فإن شاء الله ويعون الله تعالى نحن قادرون على تفنيد ما يدعون، وسوف ينتصر الإسلام، وينتصر القرآن والسنة على هؤلاء العابثين.

والغريب أنك لو نظرت إلى أطراف هذه المؤامرة في كل قطر في الشرق والغرب، وفي كل بلد إسلامي، تجد أن هناك خيوطاً تدل على التواصل بين هؤلاء المتآمرين.

وفي النهاية سينتصر الإسلام - بإذن الله تعالى - ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، ولن ينال هؤلاء إلا أن يردّ كيدهم في نحْرهم - بإذن الله تعالى.

المهجوم على السنة من الحمقى والجهلاء:

ويقول الدكتور/ عبدالرشيد سالم، وكيل أول وزارة الأوقاف لشؤون الدعوة: إن الذين يهاجمون السنة قومٌ جهلاء، لا يعرفون السنة، فالله - سبحانه وتعالى - عندما أرسل سيدنا محمدًا - صلى الله عليه وسلم - وأنزل عليه القرآن، واختاره من بين خلقه، أمره بالتبليغ، وأن يعلم الناس أمور دينهم، وأن يربي وأن يوجه الدنيا كلها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]؛ إذا فكلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونوْمه وحركائه وسكناته، ومشيه في الطريق، وجلوسه مع الناس وخروجه، وحروبه وسلّمه وتوجيهاته، كل ذلك سنة، فمن يستطيع مهاجمتها إلا إذا كان أحقّ وجاهلاً لا يعرف السنة.

وأضاف الدكتور/ عبدالرشيد سالم قائلاً: إننا إذا نظرنا إلى السنة، سنجد أنها تنقسم إلى: سنة عمليّة، وسنة تطبيقية، وسنة قولية، وهناك الصحيح الذي أصبح عليه إجماع من الأمة، لا يستطيع أحد أن يتكلّم فيها، لا بالحق ولا بالباطل، فكيف يمكن التشكيك فيما استقرّ في وجدان الناس، وفي وجدان الأمة على مدى أربعة عشر قرناً من الزمان، وأصبح معترفاً به من اثنين وثلاثين جيلاً؛ منهم مئات الآلاف من العلماء والعلماء نقلوها إلى الآخرين، وأصبحت شيئاً ثابتاً في وجدان الناس، وفي وجدان الأمة؟ فإن ذلك له يقينه بالدراسات التي قال عنها علماء الغرب: إن أعظم ما تمّ دراسته وحفظه، والعناية به في تاريخ البشرية كلها هو سنة رسول الله ﷺ.

وأكد د. عبد الرشيد على أنه يجب على الجهلاء الذين لا يعرفون السنة ألا يتكلّموا فيها، وأنه ليس هناك شيء في الكون كله تمّت دراسته كأحاديث الرسول صلى الله

عليه وسلّم من حيث الجرحُ والتّعديل، والرّجالُ، والسّند، والتّواترُ، والتصحيح،
والرّفُض... إلخ.

يريدون أن يُسيئوا إلى الإسلام:

ويؤكّد الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوشي، العميد الأسبق لكلّيّة الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، والرئيس الأسبق للمركز الإسلاميّ بلندن، والأستاذ بجامعة الأزهر - في ردّه على ما تتعرّض له السّنة الآن من هجوم شرّس من أعداء الإسلام - على أن ما يحدث الآن ليس بجديد، وإنّما هي حملةٌ مُمتدّة على ألسنة الخارجين على القيّم منذ البداية حتّى اليوم، والسّنة قد حفظها الله، وما دام الله قد حفظها فلن تنال منها هذه الأشياء التي يقول بها الذين ليس لهم ضميرٌ ديني، ولا ثقافة دينيّة واعية، وقد كتبت عدّة مقالاتٍ حول هذا الموضوع؛ حول السّنة كمصدرٍ ثانٍ للتّشريع، فإذا أنكرت السّنة فكيف تصلّي، وكيف تزكّي، وكيف تحجّ... كل هذا أخذناه من السّنة، فالذين ينكرون السّنة إنّما ينكرون أمراً هاماً من أمور الدّين، وإنّما يريدون أن يُيليلوا أفكار المسلمين، أو يُسيئوا إلى الإسلام كدين، أو أنّهم - كما أرى ويرى الكثيرون - عملاء لجهاتٍ مُختلفة، وعلينا أن نفتح أعيننا لهؤلاء، وأن نقف لهم بالمرصاد، وأن ننبّه النّاس إلى ما يكتبونه ويذيعونه من أشياء لا أصل لها ولا حقيقة؛ حتّى لا يقع النّاس في فخاخهم، وبخاصّة الشّباب الذين ليس عندهم الرّصيد الكافي من الثّقافة الإسلاميّة، والذين ينحدّعون بشيءٍ يُقال هنا وهناك.

كيف ينكرون السّنة؟!

وعلامات الاستفهام تبدو واضحةً على وجهه وهو يقول: كيف ينكرون السّنة، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، ويقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]؟ فالذي يُنكر السّنة إنّما ينكر ما قاله القرآن، وهذه قضية مطروحة منذ البداية، حتّى إنّ النبي - ﷺ - نبّه إلى هذا وقال: ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يؤشك رجلٌ شعبانٌ على أريكته يقول:

عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلالٍ فأحلُّوه، وما وجدتم فيه من حرامٍ فحرِّموا)).

فهذا أمر واقع واضح على أن هؤلاء الذين يُنادون بهذه الأشياء إنما ينادون بأشياء مشبوهة تُلقِي ظلالاً من الشك على عقائدهم، وعلى سلوكهم وعلى أخلاقهم، ونحذّر الناس منهم، وعُلمائنا - رحمهم الله - قد وضعوا قواعد لا حدَّ لها لحماية السُّنة، فهناك كتبٌ تُبين الصحيح من الحسن، من الضعيف، وهناك كتبٌ تتحدّث عن الرجال والسند والجرح والتعديل، وقواعد لم تُعرف الأُمم لها مثيلاً إلا في الأمة الإسلامية؛ لأنّها حرصت على نقاء تراث نبيّها ﷺ وهؤلاء ندعو الله أن يهديهم.

هؤلاء المارقون يَكِيدون للإسلام:

يقول الدكتور/ طه خضير، رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين بالقاهرة، وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: إنَّ هؤلاء الذين يَعْتَدون على حديثٍ واحد من أحاديث السُّنة مارقون، قد أخبر عنهم رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - بأنَّهم يَمْرُقون من الدِّين كما يَمْرُق السَّهم من القوس، فجرَّأَتْهم ليست بمجديدة، لكنَّه الكيد للإسلام، فالكيد للإسلام يَبْدُو في ألوانٍ متعدِّدة ومختلفة؛ فالبعض يُنكر السُّنة، والبعض يتحدّث عن توزيع أعمال الحجِّ، بِمعنى أنّه ليس هناك يومٌ عرفةٍ معيَّن، بل ينتقل من شهرٍ لآخر، والبعض الآخر يتحدّث عن إنكار الشِّفاعة، وكلُّ هذه افتراءات على الإسلام.

ويؤكد الدكتور/ طه خضير على أن الإسلام له رجالٌ كثيرون يُؤدُّون رسالتهم على خير وجه، ولكننا كثيراً ما نجد من حينٍ لآخر من يتطاول - عن جهلٍ وحماسة - على هذا الدِّين، ولذلك فإنني هنا أطلب بتشكيل لجنةٍ عُليا مكوَّنة من كبار العلماء، تكون مهمَّتها مناقشة من يدَّعي هذا، وإنزال العقاب إذا كان هذا ما يدَّعيه من باب الافتراء على الإسلام؛ لأنَّه لا يجب أن يكون هناك نَجَارٌ يتحدّث في الطُّب، أو داعيةٌ يتحدّث في الهندسة، فكلُّ مهنة لها خواصُّها، والإسلام له اختصاص، وله علماء متخصصون في دراسة الدِّين من كلِّ نواحيه.

أطالب بوجود رقابة عليا:

ويواصل الدكتور/ طه خضير حديثه قائلاً: إنّ الذي أريده أن تكون هناك رقابة عليا، هذه الرقابة تقف بكلّ إنسان عند حده ممن يفترون على الإسلام، وتناقشه وتُنزل به العقاب إذا كان مخطئاً، حتّى يكون في هذا الردّ لغيره ممّن يأتون بعده، أمّا أن تكون المسألة مسألة أخذ وردّ ونقاش، فكلّ هذا يُخشى مردوده على العوامّ الذين لا يهتمون بالردّ والأخذ، وإنّما تكون هناك زلزلة لبعض عقائد العوام، ولذلك أردتُ أن توجد الرقابة التي تقف بهؤلاء عند حدّ مُعيّن.

إثبات الروايات هو قمة الجهد البشري:

وفي استنكارٍ لما يحدث من هجومٍ على السّنة النبوية؛ يقول الأستاذ الدكتور/ إسماعيل الدفتار، الأستاذ بكلية أصول الدّين جامعة الأزهر الشريف: إنّ موضوع إنكار السّنة النبوية ليس بجديد! وإذا كنّا نقول: ليس بجديد، فمعناه أنّه أثّر قديماً، وحدثت ردودٌ عليه، وكلّما أوقظت الفتنة من أشخاص، تجد من يئدها في مهدها، ولا تجد مجالاً بين النّاس؛ لأنّ هذا الإنكار وهذا الادّعاء؛ إنّما يقوم على أساس الوهم، وفي غالب الأحيان يكون الجهلُ لما بدّله علماؤنا الأوّلون من جهودٍ سبباً لذلك، ويكفي أن يعلم النّاس جميعاً أنّ الجهد الذي بدّله علماء الحديث النبويّ الشريف لا يُدانيه جهدٌ للعلماء في أيّ مجالٍ من المجالات، وبخاصّة في مجال البحث التّاريخي، وهذا باعترافٍ من كانوا على غير الإسلام، ودرّسوا الإسلام فهّدهم الله إليه، مثل الأستاذ محمد أسد - عليه رحمة الله - فقد قرّر في كتابه: "الإسلام على مفترق الطّرق" ما يتّصل بموضوع السّنة والردّ على المخالفين في كلماتٍ وجيزة، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى الأستاذ الدكتور/ أسد رستم، وهو أستاذ تاريخ لبناني، وهو غير مُسلم، كان يدرس في الجامعة اللبنانيّة، ومات على غير الإسلام، فامتدّت به الحياة أكثر من تسعين عاماً، وقرّر في كتاب له اسمه: "مصطلح التاريخ" أنّ ما قام به علماء الحديث وما قام به علماء علوم القرآن في إثبات الروايات هو قمة الجهد البشري.

فَبَعْدَ هذه الشهادات - وهي شهاداتٌ متخصصة - لا يَبْقَى هناك مَجَالٌ لِمَنْ لم يقرأ عن هذه الجهود، أو يعلم نفسه بدراسة هذه الجهود.

مُنْكَرُ السُّنَّةِ جُهْلَاءُ:

وواصلَ الأستاذ الدكتور إسماعيل الدفتار حديثه، قائلاً: إِنِّي أَسْتَطِيعُ أن أقول بكلِّ يقينٍ وبكلِّ تأكيدٍ: إِنَّ هؤلاء الذين يتكلمون في مجال إنكار السُّنَّةِ النبويَّة؛ إمَّا مغرضون، وحسابهم على الله - عزَّ وجلَّ - وإمَّا جاهلون، وأوَّلَى بهم أن يتعلَّموا، أو يَسْأَلُوا إن لم يَعْلَمُوا.

لا يستقيم للقرآن فهمٌ إلا بالسُّنَّةِ:

يقول فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين الرئيس العام لجماعة أنصار السُّنَّة ورئيس لجنة الفتوى بالمركز العام: إن ربَّ العِزَّة - سبحانه وتعالى - لم يُنْزِلْ إلى الناس كتاباً؛ ليأمرهم أن يَعْمَلُوا بما فيه دون بيان، إمَّا اصطفى نبياً اختاره وأدَّبه، وأنزل على هذا النبيِّ كتاباً، وأمره أن يعمل بما فيه، وأمرنا أن نعمل بالكتاب على مقتضى عمل النبيِّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - فبهذا المفهوم يصبح القرآن والسُّنَّة واحدًا، مَنْ هَدَمَ أحدهما فقد هَدَمَ الآخر، فلا يمكن أبداً أن يستقيم للقرآن فهمٌ إلا بالسُّنَّة، وإلا فالأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، لا يُعْمَلُ بالقرآن إلا بإثبات السُّنَّة والعمل بها، والقرآن الكريم يأمر بطاعة الرُّسُول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم ويصبح أمرُ القرآن الكريم بطاعة الرُّسُول صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمرٌ همل غير ذي بال، ولا يصبح أمرًا نافذًا إذا لم يكن هناك سُنَّة نعمل بها، وربُّ العِزَّة سبحانه يقول: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، فتصبح طاعة الرُّسُول ﷺ بهذا المعنى وبهذا النصُّ لا مفهوم لها.

فالكلام على إنكار السُّنَّة تعطيلٌ للدِّين كله، وهدمٌ للقرآن نفسه، والذين يظنون أنَّهم عندما يَطْعَنُونَ في السُّنَّة إمَّا يرفعون من شأن القرآن، هؤلاء واهمون، فلا يَطْعَنُ في السُّنَّة إلا خبيث، أو جاهلٌ إن أحسنَّا الظنَّ به.

وهذه بعض التساؤلات حول آيات القرآن التي بيَّنتها السُّنَّة المطهَّرة:

يقول سبحانه: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١]، فالكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، فإن لم تثبت السنة فكيف يكون الإسلام الدين الخاتم حجة الله على خلقه، وهو أيضاً في قوله تعالى يَصِفُ فِيهِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢]، والواو في العطف تقتضي المغايرة، فمن لم يطع الله أو لم يطع الرسول فهو كافر، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة سنته، وكذلك القول في الآية: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، فردّه إلى الله يعني إلى كتابه، وإلى الرسول يعني إلى سنته، وقوله: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢].

السنة بيان للقرآن

هذا ولا بد من السنة للبيان وإلا فأين في كتاب الله حل السمك في أكله ولو مات قبل ذبحه؟

مع أن الآية في الميتة عامة ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣]

فأين استثناء ما كان في البحر؟

القران الكريم أمر بإقامة الصلاة فأين بيانها من القران أنها خمس صلوات في اليوم و الليلة ، ووقت كل صلاة ، وأن الصبح ركعتان ، و المغرب ثلاث ركعات و بقيتها أربع

ركعات ، و أين وصف الركعة أن في ركعة سجودين و أن الركوع بين قيامين وبين أن
الوضوء ينتقض بالأحداث الناقضة و غير ذلك!

و كذلك جاء القرآن بالأمر بالصلاة و الزكاة مقترنين و حدد وقت زكاة الزرع ﴿وَأَتُوا
حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] ولم يحدد بقية أنواع الزكاة فهل كلما صلينا زكينا ؟
و أين النصاب من الخارج منها؟

وكذلك في الصوم أين تحريم الصوم على الحائض و امرها بقضاء الصوم دون الصلاة ؟
وما تحديد الليل في قوله ﴿ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]
و كيف يفهم ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] بغير السن
الموضحة لذلك ؟!

وأما الحج: فكيف نفهم ان السعي بين الصفا و المروة ركن مع قوله ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ
يَطُوفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]

و في المواريث كيف نفهم قوله : ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ
فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء:
١٢]

و يقول - سبحانه وتعالى - ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ
وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا
الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ
تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦] فأين لنا أن الأولى في الإخوة لأم و
الثانية لأب أو الإخوة الأشقاء إلا من السنة؟^(١)

^(١) (مجلة التوحيد) عدد ربيع الآخر ١٤٢٠ (ص ٤٠-٤٧)

فهذا هو رد العلماء المعاصرين على من انكر السنة و لم يبال بها ، فهي لنقف مع الأفاذ الذين سخرهم الله لحماية الشريعة من التابعين و هم يردون على من لم يبال بالسنة و يوضحون عورهم

أخرج البيهقي عن أيوب السخيتاني أنه قال إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا حسبنا القرآن فاعلم أنه ضال

وقال الأوزاعي: وكان يحيى يقول: «السنة قاضية على القرآن، وليس القرآن بقاض على السنة»^(١)

و المعنى أن السنة جاءت لبيان ما أجهل من الكتاب أو تقيده ما أطلقه أو أحكام لم تذكر في الكتاب كما في قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]

وأخرج البيهقي عن الشعبي: (إنما هلكتم حين تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس)^(٢)

القسم الثاني من مظاهر اللامبالاة بترك السنة

(أ) قسم أقر بها ولكنه تهاون بشأنها

^(١) الإبانة الكبرى - ابن بطّة (١/ ٢٥٤)

^(٢) «حقيقة البدعة وأحكامها» (٢/ ٨٤)

وهذا القسم من الناس إما جاهل بفضل السنة وفضل الاقتداء برسول الله ﷺ فيحتاج إلى تعليم وإرشاد لما في السنة من فوائد، وإما متكبر و معاند مع الإقرار بها، فإن ذلك الصنف يحتاج إلى ترهيب و تخويف و بيان لسوء العاقبة

وهيا لنقف مع القسم الأول الذي يجهل الاتباع ويجهل كنهه وفضله وثوابه ومكانة النوافل في الإسلام لنكشف له عن ثواب السن والعمل بها وما يعود عليه من منافع

أولا فضل اتباع النبي ﷺ والاقتداء به:

اعلم علمني الله وإياك: يا من لا تبالي بترك السنن وهجرت سنة رسولك ﷺ أنك لن تنال الخير في الدنيا ولا في الآخرة إلا بتباع النبي ﷺ

يقول سبحانه و تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]

قال محمد بن علي الترمذي: الأسوة في الرسول الاقتداء به، والاتباع لسنته، وترك مخالفته في قول وفعل»^(١)

وقال سهل في قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} (الفاتحة: ٧)
قال: بمتابعة السنة، فأمرهم تعالى بذلك، ووعدهم الاهتداء باتباعه، لأن الله تعالى أرسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ووعدهم محبته تعالى في الآية الأخرى ومغفرته إذا اتبعوه، وآثروه على أهوائهم، وما تجنح إليه نفوسهم، وأن صحة إيمانهم بانقيادهم له، ورضاهم بحكمه، وترك الاعتراض عليه^(٢)

أن الاقتداء و اتباعه ومحبته ﷺ سبب من أسباب محبة الله تعالى

^(١) «موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية» (٧/ ١٣٤)

^(٢) «موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية» (٧/ ١٣٤)

عن الحسن رحمه الله أنه قال: "إن أقواما قالوا: يا رسول الله، إنا نحب الله، فأنزل الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران: ٣١]"

أن الاقتداء به ﷺ و الاعتصام بسنته سبب من أسباب الهدية الى الصراط المستقيم :

يقول - سبحانه و تعالى - ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] فطرق الهداية كلها مسدودة إلا طريق من اقتفى اثره ﷺ

و اعلم أن الله علق الفلاح و جعله مقصورا على من اتبع ﷺ قال الله - سبحانه - ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

الجزء العظيم من أحيا سنة النبي ﷺ و اعتصم بها :

فالاعتصام بالسنة يعدل الشهادة في سبيل الله مائة مرة عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد»^(١)

عَنْ أُسَيْبٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحْيَانِي وَمَنْ أَحْيَانِي فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ)^(٢)

قال ﷺ: (من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني)^(٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ، فَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ " ^(٤)

^(١) قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٣٣٤) رقم (٣٢٧): (ضعيف). وأخرجه ابن عدي في الكامل. في ترجمة الحسن بن قتيبة (٢/ ٣٢٧)، وابن بشران في الأمالي (ص ٢١٨) رقم (٥٠٣) من حديث ابن عباس بلفظ: "من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مئة شهيد"، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٣٣٣) رقم (٣٢٦): (هذا سند ضعيف جداً)

^(٢) أخرجه الترمذی (٤٦/٥، رقم ٢٦٧٨) (ضعيف) انظر حديث رقم ٦٣٨٩ في ضعيف الجامع

^(٣) ورواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٤٠٩)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه لأحمد، ثم قال: ورجاله رجال الصحيح. (٣/ ١٩٦)

^(٤) أخرجه أبو داود (٣/ ١١٩، رقم ٢٨٨٥)، وابن ماجه (١/ ٢١١، رقم ٥٤)، والحاكم (٤/ ٣٦٩، رقم ٧٩٤٩) (ضعيف) انظر حديث رقم: ٣٨٧١ في ضعيف الجامع

فصل:

فيما ورد عن السلف والأئمة في اتباع سنته والافتداء بهديه وسيرته ﷺ

قال مالك، عن ابن شهاب، عن رجلٍ من آل خالد بن أسيد، أنه سأل عبد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف، وصلاة الحضر في القرآن، ولنا نجد صلاة السفر؟ فقال عبد الله ابن عمر: يابن أخي، إن الله بعث إلينا محمداً صلى الله عليه وسلم ولنا نعلم شيئاً، فإنما نفعل كما رأينا يفعل^(١)

قال عمر بن عبد العزيز: «سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله من عمل بها مهتدياً بها هدى ومن استنصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى»^(٢)

قال الحسن: عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة^(٣)

عن ابن شهاب قال: بلغنا عن رجال من أهل العلم أنهم كانوا يقولون:
«الاعتصام بالسنة نجاة»

و كتب عمر -رضي الله عنه - إلى عماله بتعلم السنة و الفرائض واللعن - أي اللغة فقال: «إن ناساً يجادلونكم بشيبه القرآن، فخذوهم بالسنة، فإن أصحاب السنة أعلم بكتاب الله تعالى»

و في خبره حين صلى في ذي الحليفة ركعتين فقال «اصنع كما رأيت رسول الله ﷺ يفعل»

عن مروان بن الحكم قال: شهدت علياً وعثمان بين مكة والمدينة وعثمان ينهى عن المتعة ولم يجمع بينهما، فلما رأى ذلك على أهل بهما فقال: لبيك بعمره وحج معاً.

^(١) "الموطأ" ١/١٥١. ومن طريق مالك أخرجه الشافعي ١/٦٦، ومسلم (٧٠٠) (٣٧)، والنسائي ١/٢٤٤ و ٦١/٢، وأبو عوانة ٢/٣٤٣

^(٢) رواه الآجري في الشريعة ص ٤٨، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٣٤) ١/٩٤، وابن بطة في الإبانة رقم (٢٣٠-٢٣١) ١/٣٥٢

^(٣) -«جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٢٠٤)

فقال عثمان: ترانى أنهى الناس وأنت تفعله؟ فقال على: لم أكن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقول أحد من الناس»^(١)

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صَلَاةُ السَّفَرِ رَكَعَتَانِ، وَصَلَاةُ اللَّيْلِ رَكَعَتَانِ، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ رَكَعَتَانِ»^(٢)

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَبْدٍ عَلَى السَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ذَكَرَ اللَّهَ فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ أَبَدًا، وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَبْدٍ عَلَى السَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ ذَكَرَ اللَّهَ فِي نَفْسِهِ فَاقْشَعَرَ جِلْدُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ إِلَّا كَانَ مَثْلَهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ قَدْ يَسَّ وَرَقُهَا فَهِيَ كَذَلِكَ إِذَا أَصَابَتْهَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ، كَمَا تَحَاتَّ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنْ اقْتَصَادًا فِي سَبِيلِ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلِ وَسُنَّةٍ، فَانْظُرُوا أَنْ يَكُونَ عَمَلُكُمْ إِنْ كَانَ اجْتِهَادًا أَوْ اقْتَصَادًا أَنْ يَكُونَ عَلَى مِنْهَاجِ الْأَنْبِيَاءِ وَسُنَّتِهِمْ»^(٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُرَجَسٍ، قَالَ: رَأَيْتُ الْأَصْلَعَ عُمَرَ قَبْلَ الْحَجَرِ وَقَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُقْبِلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»^(٤)

قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: مِنْ أَمْرِ السُّنَّةِ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفَعْلًا نطق بالحكمة، وَمِنْ أَمْرِ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ نطق بالبدعة لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}^(٥)

وقال سهل بن عبد الله التستري: «أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنبى - ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال»^(٦)

^(١) أخرجه الطيالسي (١٦/١، رقم ٩٥)، وأحمد (١٣٥/١، رقم ١١٣٩)، والبخاري (٥٦٧/٢، رقم ١٤٨٨)

^(٢) أخرجه الطيالسي (٤٨) و (١٣٦)، وعبد الرزاق (٤٢٧٨)، والنسائي ٣ / ١٨٣، والطحاوي ١ / ٤٢١

^(٣) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥٤/١، رقم ١٠)

^(٤) صحيح، أخرجه مسلم (١٢٧٠)، وأحمد (٢٢٩)، وابن ماجه (٢٩٤٣)

^(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٤٤/١٠)

^(٦) انظر ص ٧٢- الشفاء

وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] أنه الاقتداء برسول الله ﷺ

وحكي عن أحمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر) ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماما يقتدى بك، قلت من أنت؟ قال: جبريل^(١)

ثانيا بيانا فوائد السنن و النوافل:

اعلم - علمني الله وإياك - أن منزلة السنن في الإسلام منزلة عظيمة وهي إن لم تكن واجبة إلا أن الشارع الحكيم عدد فوائدها في الدنيا والآخرة وحث اتباعها وهاك بيان ذلك:

أولا: تعويض النقص في أداء الواجبات: واعلم أن النقص إما أن يكون بالتهاون في الأداء أو بعدم الإلتقان كما يجب، ومن رحمة الله بعباده أن جعله يكمل بعض النقص في الفرائض و الواجبات بالأعمال التطوعية و يدل على ذلك أن أبا هريرة رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَا يَحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتَهُ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ أَسَاءَ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ^(٢)

ولا شك -يا عبد الله- أن المؤمن رغم ما يقوم به من امتثال للأوامر واجتناب للنواهي فإنه يخاف ألا يقبل منه عمله فيسارع في الخيرات و يكثر من الطاعات يقول -سبحانه وتعالى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون:

[٥٧-٦١]

^(١) «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (١٦ / ٢)

^(٢) أخرجه أحمد (٧٩٠٢)، وابن ماجه (١٤٢٥)، والنسائي (٢٣٣ / ١)، وأبو داود (٨٦٤)، والحاكم (٢٦٢ / ١)، والبخاري في التاريخ (٣٤ / ٢)، والترمذي (٤١٣)، والبيهقي (٣٨٦ / ٢)، وابن نصر في تعظيم الصلاة (١٨١)

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} [المؤمنون: ٦٠] أَهْوَا الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا، يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصَّدِيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَلَ مِنْهُ»^(١)

ثانياً: أنها تكفر الذنوب والمعاصي: اعلم يا من لا تبالي بترك السنة ان السنن تكفر عنك الذنوب و المعاصي وترفع درجتك أن النبي ﷺ، قَالَ: " يَا مُعَاذُ، وَقَدْ قَالَ: وَكَيْعُ بَآخِرِهِ: « يَا أَبَا ذَرٍّ: أَتُبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ خُلُقًا حَسَنًا »^(٢)

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}. فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْ هَذَا؟ قَالَ: (لجميع أمتي كلهم)^(٣)

ثالثاً: أنها تحصن العبد من الوقوع في المحظورات تنجية من المهالك و الكربات

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ»^(٤)

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ زِيَادَةٌ فِي الْعُمْرِ، وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْمُنْكَرِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ»^(٥)

^(١) المسند ٦/ ١٥٩. ومن طريق مالك بن مغول أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٠٤ (٤١٩٨)، والترمذي ٥/ ٣٠٦

(٣١٧٥)

^(٢) أخرجه أحمد (١٥٣/٥)، رقم (٢١٣٩٢)، والترمذي (٣٥٥/٤)، رقم (١٩٨٧) وقال: حسن صحيح. والدارمي (٤١٥/٢)، رقم (٢٧٩١)، والحاكم

(١٢١/١)، رقم (١٧٨)

^(٣) متفق عليه، أخرجه: البخاري في الصحيح ٨/ ٢، كتاب مواقيت الصلاة (٩)، باب الصلاة كفارة (٤)، الحديث (٥٢٦). ومسلم في الصحيح ٤/

٢١١٦، كتاب التوبة (٤٩)، باب قوله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}

^(٤) أخرجه الطبراني (٢٦١/٨)، رقم (٨٠١٤). قال الهيثمي (١١٥/٣): إسناده حسن

^(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٦٣/٦) رقم (٦٠٨٦) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٧٩٦ في صحيح الجامع وما بين قوسين ضعيف عند الألباني انظر

ضعيف الجامع رقم: ٣٤٩٤

قال المناوي «هذا تنوية عظيم بفضل المعروف وأهله»

قال علي -رضي الله عنه- «لا يزهك في المعروف كفر من كفر فقد يشكر الشاكر
أضعاف جحود الكافر»

قال الماوردي: «فينبغي لمن قدر على ابتداء المعروف أن يعجله حذرا من قوته ويبادر به
خيفة عجزه ويعتقد أنه من فرص زمانه وغنائم إمكانه ولا يمهله ثقة بالقدرة عليه فكم
من واثق بقدرة فاتت فأعقبت ندما ومعول على مكنة زالت فأورثت خجلا ولو فطن
لنائب دهره وتحفظ من عواقب فكره لكانت مغارمه مدحورة ومغانمه محبورة وقيل: من
أضاع الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها»^(١)

و اقرأ تلك القصة التي توضح أهمية صنائع المعروف التي حثنا عليها النبي ﷺ هذه
القصة حدثت منذ مائة سنة تقريبا و هي واقعية ، وهذه القصة سمعت في الإذاعة في
ركن البادية من الإذاعة السعودية و هي كالآتي :

يذكر أن رجلاً يسمى ابن جدعان .. قال: خرجت في فصل الربيع .. وإذا بي أرى إبلي
سمان .. يكاد الربيع أن يفجر الحليب من ثديه .. وكلما اقترب الحوار (ابن الناقة) من
أمه درّت عليه .. وانها الحليب منها لكثرة الخير والبركة ..

فنظرت إلى ناقة من نياقي ابنها خلفه .. وتذكرت جاراً لي له بنيات سبع ..

فقير الحال .. فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة وولدها لجاري والله يقول: {لَن تَنَالُوا

الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} آل عمران: ٩٢

وأحب حلالتي هذه الناقة .. يقول: فأخذتها وابنه .. وطرقت الباب على الجار .. وقلت
خذاها هدية مني لك .. فرأيت الفرحة في وجهه لا يدري ماذا يقول .. فكان يشرب من
لبنها ويحطب على ظهره .. وينتظر وليدها يكبر ليبيعه .. وجاءه منها خير عظيم فلما
انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه .. تشققت الأرض .. وبدأ البدو يرتحلون

^(١) «فيض القدير» (٤/ ٢٠٦):

يبحثون عن الماء في الدحول (والدحول هي حفر في الأرض توصل إلى محابس مائية أو أقبية مائية تحت الأرض .. له فتحات فوق الأرض يعرفها البدو) يقول: فدخلت في هذا الدحل حتى أحضر الماء لنشرب (وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون) .. فناه تحت الأرض .. ولم يعرف الخروج .. وانتظر أبناؤه يوماً

ويومين وثلاثة حتى يئسوا .. قالوا: لعل ثعباناً لدغه ومات .. أو لعله تاه تحت

الأرض وهلك .. وكانوا (عياذاً بالله) ينتظرون هلاكه طمعاً في تقسيم المال

والحلال .. فذهبوا إلى البيت وقسموا .. وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقة لجارهم الفقير

.. فذهبوا إليه وقالوا له: أعد الناقة خيراً لك .. وخذ هذا الجمل مكانه .. وإلا

سنسحبها عنوة الآن .. ولن نعطيك شيئاً .. قال: أشتكيكم إلى

أبيكم قالوا: اشتك إليه .. فإنه قد مات!!

قال: مات!! كيف مات؟ وأين مات؟ ولم لم أعلم بذلك؟

قالوا: دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج قال: ناشدtkم الله اذهبوا بي إلى مكان الدحل

.. ثم خذوا الناقة .. وافعلوا ما

شئتم ولا أريد جملكم فذهبوا به .. فلما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفيّ ..

ذهب وأحضر حبل .. وأشعل شمعة .. ثم ربط نفسه خارج الدحل .. ونزل يزحف

على قفاه حتى وصل إلى أماكن فيها يجبوا .. وأماكن فيها يزحف .. وأماكن يتدحرج ..

ويشم رائحة الرطوبة تقترب .. وإذا به يسمع أنين الرجل عند الماء .. فأخذ يزحف تجاه

الأنين في الظلام .. ويتلمس الأرض .. فوقعت يده على الطين .. ثم وقعت يده على

الرجل فوضع يده على أنفاسه .. فإذا هو حي يتنفس بعد أسبوع .. فقام وجره .. وربط

عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس .. ثم أخرجه معه خارج الدحل .. ومرس له التمر

وسقاه .. وحمله على ظهره .. وجاء به إلى داره .. ودبت الحياة في الرجل من

جديد(وأولاده لا يعلمون) .. فقال: أخبرني بالله عليك أسبوعاً كاملاً وأنت تحت

الأرض ولم تمت! قال: سأحدثك حديثاً عجب .. لما نزلت ضعت .. وتشعبت بي

الطرق .. فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه .. وأخذت أشرب منه .. ولكن الجوع لا يرحم .. فالماء لا يكفي .. يقول: وبعد ثلاثة أيام .. وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ .. وبينما أنا مستلق على قفائي .. قد أسلمت وفوضت أمري إلى الله .. وإذا بي أحس بدفع اللين يتدفق على فمي .. يقول: فاعتدلت في جلستي .. وإذا بإناء في الظلام لا

أراه .. يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي .. ثم يذهب .. فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم .. ولكنه منذ يومين انقطع ما أدري ما سبب انقطاعه؟ .. يقول: فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت .. ظنّ أولادك أنك مت .. وجاءوا إلي وسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها .. والمسلم في ظل صدقته {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} (الطلاق: ٢-٣) و الجزء من جنس العمل «^(١)

رابعاً: ومن فوائد السنن الحصول على القرب من الله تعالى ومحبه وتسديده :

اسمع يا من لا تبالي بالسنة وتتهاون في أدائها -إلى ثوابها عند الله- عز وجل - يقول ابن رجب : الدرجة الثانية درجة السابقين المقربين وهي أن ترتقي المحبة إلى ما يحبه الله من نوافل الطاعات و كراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات و إلى الرضا بما يقدره و يقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب و هذا فضل مستحب مندوب إليه

و في (صحيح البخاري) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)^(٢)

^(١) الجزء من الجزء من الجنس العمل (ج١) (ص: ٥١٨-٥٢١)

^(٢) البخاري ٣٤٠ / ١١ (٦٥٠٢)

ويقول - سبحانه وتعالى - ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]

يقول ابن كثير - رحمه الله - «فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ومنهم مقتصد وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات»^(١)

فانظر يا - رعاك الله - إلى ثوابها كما هو مفصل في سورة الواقعة يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٧-١٠]

وانظر إلى عظيم ثواب السنن و النوافل - يا من لا تبالي بها عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ»^(٢)

وذات يوم قال النبي ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ الصَّدِيقُ: أَنَا، قَالَ: «مَنْ تَصَدَّقَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ عَلَى سَائِلٍ بِشَيْءٍ؟» قَالَ: قَالَ الصَّدِيقُ: أَنَا، قَالَ: «مَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ: قَالَ الصَّدِيقُ: أَنَا، قَالَ: «مَنْ شَيَّعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جِنَازَةً؟» قَالَ: قَالَ الصَّدِيقُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْمَعَ هَذِهِ الْخِصَالَ إِلَّا لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٣)

^(١) «تفسير ابن كثير - ط العلمية» (٦ / ٤٨٤)

^(٢) أخرجه الطيالسي (٢٥٦١)، وأحمد (٤٠٧ / ٢) رقم (٩٢٧٤)، والترمذي (١٤٢٥)، والنسائي في "الكبرى" (٧٢٤٨ و ٧٢٤٩)؛ من

^(٣) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٥١٥) قال: حدثنا محمد بن عبد العزيز. ومسلم (٩٢/٣) و (١١٠/٧)

خامسا: أن المحافظة على السنن تعين على المحافظة على الفرائض و التنزه عن المكروهات يؤدي إلى ترك المحرمات.

(ب) قسم أقر بها ولكنه تكبر وتهاون بها

فهذا القسم من الناس لا يبالي بالسنة وهو يردد دائما «يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها» فجره ذلك إلى اللامبالاة و التنزه عن الاقتداء برسول الله ﷺ و هذا القسم يحتاج الى ترهيب و تخويف و بيان لعاقبة التهاون و التنزه عن سنة رسول الله ﷺ

مخالفة أمره وتبديل سنته ضلال

يقول القاضي عياض - رحمه الله- فصل ومخالفة أمره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) وقال: (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى) الآية

عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلْيَذَادَنَّ رَجُلًا عَنْ حَوْضِي كَمَا يَذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: فَسُحْقًا، فَسُحْقًا، فَسُحْقًا»^(١)

عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢)

وقال (من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد)

عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أُلْفِينَ أَحَدَكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: مَا نَذَرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»^(٣)

^(١) أخرجه أحمد ٣٠٠/٢ و ٤٠٨، ومسلم "٢٤٩" في الطهارة، وابن ماجه "٤٣٠٦"

^(٢) أخرجه عبد بن حميد (١٣١٨) عن محمد بن الفضل، ومسلم (١٤٠١)، وابن حبان (١٤) م

^(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٥)

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ»^(١)

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ، وَتَنَزَّاهُ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنْني أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً)^(٢)

وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك؛ لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك»^(٣)

فكاني بهذا العبد الذي لا يبالي بالسنة يهوي بنفسه في نار جهنم - والعياذ بالله -.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّمَا مَكْلِي وَمَكْلُ النَّاسِ كَمَكْلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحِزْمِكُمُ مِنَ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا)^(٤)

ثم اعلم - علمني الله وإياك - أن الطاعة والاعتداء سبب من أسباب دخول الجنة والمخالفة والابتداع سبب من أسباب دخول النار فقد اخرج البخاري عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قَالَ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: (مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)^(٥)

^(١) الشفا القاضي عياض (١٧ / ٢)

^(٢) البخاري - الفتح ١٣ (٧٣٠١) واللفظ له. ومسلم (٢٣٥٦)

^(٣) «التوحيد لابن عبد الوهاب» (ص ١٠٢)

^(٤) أخرجه أحمد (٣١٢/٢)، والبخاري (٢٣٧٩/٥)، رقم ٦١١٨، ومسلم (١٧٨٩/٤)، رقم ٢٢٨٤، والترمذي (١٥٤/٥)، رقم ٢٨٧٤

وقال: حسن صحيح

^(٥) أخرجه: البخاري ١١٤ / ٩ (٧٢٨٠)

نزول البلاء بمن خالف توجيهات سيد الأنبياء (١)

قال الله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

١- الهلاك السريع لمن رد دعاء الشفيع ﷺ :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ قَالَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ قُلْتُ طَهُورٌ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ أَوْ تَثُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَمُ إِذَا» (٢)

قال ابن حجر - رحمه الله - قال بن التين يحتمل أن يكون ذلك دعاء عليه ويحتمل أن يكون خبراً عما يؤول إليه أمره وقال غيره يحتمل أن يكون النبي ﷺ علم أنه سيموت من ذلك المرض فدعا له بأن تكون الحمى له طهره لذنوبه ويحتمل أن يكون أعلم بذلك لما أجابه الأعرابي بما أجابه» (٣)

ورجح محدث العصر الألباني - رحمه الله - (ويحتمل أن يكون خبراً عما يؤول إليه)

و قال العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله و الظاهر أن هذا من باب التفاؤل، يعني: ما دام أنك قلت هذا فهو لك ، و ليس بدعاء لكن هذا الرجل غير متفائل فجعل له رسول الله ﷺ ما أراد

وقال رحمه الله - ولهذا ينبغي للإنسان أن لا يطلق لسانه في الأمور التي يتشاءم منها كما قال الشاعر:

احذر لسانك أن تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

(١) سرعة العقاب لمن خالف السنة و الكتاب (١٣٩-١٤٣)

(٢) البخاري (١٠/ ١٢٦ رقم ٥٦٦٢)

(٣) -«فتح الباري لابن حجر» (١٠/ ١١٩)

قلت: وظاهر الحديث على أن النبي ﷺ جعل له ما أراد و ذلك حين قال الأعرابي:
كلا، في مقابل قول رسول الله ﷺ « لا بأس طهور إن شاء الله »

فكان، النبي ﷺ يقول له عن أبيات إلا هذا فنعم إذا، فأصبح الأعرابي ميتا كما جاء في طرق أخرى في مصنف عبد الرزاق و جاء عند الطبراني في الكبير و الدولابي في الكنى أن النبي ﷺ قال أما إن أبية فهي كما تقول وما قضى الله فهو كائن قال فما أمسى من الغد إلا ميتا »

٢- الخسارة الأليمة بسبب مخالفة الرماة للرسول ﷺ بالنزول خلف الغنيمة:

عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنَ الرُّمَّةِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا. فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سَوْقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وَجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا»^(١)

قال ابن القيم-رحمه الله-الحكم والغايات المحموده التي كانت في وقعة أحد]

وقد أشار الله - سبحانه وتعالى - إلى أمهاتها، وأصولها في سورة (آل عمران) حيث افتتح القصة بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١] إلى تمام ستين آية.

فمنها: تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ

^(١) البخاري (٣/ ١٠٢ - ١٠٣)، (٦٤) كتاب المغازي، (١٧)

يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} [آل عمران: ١٥٢] ، [آل عمران: ١٥٢] ..

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول، وتنازعهم، وفشلهم، كانوا بعد ذلك أشد حذرا ويقظة، وتحزوا من أسباب الخذلان.^(١)
قلت-أبو عمار-وانظر رحماني الله وإياك - إلى الآثار المترتبة على هذه المخالفة الواحدة:
أولا: نزول البلاء الشديد بالمسلمين.
ثانيا: استشهاد سبعين من الصحابة.

ثالثا: جرح النبي ﷺ وكسروا رباعيته اليمنى و سقوطه في الحفرة و رميه بالحجارة
ومجموع ما حصل كما قال الحافظ ابن حجر: أنه شج وجهه ﷺ و كسرت رباعيته و
جرحت وجنتاه و شفته السفلى من باطنها ووي منكبه من ضربة ابن قمئة و جحشت
ركبته وهذا كله من شؤم المعصية و خطر المخالفة للرسول ﷺ
وقال شيخنا مقبل الوداعي - رحمه الله -: فيه دليل على أن المعصية من أسباب الهزيمة و
لعل في هذا عبرة لبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة التي ترتكب بعض المعاصي
كحلق اللحية و إدخال آلات اللهو و الطرب في بيوتهم من أجل مصلحة الدعوة -
فيما زعموا - و هكذا مجازاة المجتمع في إدخال التلفزيونات و الفيديوها في بيوتهم من
اجل مصلحة الدعوة - فيما زعموا.

٣-الريح الشديدة تأخذ رجلا خالف الرسول ﷺ إلى الجبال البعيدة :

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ قَالَ: « خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ ثُبُوكَ، فَأَتَيْنَا وَادِي الْقُرَى عَلَى حَدِيقَةٍ لَامْرَأَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اخْرُصُوهَا! فَخَرَصْنَاهَا، وَخَرَصَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَةَ أَوْسُقٍ، وَقَالَ: أَحْصِيهَا حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَانْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا ثُبُوكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَتَهْبُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةُ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُمْ فِيهَا

^(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ١٩٦)

أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ. فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الرِّيحُ حَتَّى أَلْقَتْهُ بِجَبَلِي طَيِّئٍ»

قال النووي -رحمه الله-:

«هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من إخباره ﷺ بالمغيب وخوف الضرر من القيام وقت الريح وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على أمته والرحمة لهم والاعتناء بمصالحهم وتحذيرهم ما يضرهم في دين أو دنيا وإنما أمر بشد عقل الجمال لئلا ينفلت منها شيء فيحتاج صاحبه إلى القيام في طلبه فيلحقه ضرر الريح»^(١)

قلت - أبو عمار- وانظر عقوبة هذه المخالفة لرسول الله ﷺ كيف كانت نتيجتها، وعاقبتها وخيمة، حيث أخذت الريح هذا الرجل الذي قام بعد نهى النبي ﷺ من تبوك إلى جبلي طي في مسافات مئات الكيلو مترات

٤- سرعة النكال لم أكل بالشمال:

قال إِيَّاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ: «أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: « أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: كُلْ يَمِينِكَ. قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: لَا اسْتَطَعْتُ. مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. »»^(٢)

قلت: انظر إلى هذا الرجل الصحابي الذي خالف رسول الله ﷺ في مسألة واحدة وهي في نظر كثير من الناس هينة ولكنها في الشريعة عظيمة فاستحق بمخالفته هذه دعوة الرسول ﷺ فاستجاب الله دعاء نبيه فما رفع الرجل يده إلى فيه فأصبحت كالعصا وهذا جزاء كل من تكبر وعصى وأعرض عن سنة المصطفى ﷺ

قال الشيخ العلامة محمد بن عثيمين -رحمه الله في (شرح رياض الصالحين)

وفي هذا دليل على وجوب الأكل باليمين والشرب باليمين، وأن الأكل باليسار حرام، يأثم عليه الإنسان، وكذلك الشرب باليسار حرام، يأثم عليه الإنسان؛ لأنه إذا فعل ذلك

^(١) «شرح النووي على مسلم» (١٥/ ٤٢)

^(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٩٣/٨، ومسلم (٢٠٢١)، وأبو عوانة ٣٥٩/٥ و٣٦٠، وابن حبان (٦٥١٣)

أي أكل بشماله أو شرب بشماله شابه الشيطان وأولياء الشيطان، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَأْكُلُ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبُ بِشِمَالِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»^(١).^(٢)

٥- الثاني من الرحمن والعجلة من الشيطان:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «قَضَى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فِي رَجُلٍ طَعَنَ رَجُلًا بِقَرْنٍ فِي رِجْلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقِدْنِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَا تُعْجَلْ حَتَّى يَبْرَأَ جُرْحُكَ» فَأَبَى الرَّجُلُ إِلَّا أَنْ يَسْتَقِيدَ، فَأَقَادَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - مِنْهُ، فَعَرَجَ الْمُسْتَقِيدُ، وَبَرَأَ الْمُسْتَقَادُ مِنْهُ، فَأَتَى الْمُسْتَقِيدُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَرِجْتُ وَبَرَأَ صَاحِبِي؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «أَلَمْ أَمُرْكَ أَنْ لَا تَسْتَقِيدَ حَتَّى يَبْرَأَ جُرْحُكَ فَعَصَيْتَنِي، فَأَبْعَدَكَ اللَّهُ وَبَطَلَ جُرْحُكَ»

ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرَّجُلِ الَّذِي عَرِجَ مَنْ كَانَ بِهِ جُرْحٌ أَنْ لَا يَسْتَقِيدَ حَتَّى يَبْرَأَ مِنْ جِرَاحَتِهِ، فَإِذَا بَرَأَتْ جِرَاحَتُهُ اسْتَقَادَ»^(٣)

٦- سابق الحمار فحول الله راسه رأس حمار:

ذكر بن حجر - رحمه الله - عن بعض المحدثين: أنه رحل إلى دمشق لأخذ الحديث عن شيخ مشهور بها، فقرأ عليه جملة، لكنه كان يجعل بينه وبينه حجاباً ولم ير وجهه، فلما طالت ملازمته له رأى حرصه على الحديث كشف له الستر، فرأى وجهه وجه حمار فقال له: احذر يا بني أن تسبق الإمام، فإني لما مر بي في الحديث استبعدت وقوعه فسبقت الإمام فصار وجهي كما ترى، اهـ.^(٤)

قلت - أبو عما - انظر - رحماني الله و إياك - إلى عقوبة مسابقة الإمام في الركوع و السجود أو في أي فعل من أفعال الصلاة فان هذا محرم بل حتى مساواة الإمام في

^(١) أخرجه الترمذي (١٧٩٩) ، وأبو يعلى (٥٧٠٤) و (٥٧٠٥) ، وأبو عوانة

^(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٤٣)

^(٣) «مسند أحمد» (١١/ ٦٠٧ ط الرسالة): «وأخرجه الدارقطني ٨٨/٣ ، ومن طريقه البيهقي في "السنن" ٦٧/٨ ، ٦٨ ، والحازمي في "الاعتبار" ص ١٩٣

^(٤) مرقاة المفاتيح (٣/ ٨٧٩).

الركوع و السجود و غيرها فان هذا محرم أيضا وقد حذر النبي ﷺ من مسابقة الإمام فقال «أَمَّا يَخْشَى الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يُحَوَّلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ»^(١) (٢) فانظر - يركعك الله و يردك إلى الصواب - كيف كانت نهاية هؤلاء الذي لم يبالوا بالسنة بل استهانوا بها أو تكبروا عليها، فعاقبهم الله على صنيعهم هذا بتلك العقوبة العاجلة و جعلهم عبرة م أراد الاعتبار.

^(١) مسلم في كتاب الصلاة باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة ١ / ٣٢١ من رواية أبي هريرة وجابر بن سمرة

^(٢) سرعة العقاب (ص: ١١٢-١١٣)

الباب الثاني

اللامبالاة بالكلمة وأثرها

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١)

وعند مسلم «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.»^(٢)

اللامبالاة بالكلمة وأثرها

اعلم - علمني الله وإياك - أن الكلمة شأنها خطير و ضروره عظيم، فهي مفتاح كل خير، أو مفتاح كل شر، و بها ينال العبد الرضى و الرضوان، أو ينال السخط و الخيبة و الخسران، فكم من كلمة رفعت صاحبها إلى عنان السماء ، و نال بها الرفعة في الدنيا و الآخرة ، وكم من كلمة أورثت صاحبها الذل و المهانة ، و لذا قيل :

^(١) رواه البخاري ١١ / ٢٦٦ في الرقاق، باب حفظ اللسان، ومسلم رقم (٢٩٨٨) في الزهد، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار

^(٢) مسلم ٤ / ٢٢٩٠ (٢٩٨٨)

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغتك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

و هيا لنقف مع ابن القيم - رحمه الله - و هو يوضح لنا خطورة الكلمة يقول - رحمه الله - : وأما اللفظات، فحفظها بأن لا يُخْرِجَ لفظاً ضائعةً، بل لا يتكلم إلا فيما يرجو فيه الربح والزيادة في دينه. فإذا أراد أن يتكلم بالكلمة نظر: هل فيها ربح وفائدة أم لا؛ فإن لم يكن فيها ربح أمسك عنها، وإن كان فيها ربح نظر: هل يفوته بها كلمة هي أربح منها، فلا يضيّعها بهذه.

وإذا أردت أن تستدلّ على ما في القلب، فاستدلّ عليه بحركة اللسان، فإنه يُطْلِعُ ما في القلب شاء صاحبه أم أبى.

قال يحيى بن معاذ: القلوب كالقدور تغلي بما فيها، وألسنتها مغارفها. فانظر الرجل حين يتكلم، فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه : حلو وحامض، وعذب وأجاج، وغير ذلك. ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه

أي كما تطعم بلسانك طعم ما في القدر من الطعام، فتدرك العلم بحقيقته، كذلك تطعم ما في قلب الرجل من لسانه، فتذوق ما في قلبه (٦) من لسانه، كما تذوق ما في القدر بلسانك.

وفي حديث أنس المرفوع: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»^(١)

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَلِجُ النَّاسُ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ»^(٢).

وقد سأل معاذ النبي - ﷺ - « عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار، فأخبره برأسه، وعموده، وذروة سنامه؛ ثم قال: «ثُمَّ قَالَ:» أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ «، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ:» اكْفُفْ عَلَيْكَ هَذَا «، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،

^(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في "الصمت" (٩) ، وفي "مكارم الأخلاق" (٣٤٢) ، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٨٨٧)

^(٢) أخرجه الترمذي "٢٠٠٤" في البر والصلة: باب ما جاء في حسن الخلق

أَوَإِنَّا لَمَأْخُودُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ؟ قَالَ: «تَكَلَّمْتَكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». ^(١)

ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله، لا يلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب! وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول! ^(٢)

ويقول النووي - رحمه الله -: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة والسلامة لا يعدلها شيء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». ^(٣)

وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيراً، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة، فلا يتكلم.

وقد جعل النبي ﷺ حفظ اللسان مع حفظ الفرج جوازاً إلى الجنة و نجاة من النار فمن ضمن اللسان و الفرج ضمن له النبي ﷺ الجنة عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ». ^(٤)

^(١) - أخرجه ابن ماجه (٣٩٧٣) ، والترمذي (٢٦١٦)

^(٢) - الداء و الدواء (ص ٢٠٤/٢٠٥)

^(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦٠١٩) ، (٦٤٧٦)

^(٤) أخرجه البخاري [١٦٠٩ ، ٦٤٢٢] ، والترمذي [٢٤٠٨] ، وأحمد [٣٣٣ / ٥]

قال الحافظ: الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية فأطلق الضمان وأراد لازمه وهو أداء الحق الذي عليه فالمعنى من أدى الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه وأدى الحق الذي على فرجه من وضعه في الحلال وكفه عن الحرام وقوله (لحييه) هما العظمان في جانبي الفم والمراد بما بينهما اللسان وما يتأتى به النطق وبما بين الرجلين الفرج»^(١)

وفي بيان أن اللسان قائد الأعضاء في الاستقامة و الاغوجاج اخبر النبي ﷺ فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه - قَالَ: « إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ أَعْضَاءَهُ تُكْفِّرُ لِللِّسَانِ، تَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَأَنْ اغْوَجَجْتَ، اغْوَجَجْنَا »^(٢)

تكفير الأعضاء للسان كناية عن تنزيل اللسان منزلة الكافر بالنعم و قد جعل النبي ﷺ اللسان أخوف ما يخاف على سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه فقد قال قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: " قُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَخَوْفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ قَالَ: فَأَخَذَ لِسَانَهُ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا»^(٣)

^(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠٩)

^(٢) أخرجه الترمذي في "الزهد" باب "٦": ما جاء في حفظ اللسان

^(٣) شأن الكلمة في الإسلام (ص ١٦-١٨) وأخرجه الترمذي (٢٤١٠)، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٧)، وابن حبان (٥٦٩٩)، والبيهقي في "الشعب" (٤٩٢٠)

خطورة اللامبالاة بالكلمة

إذا كان هذا هو خطر الكلمة، وأنها قد تكون سبب من أسباب النجاة أو سبب من أسباب الهلاك فقد حذرنا النبي لله من خطورة اللامبالاة بالكلمة

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» (١)

وعند مسلم «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (٢).

(١) رواه البخاري ١١ / ٢٦٦ في الرقاق، باب حفظ اللسان، ومسلم رقم (٢٩٨٨) في الزهد، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار

(٢) مسلم ٤ / ٢٢٩٠ (٢٩٨٨)

و عند الإمام الترمذي عَنْ بَلَالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزْنِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، وَمَا يَظُنُّ أَنْ تُبْلَغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَمَا يَظُنُّ أَنْ تُبْلَغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطُهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ»^(١)

و كان علقمة «يقول: كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث »

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : قال بن عبد البر الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر وزاد بن بطال بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سببا لهلاكه وإن لم يرد القائل ذلك لكنها ربما أدت إلى ذلك فيكتب على القائل إثمها والكلمة التي ترفع بها الدرجات ويكتب بها الرضوان هي التي يدفع بها عن المسلم مظلمة أو يفرج بها عنه كربة أو ينصر بها مظلوما وقال غيره في الأولى هي الكلمة عند ذي السلطان يرضيه بها فيما يسخط الله قال بن التين هذا هو الغالب وربما كانت عند غير ذي السلطان ممن يتأتى منه ذلك ونقل عن بن وهب أن المراد بها التلفظ بالسوء والفحش ما لم يرد بذلك الجحد لأمر الله في الدين وقال القاضي عياض يحتمل أن تكون تلك الكلمة من الخنى والرفث وأن تكون في التعريض بالمسلم بكبيرة أو بمجون أو استخفاف بحق النبوة والشرعية وإن لم يعتقد ذلك وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام هي الكلمة التي لا يعرف القائل حسنها من قبحها قال فيحرم على الإنسان أن يتكلم بما لا يعرف حسنه من قبحه قلت وهذا الذي يجري على قاعدة مقدمة الواجب»^(٢)

من أجل ذلك حثنا النبي ﷺ على امرين فيهما نجاة المسلم في الدنيا والآخرة:

أحدهما: ترك الكلام فيما لا يعني فإنه من علامات إيمان العبد، عن علي بن حسين، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»^(٣)

^(١) إسناده حسن، وأخرجه الترمذي "٢٣١٩" في الزهد: باب في قلة الكلام

^(٢) فتح الباري لابن حجر (٣١٧ / ١١)

^(٣) أخرجه ابن عدي (٣٧ / ٣) ، والعقيلي في «الضعفاء» (٩ / ٢)

قال أبو سليمان الخطابي -رحمه الله- من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، ومن لم يستغن بما يكفيه فليس في الدنيا شيء يعنيه

وأن ابن عباس، «أوصى رجلاً فقال: «لا تتكلم بما لا يعينك فإن ذلك فضل فلست آمن عليك الوزر، ودع الكلام في كثير مما يعينك حتى تجد له موضعاً قرب متكلم في غير موضعه قد عنت. ولا تمار حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقلبك والسفيه يؤذيك. واذكر أخاك إذا توارى عنك بما تحب أن يذكرك به إذا تواريت عنه ودعه مما تحب أن يدعك منه فإن ذلك العدل، واعمل عمل امرئ يعلم أنه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام»^(١)

الثاني: الصمت فهو سمت المؤمن وودليل على راحة عقله:

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».^(٣)

وهذا ابن مسعود - رضي الله عنه - على الصفا يلي ويقول «يا لساني قل خيراً تغنم أو -يعني: اسكت- تسلم من قبل أن تندم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن بهذا شيء أنت تقوله أم سمعته؟ قال: لا، بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»

وقال الشافعي -رحمه الله- لصاحبه الربيع يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعينك فإنك إن تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها

وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك ولحقك شره

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغتك إنه ثعبان

^(١) العزلة (ص ٦١-٦٢)

^(٢) أخرجه البخاري [١١]، ومسلم [٤٢]، والترمذي [٢٦٢٨، ٢٥٠٤]

^(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦٠١٩)، (٦٤٧٦)

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - إذا تم العقل قل الكلام

وقال ابن عيينه من حرم الخير فليصمت فان حرمه فالموت خير له

و عن أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيَاطِينِ، وَعَوْنٌ»^(١)

وقال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - «الكلام كالدواء إن أقلت منه نفع، وإن أكثرته منه قتل»

وقال لقمان لابنه «يا بني إذا افتخر الناس بحس كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك»

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

خوف السلف من اللامبالاة بالكلمة:

هيا لنقف مع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وكيف أنهم كانوا يخافون من خطورة الكلمة واللامبالاة بها:

١- أبو بكر الصديق - رضي الله عنه روى عمر - رضي الله عنه - «أنه دخل على أبي بكر الصديق وهو يجبذ لسانه فقال له عمر : مه غفر الله لك قال أبو بكر هذا الذي أوردني الموارد»

٢- عبد الله بن عباس رضي الله عنه حبر الأمة و ترجمان القرآن، عن سعيد الجريري، عن رجل قال: رأيت ابن عباس أخذاً بثمرة لسانه وهو يقول: «ويحك قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم»، فقال له رجل: يا أبا عباس ما لي أراك أخذاً بثمرة لسانك

^(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٥٧/٤)، رقم ٤٦٤٦، وابن عساکر (٢٣/٢٧٤) (ضعيف جداً) انظر حديث رقم: ٢١٢٢ في ضعيف الجامع

تقول: كذا وكذا؟ قال: «إنه بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحق منه على لسانه»

٣- عبد الله بن أبي زكريا - رحمه الله - «عاجلت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة، قل أن أقدر منه على ما أريد، قال: وكان لا يدع يغتاب في مجلسه، أحد يقول: إن ذكرت الله أعناكم، وإن ذكرت الناس تركناكم»

٤- عبد الله بن وهب - رحمه الله - «نذرت أنني كلما اغتبت إنسانا أن أصوم يوما؛ فأجهدني؛ فكنت أغتاب وأصوم؛ فنويت أنني كلما اغتبت إنسانا أن أتصدق بدرهم؛ فمن حب الدراهم تركت الغيبة»

٥- قال الامام النووي - رحمه الله - في الأذكار: بلغنا أن قسّ بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدتُ خصلةً إن استعملتها سترت العيوبَ كلّها، قال: ما هي: قال: حفظ اللسان»

٦- قال سفيان الثوري - رحمه الله - لأصحابه: «قال أخبروني لو كان معكم من يرفع الحديث إلى السلطان أكتتم تتكلمون بشيء قالوا لا قال فإن معكم من يرفع الحديث إلى الله عز وجل»

كأن رقبيا منك يرعى خواطري	وآخر يرعى ناظري ولساني
فَمَا رَمَقْتَ عَيْنَايَ بِعَدِّكَ مَنْظَرَا	يَسُوؤُكَ إِلَّا قُلْتُ: قَدْ رَقَانِي
وَلَا بَدَرْتُ مِنْ فِيْ دُونِكَ لَفْظَةً	لِغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ: قَدْ سَمَانِي
وَلَا خَطَرْتُ فِي السَّرِّ بِعَدِّكَ خَطَرَةً	لِغَيْرِكَ إِلَّا عَرَجَا بِعَنَانِي
وَإِخْوَانُ صَدَقَ قَدْ سَمِعْتَ حَدِيثَهُمْ	وَأَمْسَكَتَ عَنْهُمْ نَازِرِي وَلسَانِي
وَمَا الزَّهْدُ أَسْلِي عَنْهُمْ غَيْرَ أَنِّي	وَجَدْتُكَ مَشْهُودِي بِكُلِّ مَكَانٍ

ما ظنك بمن يحصي جميع كلماتك، ويضبط كل حركاتك، ويشهد عليك بحسناتك ترفع
الصحائف وهي سود وعمل المنافق مردود، يحضره الملكان لدى المعبود، يا شر العبيد
{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} .

يضبطان على العبد ما يجري من حركاته، وما يكون من نظراته وكلماته واختلاف أموره
وحالاته، لا ينقص ولا يزيد {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} .

قوله تعالى: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} . أي: ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه
من فيه إلا لديه رقيب عتيد، أي حافظ وهو الملك الموكل به، والعتيد الحاضر معه أينما
كان. السجع على قوله تعالى: {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} . يا كثير الكلام
حسابك شديد، يا عظيم الإجرام عذابك جديد، يا مؤثرا ما يضره ما رأيك شديد، يا
ناطقا بما لا يجدي ولا يفيد ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] كلامك
مكتوب وقولك محسوب، وأنت يا هذا مطلوب، ولك ذنوب وما تتوب، وشمس الحياة
قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب، وقد أتاه ما يصدع الحديد
{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} .^(١)

^(١) التبصرة (ص: ٦١٧)

صور اللامبالاة بالكلمة

اعلم علمني الله وإياك: أن شأن الكلمة خطير فالإنسان يدخل الإسلام بكلمة ن فيعصم بها دمه وعرضه وماله، وبالكلمة يوبق العبد نفسه، فيصبح حلال الدم والعرض والمال، وبالكلمة يتزوج الإنسان فتقام الحياة الزوجية وبالكلمة تهدم البيوت، ويفرق بين الزوج وزوجته وبالكلمة ينال العبد الأجر والثواب، والرضى والغفران، وبالكلمة يهوي العبد أبعد مما بين المشرق والمغرب في نار جهنم.

وهاك أخي المسلم ... أختي المسلمة صور من اللامبالاة بالكلمة، وتلك الصور نسمعها في كل وقت ... في المنزل ... في الشارع في السوق ... في كل مكان نرى و نسمع تلك المواقف التي لا يبالي أصحابها بخطورتها الكلمة

أولاً: في مجال الاعتقاد:

وهو أخطر المجالات لان نتيجته إما جنة وإما نار، إما سعادة، وإما شقاء، فمن ذلك:

١- سب الدين:

في زمن كثرت فيه المعاف و قل العارف ، تجد بعض الشباب يخرج هذه الكلمة التي تكاد السموات تنفطر من هولها ، و تنشق الأرض و تخر الجبال هدا ، وهو لا يبالي ، بل إنها أصبحت عادة و سمة من سماتهم ، فما إن تدخل الأسواق و تركب المواصلات و تقف على المقاهي إلا سمعت تلك الكلمة الخبيثة التي تصدر عن إنسان لا يبالي بعظمها ، فإذا عاتبته وزجرته قال : (قد خرجت عن وعي) و هذا كذب لأنه لا يستطيع في حالته أن يطلق أو يسب الإنسان الذي بينه و بينه مشاحنة ، وما علم المسكين أنه بتلك الكلمة التي قالها قد خرج عن الإسلام و أصبح كافرا - و العياذ بالله - و ما علم إن صلاته قد بطلت ، و حجه قد بطل و زكاته ، و سائر عمله .

إن سب الدين أو سب الله تعالى أو سب رسوله ﷺ لمن الأسباب الأساسية والأمر الرئيسية للخروج من الدين، وذلك هو الارتداد بعينه، والله تعالى يقول ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]

ولقد ثبت في الحديث الصحيح أن الرسول ﷺ مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ. (١)

ولذلك نحذر المسلمين من غضب الله تعالى وعقابه ومن الكفر بعد الإيمان و، ولنحافظ على ألسنتنا فلا نتكلم بها إلا بما يرضي الله.

أما بالنسبة للعمل الذي سبق هذا الذنب العظيم والإثم الكبير، فإنه قد حبط كما قال علماؤنا، حتى وإن تاب، فيجب عليه أن يحج مرة ثانية أن كان قد حج قبل ذلك، ويرجع إلى زوجته بمهر وعقد جديدين ... إلى غير ذلك. (٢)

حكم سب الله أو رسوله أو كتابه:

قال ابن تيمية - رحمه الله - وتحرير القول فيه: أن الساب إن كان مسلما فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم وقد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٢) ، والطحاوي ٦٣/٤ ، وأبو يعلى (٢٥٣٢)

(٢) منار الإسلام عدد شعبان ص (٣٦) فتوى الشيخ محمد سليمان حمودة .

إسحاق بن راهوية وغيره وإن كان ذميا فإنه يقتل أيضا في مذهب مالك وأهل المدينة وسيأتي حكاية ألفاظهم وهو مذهب أحمد وفقهاء الحديث.^(١)

فالذي يسب أو يشتم الله أو رسوله ﷺ فهو كافر وحده في ذلك القتل بالإجماع ولا يستتاب عند الجمهور، ولا عذر له في ذلك سواء كان مازحا أو جادا، أو مستحلا، أو يعتقد حرم ذلك.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهرا وباطنا سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلا له أو كان ذاهلا عن اعتقاده هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل.

من سب الله كفر سواء كان مازحا أو جادا لهذه الآية -يقصد ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] وهذا هو الصواب المقطوع به^(٢)

و لكن في زمن اللامبالاة تجد الإنسان يسب و يكفر ثم يرجع إلى بيته فيجامع زوجته - و يصلي و كان أمرا لم يكن، لماذا لا يتقي الإنسان ربه - عز وجل - و يعلم أنه بتلك الكلمة الخبيثة قد خرج من الإسلام فيجب على المرء أن سيلجم نفسه بلجام ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]

ثانيا سب الدهر وعيب الزمان:

فكثير من الناس أصبح يشتكي من ذلك الزمان، وما حل بهم من فقر وفاقة، وجهد وبلاء، فيجره ذلك إلى سب الزمان والدهر، ولا يبالي بذلك وكأنها كلمة عابرة لا يلقي لها بالا، ومن أمثال هؤلاء ابن المعتز حيث يقول:

يا دهر ويحك ما أبقيت لي أحدا وأنت والد سوء تأكل الولد

وقول أبي الطيب:

^(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ٤)

^(٢) الصارم المسل

أبي الطيب ول على شاتم الرسول ط- أخرى (ص: ٥١٣)

قبحا لوجهك يا زمان وكأنه وجه له من كل قبح برقع

وقول الطرفي:

إن تبلى بلباس الناس يرفعهم عليك دهر لأهل الفضل قد خان

وقول الحريري:

ولا تأمن من الدهر الخفون ومكره فكم خامل أخنى عليه ونابه

ونحو هذا كثير وكل هؤلاء لم يبالوا بما يقولون لأنهم لم يتدبروا قول النبي ﷺ

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(١) و في رواية «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(٢)

قال الشافعي تأويله -والله اعلم- : أن العرب كان شأنها أن تدم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم - من موت أو هرم أو تلف أو غير ذلك - فيقولون: إنما يهلكنا الدهر - وهو الليل والنهار -، وهما الفتان والجديدان، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وأتى عليهم، فيجعلون الليل والنهار اللذين يفعلان ذلك، فيذمون الدهر بأنه الذي يفينا ويفعل بنا فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا الدهر) على أنه يفنيكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء!! فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء وإنما تسبوا الله تبارك وتعالى؛ فإن الله فاعل هذه الأشياء).^(٣)

وقال ابن القيم - رحمه الله وفي هذا ثلاث مفاصد عظيمة:

أحدها: سبه من ليس أهلا للسب؛ فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله، منقاد لأمره، متذل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه.

^(١) أخرجه الحميدي (٩٣٣) ، وابن أبي شيبة ٢٤٤/١٤ ، والبخاري (٦٤٠٢) ، وابن ماجه

^(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٦) (٥) ، وأبو يعلى (٦٠٦٦)

^(٣) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد (ص: ٣٨٠)

والثانية: أن سبه متضمن للشرك؛ فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرّم من لا يستحق الحرمان. وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة. وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جدا. وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه. وفي حقيقة الأمر، فرب الدهر هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسيبتهم الدهر مسبة لله عز وجل؛ ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى، فسباب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما؛ إما مسبة الله أو الشرك به. فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسب من فعله، فهو يسب الله تعالى. انتهى»^(١)

ويقول الإمام ابن الجوزي تحت عنوان (سب الدهر خروج من الإيمان) ما رأت عيني مصيبة نزلت بالخلق أعظم من سبهم للزمان، وعيبهم للدهر، وقد كان هذا في الجاهلية، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: « لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر »، ومعناه أنتم تسبون من فرق شملكم، وأمات أهاليكم، وتنسبونه إلى الدهر، والله تعالى هو الفاعل لذلك.

فتعجبت، كيف أعلم أهل الأسقام بهذه الحال، وهم على ما كان أهل الجاهلية عليه ما يتغيرون؟! حتى ربما اجتمع الفطناء الأدباء الظراف -على زعمهم- فلم يكن لهم شغل إلا ذم الدهر! وربما جعلوا الله الدنيا، ويقولون: فعلت وصنعت! وحتى رأيت لأبي قاسم الحريري يقول:

ولما تعامى الدهر، وهو أبو الردى عن الرشد في أنحائه ومقاصده

^(١) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص: ٣٤٠)

تعاميت، حتى قيل إني أخو عمي ولا غرو أن يجذو الفتى حذو والده

وقد رأيت خلْقاً يعتقدون أنهم فقهاء وفهماء، ولا يتحاشون من هذا.

وهؤلاء إن أرادوا بالدهر مرور الزمان، فذاك لا اختيار له، ولا مراد، ولا يعرف رشدًا من ضلال، ولا ينبغي أن يلام، فإنه زمان مُدَبَّرٌ، لا مُدَبِّرٌ، فيتصرف فيه، ولا يتصرف. وما يظن بعاقل أن يشير إلى أن المذموم، المعرض عن الرشد، السيء الحكم، هو الزمان! فلم يبق إلا أن القوم خرجوا عن رتبة الإسلام، ونسبوا هذه القبائح إلى الصانع، فاعتقدوا فيه قصور الحكمة، وفعل ما لا يصح، كما اعتقده إبليس في تفضيل آدم. وهؤلاء لا ينفعهم مع هذا الزيف اعتقاد إسلام، ولا فعل صلاة، بل هم شر من الكفار، لا أصلح الله لهم شأنًا، ولا هداهم إلى رشاد.^(١)

وهنا يجب على المسلم أن يبحث عن أسباب تلك الأزمات والمصائب التي أصابته بدلا من أن ينسبها إلى الدهر، ولا يبالي.

ثالثا: للامبالاة بكلمة (لو):

فما إن تجلس في مجلس إلا وسمعت هذه الكلمة تتردد على ألسنة الجالسين وهم لا يبالون بها ولا يرفعون لها رأساً.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ أَوْ أَفْضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ، فَقُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ صَنَعَ، وَإِيَّاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوَّ تُفْتَحُ مِنَ الشَّيْطَانِ»^(٢)

فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كلمة (لو) فأجاب رداً على ذلك السؤال : فيمن سمع رجلاً يقول: لو كنت فعلت كذا لم يجز عليك شيء من هذا، فقال له رجل آخر سمعه: هذه الكلمة قد نهى النبي ﷺ عنها، وهي كلمة تؤدي قائلها إلى الكفر، فقال رجل آخر: قال النبي ﷺ في قصة موسى مع الخضر: «يرحم الله موسى

^(١) صيد الخاطر (ص: ٤٠٧)

^(٢) أخرجه: مسلم ٨ / ٥٦ (٢٦٦٤) (٣٤)

وددنا لو كان صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما» واستدل الآخر بقوله ﷺ: «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف إلى أن قال فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان» فهل هذا ناسخ لهذا أم لا؟ .

الجواب: الحمد لله، جميع ما قاله الله ورسوله حق، (ولو) تستعمل على وجهين: أحدهما: على وجه الحزن على الماضي والجزع من المقدور، فهذا هو الذي نهى عنه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وهذا هو الذي نهى عنه النبي ﷺ حيث قال: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن - لو - تفتح عمل الشيطان» أي تفتح عليك الحزن والجزع، وذلك يضر ولا ينفع بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١] ، قالوا: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

والوجه الثاني: أن يقال (لو) لبيان علم نافع، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ولبيان محبة الخير وإرادته، كقوله: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ مَا لِفُلَانٍ عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ عَمَلِهِ»^(١) ونحوه جائز.

وقول النبي ﷺ «وددت لو أن موسى صبر ليقص الله علينا من خبرهما» هو من هذا الباب، كقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩] فإن نبينا - ﷺ - أحب أن يقص الله خبرهما، فذكرها لبيان محبته للصبر المترتب عليه، فعرفه ما يكون لما في ذلك من المنفعة، ولم يكن في ذلك جزع ولا حزن ولا ترك لما يجب من الصبر على المقدور.

^(١) رواه الترمذي (١٥٣/٤) رقم (٢٣٢٥)، وابن ماجه (١٤١٣/٢) رقم (٤٢٢٨)، وأحمد (٢٩/٢٥٥) رقم (١٨٠٢٤)، (١٨٠٣١)

وقوله: «وددت لو أن موسى صبر» قال النحاة: تقديره وددت أن موسى صبر، وكذلك قوله: **(وَدُّوا لَوْ تَذَهَّنْ فَيَذْهَبُونَ)** تقديره ودوا أن تذهبن وقال بعضهم بل هي لو شرطية وجوابها محذوف، والمعنى على التقديرين معلوم وهي محبة ذلك الفعل وإرادته، ومحبة الخير وإرادته محمود، والحزن والجزع وترك الصبر مذموم، والله أعلم.^(١)

فالواجب على العبد عند حلول ما يؤله أن يلزم نفسه الرضى بالمقدور ، ، أن يردد قول النبي ﷺ قدر الله ما شاء فعل ، ولا يفتح على نفسه باب (لو) فإنه باب منهي عنه .

رابعاً- قول: ما شاء الله وشئت:

ومن صور اللامبالاة بالكلمة: قول الإنسان لأخيه (ما شاء الله وشئت) أو (لولا أنت والله)

أو (نحن بالله ربك) وما شاكل ذلك، فهي كلمة تتردد على ألسنة من باب المجاملة وكسب خاطر، ولكنها تدخل العبد في دوامة الشرك – والعياذ بالله.

عن قتيلة أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، و تقولون والكعبة، فأمرهم ﷺ إذا أردوا أن يخلفوا أن يقولوا : ورب الكعب ، وأن يقولوا : ما شاء الله ، ثم شئت»^(٢)

عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ، ح وَحَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَبُو مُسْلِمٍ الْكَشِّيُّ، قَالَا: ثنا حَجَّاجُ بْنُ الْمِنْهَالِ، ثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ سَخْبَرَةَ، أَخِي عَائِشَةَ لَأُمِّهَا، قَالَ: رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي مَرَرْتُ بِرَهْطٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ الْيَهُودُ، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنتُمْ تَقُولُونَ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ؟ قَالُوا: وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنتُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِرَهْطٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنتُمْ تَقُولُونَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، فَقَالُوا: وَأَنْتُمْ الْقَوْمُ، لَوْلَا

^(١) الفتاوى الكبرى (ص: ٢٧٦-٢٧٧).

^(٢) رواه النسائي (٧/٧) في الإيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة. وأحمد في المسند (٦/٣٧١ ، ٣٧٢) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٦)

أَنْتُمْ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحَتْ أَخْبَرَتْ بِهَا نَاسًا، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَمَّا صَلَّى الظُّهْرَ قَامَ خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ طُفِيلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنْكُمْ أَنْ أَتَهَاكُمْ عَنْهُ، فَلَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ مُحَمَّدٌ»^(١)

يقول ابن القيم - رحمه الله - تحت عنوان الشرك في اللفظ - ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما «ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: أ جعلتني لله ندا؟ قل ما شاء الله وحده

هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة، كقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨].

فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت في الأرض.

أو يقول: والله، وحياة فلان، أو يقول نذرا لله وفلان، وأنا تائب لله وفلان، أو أرجو الله وفلانا، ونحو ذلك.

فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل: ما شاء الله وشئت. ثم انظر أيهما أفحش، يتبين لك أن قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنه إذا كان قد جعله ندا لله بها، فهذا قد جعل من لا يداني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شيء من الأشياء - بل لعله أن يكون من أعدائه - ندا لرب العالمين، فالسجود، والعبادة، والتوكل، والإنابة، والتقوى، والخشية، والحسب، والتوبة، والنذر، والحلف، والتسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد، والاستغفار، وحلق الرأس خضوعا وتعبدًا، والطواف

^(١) أخرجه أحمد في المسند ٧٢ / ٥ عن الطفيل مطولاً، والدارمي في السنن ٢ / ٢٠٥ رقم ٢٧٠٢ والطبراني في الكبير ٨ / ٣٨٨ رقم ٨٢١٤

بالبيت، والدعاء، كل ذلك محض حق الله، لا يصلح ولا ينبغي لسواه: من ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وفي مسند الإمام أحمد «أن رجلاً أتى به إلى النبي ﷺ قد أذنب ذنباً، فلما وقف بين يديه، قال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال: عرف الحق لأهله». (١)(٢)

إذا كان هذا كلامه ﷺ لمن قال له (ما شاء الله و شئت) فكيف بمن يقول :

فإن من وجودك الدنيا وضرتها ومن علومك على اللوح والقلم

و يقول في همزته :

هذه علي وأنت طيبي ليس يخفى عليك في القلب داء

وأشبه هذا من الكفر الصريح. (٣)

فيجب على العبد أن يفكر في ما يريد أن يتكلم به ، فإن كان لله خالصاً تكلم ، والا أمسك عليه لسانه فإن الصمت زين الرجال .

خامساً-الحلف بغير الله:

ومن اللامبالاة بالكلمة تلك الصورة التي لا تفارق المجالس، فهذا يحلف بأمه، و ذلك يحلف بأبيه، و ذاك يحلف بالبدوي، و آخر يحلف بالرفاعي، و آخر يحلف بالشرف و الأمانة و الذمة وآخر يحلف بالطلاق، و باب الكعبة، والنبي إلى غير ذلك من صور الحلف التي تتلون بألوان المجتمعات و العادات، وأصبح الأمر شيئاً عادياً ، مع أن ذلك من الشرك - و العياذ بالله - و لشد نهى النبي ﷺ أمته عن الحلف بالآباء و جعل ذلك -اعني الحلف بغير الله - شركاً بالله تعالى

(١) «مسند أحمد» (٢٤/ ٣٥٣ ط الرسالة) «إسناده ضعيف لانقطاعه، الحسن: وهو البصري لم يسمع من الأسود ابن سريع كما سنبين في الرواية رقم

«(١٥٥٨٨)»

(٢) الدواء و الدواء ٠ ص: ١٧٢-١٧٣

(٣) تيسير العزيز الحميد (٥٢٩)

فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا تَحْلِفَ بَعِيرِ اللَّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«مَنْ حَلَفَ بِعَيْرِ اللَّهِ، فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(١)

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي رَكْبٍ، وَهُوَ يَحْلِفُ
بِأَبِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَلْيَحْلِفُوا (٢) حَالِفٌ بِاللَّهِ
أَوْ لَيْسَ كُنْتُ»^(٢)

أخذ به طائفة من العلماء فقالوا: يكفر من حلف بغير الله كفر شرك، قالوا: ولهذا أمره
النبي صلى الله عليه وسلم بتجديد إسلامه بقول: لا إله إلا الله. فلو لا أنه كفر ينقل عن
الملة لم يؤمر بذلك. وقال الجمهور: لا يكفر كفراً ينقله عن الملة، لكنه من الشرك
الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره، وأما كونه أمر من حلف باللات والعزى
أن يقول: لا إله إلا الله، فلأن هذا كفارة له مع استغفاره كما قال في الحديث الصحيح:
«ومن حلف فقال في حلفه: واللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله» وفي رواية:
«فليستغفر»، فهذا كفارة له في كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم، حيث حلف به لا أنه
لتجديد إسلامه، ولو قدر ذلك فهو تجديد لإسلامه لنقصه بذلك لا لكفره لكن الذي
يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ما شئت من الأيمان صادقاً
أو كاذباً. فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يقدم على
اليمين به إن كان كاذباً. فهذا شرك أكبر بلا ريب، لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل
وأعظم من الله. وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام، لأن جهد اليمين عندهم هو
الحلف بالله كما قال تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ}
(سورة النحل آية: ٣٨) فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته، أو تربته فهو أكبر
شركاً منهم، فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة^(٣)

^(١) أخرجه: أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)

^(٢) أخرجه مسلم (١٦٤٦) (٤)، وابن حبان (٤٣٦١)

^(٣) تيسير العزيز الحميد (٥٢٩)

و اسمع إلى ابن مسعود -رضي الله عنه- وهو يبين لنا خطورة الحلف بغير الله فيقول:
وقال ابن مسعود: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقًا»

وإنما رجح ابن مسعود رضي الله عنه الحلف بالله كاذبًا على الحلف بغيره صادقًا، لأن الحلف بالله توحيد، والحلف بغيره شرك، وإن قدر الصدق في الحلف بغير الله فحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك. ذكره شيخ الإسلام. وفيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقًا أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر. وفيه شاهد للقاعدة المشهورة وهي: ارتكاب أقل الشرين ضررًا إذا كان لا بد من أحدهما^(١)

بل إن من أقبح صور اللامبالاة في الحلف أن لا يقنع الحلف بالله بل يطلب منه إن يحلف بآبيه أو أمه أو شيخه.

عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحلفوا بأبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله»^(٢)

فالذي لا يرضى بالحلف بالله في قلبه دخن الشرك، وقلة الهيبة لله -سبحانه وتعالى - فلو علم قدر المحلوف به وعظمته ما طلب من الخالف لأن يحلف بغيره .

ومن صور اللامبالاة أيضا: الحلف بغير ملة الإسلام، فتجد البعض إذا أراد أن يغلظ يمينه يحلف باليهودية أو النصرانية أو المجوسية، وهذا أمر شائع بين النساء لكثرة جهلهم وقلة علمهم فتسمع من تقول -أكون يهودية أو نصرانية، أو مجوسية - وهذا من أفحش صور اللامبالاة أيضا فقد أخرج البخاري ومسلم قال النبي ﷺ: مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ مِلَّةٍ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ^(٣)

^(١) تيسير العزيز الحميد (٥٣٠)

^(٢) سنن ابن ماجه (٢١٠١)

^(٣) البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب من حلف بملة سوى ملة الإسلام، ٨ / ١٣٣، ح ٦٦٥٢. ومسلم، كتاب الأيمان، باب تحريم قتل الإنسان نفسه، ١ / ٧٣، ح ١١٠

وعن بريدة رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ صَادَقًا فَلَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ سَالِمًا»^(١)

قال الحافظ بن حجر - رحمه الله - « بعد أن ذكر رأي العلماء في ذلك: والتحقيق التفصيل فإن اعتقد تعظيم ما ذكر كفر وإن قصد حقيقة التعليق فينظر فإن كان أراد أن يكون متصفاً بذلك كفر لأن إرادة الكفر كفر وإن أراد البعد عن ذلك لم يكفر لكن هل يحرم عليه ذلك أو يكره تنزيهاً الثاني هو المشهور »^(٢)

ثانياً - من صور اللامبالاة بالكلمة:

(١) اللعن: فكثيراً من نسمع من يلعن دابته أو سيارته أو زوجته أو أبنائه أو جيرانه، ولا يبالي بتلك الكلمة وكأنها كلم عابرة لا تضره في شيء، مع أن أمرها عظيم وخطرها كبير على ذلك الإنسان.

عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتْ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُعَلَّقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ، فَتُعَلَّقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاحًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لَعَنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»^(٣)

عَنْ أَبِي بَرزَةَ قَالَ: كَانَتْ رَاحِلَةٌ أَوْ نَاقَةٌ أَوْ بَعِيرٌ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ الْقَوْمِ وَعَلَيْهَا جَارِيَةٌ، فَأَخَذُوا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَتَضَايَقَ بِهِمُ الطَّرِيقُ، فَأَبْصَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: حَلْ حَلْ، اللَّهُمَّ ائْتِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ صَاحِبُ هَذِهِ الْجَارِيَةِ؟ «لَا تَصْحُبُنَا رَاحِلَةٌ أَوْ نَاقَةٌ أَوْ بَعِيرٌ عَلَيْهَا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ»^(٤)

^(١) أخرجه النسائي (٦/٧)، وابن ماجه (٦٧٩/١)، رقم (٢١٠٠)، والحاكم (٣٣١/٤)، رقم (٧٨١٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين

^(٢) فتح الباري (ج ١١) (ص: ٥٧٤)

^(٣) - رواه أبو داود (ح: ٤٩٠٥) رواه البزار (٤٠٨٤)، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٣٨١)، والبيهقي في "الشعب" (٤٧٩٩)

^(٤) أخرجه ابن حبان (٥٠/١٣)، رقم (٥٧٤٠). وأخرجه أيضاً: مسلم (٢٠٠٤/٤)، رقم (٢٥٩٥)

عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ.»^(١)

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «كُنَّا إِذَا رَأَيْنَا الرَّجُلَ يَلْعَنُ أَخَاهُ، رَأَيْنَا أَنْ قَدْ أَتَى أَبَا مِنْ الْكِبَائِرِ»^(٢)

بل إن النبي ﷺ قد نفى عنه الإيمان عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْمَرْءُ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا بِاللَّعَّانِ، وَلَا بِالْفَاحِشِ، وَلَا بِالْبَذِي»^(٣)

متى يجوز اللعن؟

قال الإمام النووي -رحمه الله- اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، ولعن الله الفاسقين، لعن الله المصورين

«لَعَنَ اللَّهُ مَنْ دَبَّحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ»^(٤)، «لَعَنَ اللَّهُ أَكِلَ الرَّبَا، وَمُوكِلَهُ»^(٥)

«لَعَنَ اللَّهُ الْمُصَوِّرِينَ ...»^(٦) «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ ...»^(٧) «لَعَنَ اللَّهُ

السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ»^(٨) «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ»^(٩) «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ

وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١٠) «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من

^(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) (٨٦)

^(٢) الطبراني في "الأوسط" (٣٨٠/٦)

^(٣) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص ١١٧، باب ليس المؤمن بالطعان، الحديث (٣١٣)، وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٥٠، كتاب البر. . .

(٢٨)، باب ما جاء في اللعنة (٤٨)، الحديث (١٩٧٧)

^(٤) -أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٥٦٦- ٥٦٧، ومسلم (١٩٧٨) (٤٣)، والبزار (٤٩١)، وأبو يعلى (٦٠٢)

^(٥) «مسند أحمد» (٦/ ٢٧٠ ط الرسالة): «وأخرجه عبد الرزاق (١٤٦٣٣) و (١٤٦٣٦)»

^(٦) [البخاري، رقم: ٢٦٨٦]

^(٧) مسلم، رقم: ٤٣/ ١٩٧٨؛ أي: حدودها]

^(٨) [البخاري رقم: ٦٧٨٣؛ مسلم، رقم: ١٦٨٧]

^(٩) [مسلم، رقم: ١٩٧٨]

^(١٠) [البخاري، رقم: ٤٣٥؛ مسلم، رقم: ٥٣٠]

الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»^(١) « رأى حِمَاراً قد وُسِمَ في وجهه، فقال: لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ »^(٢)

ثم قال النووي - رحمه الله -: وأما لعن الإنسان بعينه مِمَّنْ اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي؛ كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زانٍ أو مصوِّرٍ أو سارقٍ أو آكلٍ ربا، فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام.

وأشار الغزالي إلى تحريمه إلا في حقِّ مَنْ عَلِمْنَا أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ كَأَبِي هُبَّ وَأَبِي جَهْلٍ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَشْبَاهَهُمْ

قال: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله تعالى، وما ندرى ما يُتَمُّ به لهذا الفاسق أو الكافر فإن دعوتك عليه باللعنة معناها أنك تدعو عليه إلا يرحم أبداً ولا يكون ذلك إلا أن يموت كافراً وه لا يجوز .

قال: وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم، فيجوزُ أنه صلى الله عليه وسلم عَلِمَ موتهم على الكفرِ

و استدلل الغزالي على منع لعن إنسان بعينه بالحديث الذي رواه البخاري عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا أَنَّهُ يَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)^(٣)

ويضيق الغزالي إلى ذلك قول (ولا يجوز لمسلم أن ينسب إلى مسلم كبيرة من غير تحقيق، ولا يجوز أن يرمي مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق)^(٤)

^(١) [البخاري، رقم: ٥٨٨٥]

^(٢) "صحيح مسلم" [رقم: ٩١٦]

^(٣) أخرجه البخاري في الصحيح ٧٥ / ١٢، كتاب الحدود (٨٦)، باب ما يكره من لعن شارب الخمر. . . (٥)، الحديث (٦٧٨٠)

^(٤) السلوك الاجتماعي في الإسلام (ص ١٤٨-١٤٩)

(ب) ومن صور اللامبالاة بالكلمة ما يسمى (بالنكته):

فقد أصبحت أمرا عاديا لدى كثير من الناس فيجلس في المجلس ويقول (اسمعوا آخر نكته ثم يكذب في قوبه من أجل أن يضحك الناس ومن أجل أن يقال عنه أنه ظريف وتلك والله طامة كبرى، لأن الله يبغض الكذب والكذابين.

وعندما ننظر إلى الآيات القرآنية نجد أن الكذاب من ضمن الذين لعنهم الله تعالى يقول سبحانه وتعالى ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]

ولعل من الأمور التي لا يبالى بها الناس وشاعت في مجالسنا التندر بالغرائب والعجائب، حتى وصل الحال إلى الكذب، والادعاء من أجل إضحاك الآخرين، فرى البعض من الأصحاب إذا جلس فقير مجلس مع أصحابه و أراد أن يظهر خفة دمه و مزاحه، بأنه ملك الفكاهة و الدعابة تراه يكذب في القول، وما علم المسكين أن النبي ﷺ توعده الذي يكذب في حديث من أجل إضحاك الآخرين بالويل و الثبور قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ »^(١)

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا»^(٢)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ حَتَّى يَتَرَكَ الْكَذِبَ فِي الْمَزَاحِ، وَالْمِرَاءِ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا »^(٣)

قَالَ: قَالَ عُمَرُ « لَا يَجِدُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَدَعَ الْمِرْءَ وَهُوَ مُحِقٌّ وَيَدَعَ الْكَذِبَ فِي الْمَزَاحِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَعَلَبَ »^(٤)

(ج) ومن صور اللامبالاة بالكلمة (الكذب في الرؤيا)

^(١) «مسند أحمد» (٣٣/ ٢٤٤ ط الرسالة) «وأخرجه أبو داود (٤٩٩٠)

^(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠) من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه -

^(٣) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٥٠٩٩)

^(٤) الكذب و الكذابين (ص ٢٦)

ومن صور اللامبالاة بالكلمة (الكذب في الرؤيا) وهو أن يحدث أنه رأى في نومه كذا وكذا، وهو لم ير شيئا، فإن ذلك من أعظم الفري، والفري-بكسر الفاء، وفتح الراء -: جمع فرية و هي الكذبة

عن واثلة بن الأسقع قال رَسُوْلُ اللهِ ﷺ «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرَى عَيْنُهُ فِي الْمَنَامِ مَا لَمْ تَرِ يَا ، أَوْ يَقُولَ: عَلَى رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ»^(١)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كَلَّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنْ)^(٢)

فقال الطبري: إنما اشتد فيه الوعيد مع أن الكذب في اليقظة قد يكون أشد مفسدة منه، إذ قد تكون شهادة في قتل، أو حد أو أخذ مال، لأن الكذب في المنام كذب على الله تعالى أنه أراد ما لم يره، والكذب على الله أشد من الكذب على المخلوقين، لقوله تعالى {وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ} الآية، وإنما كان الكذب في المنام كذبا على الله لحديث الرؤيا جزء من النبوة، وما كان من أجزاء النبوة فهو من قبل الله تعالى^(٣)

(د) من صور اللامبالاة (اللامبالاة الكذب على الله ورسوله)

ومن صور اللامبالاة التي أصبحت عادة مألوفة عند كثير من الخطباء الأجراء الكذب على الله ورسوله ﷺ فيدخل المسلم ليصلي الجمعة فيجد الخطيب قد أعد له موسوعة من الكذب على الله ورسوله ﷺ

هم الكثير منهم أن يقضي خطبته ومهمته، وإن كانت بأحاديث موضوعة أو ضعيفة وفريق آخر همه أن يجذب الناس بكلام معسول وإن كذبا وزورا، وهذا دليل على قلة

^(١) أخرجه البخاري (٣٥٠٩) ، والطبراني في "الكبير" ٢٢ / (١٧٨)

^(٢) البخاري ١٢ / ٣٧٤ و ٣٧٥ في التعبير، باب من كذب في حلمه، والترمذي رقم (٢٢٨٤)

^(٣) «الكوكب الدري على جامع الترمذي» (٢٠١ / ٣)

بضاعة هؤلاء من السنة النبوية، وضعفهم في المنزلة العلمية فلوا أنهم أجراء ما تكلموا، وأصبحت رسالة الدعوة وظيفية، وليست رسالة.

فإلى هؤلاء الذين لا يبالون بالأحاديث الضعيفة، والموضوعة والقصص الواهية هذا التحذير النبوي ففي الحديث المتواتر عن سبعين صحابياً كلهم يقول قال رسول الله ﷺ «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، أَوْ قَالَ مَا لَمْ أَقُلْ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١)

عن علي قال النبي ﷺ : «لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ»^(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي، وَلَا تَكْتُبُوا بِكُنْيَتِي، وَمَنْ رَأَانِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَانِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - وإنما ساقه المؤلف بتمامه ولم يختصره كعادته لينبه على أن الكذب على النبي ﷺ يستوي فيه اليقظة والمنام والله سبحانه وتعالى أعلم فإن قيل الكذب معصية إلا ما استثني في الإصلاح وغيره والمعاصي قد توعدها بالناز فما الذي امتاز به الكاذب على رسول الله ﷺ من الوعيد على من كذب على غيره

فالجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أن الكذب عليه يكفر متعمده عند بعض أهل العلم وهو الشيخ أبو محمد الجويني لكن ضعفه ابنه إمام الحرمين ومن بعده ومال بن المنير إلى اختياره ووجهه بأن الكاذب عليه في تحليل حرام مثلاً لا ينفك عن استحلال ذلك الحرام أو الحمل على استحلاله واستحلال الحرام كفر والحمل على الكفر كفر وفيما قاله نظر لا يخفى والجمهور على أنه لا يكفر إلا إذا اعتقد حل ذلك

الجواب الثاني: أن الكذب عليه كبيرة والكذب على غيره صغيرة فافترقا ولا يلزم من استواء الوعيد في حق من كذب عليه أو كذب على غيره أن يكون مقرهما واحداً أو

^(١) أخرجه البخاري (١٠٨)، ومسلم (٢)

^(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٦١/٨-٧٦٢، ومسلم (١)، والبزار (٩٠٢)

^(٣) أخرجه البخاري (١١٠) و (٦١٩٧)

طول إقامتهما سواء فقد دل قوله صلى الله عليه وسلم فليتبوا على طول الإقامة فيها بل ظاهره أنه لا يخرج منها لأنه لم يجعل له منزلاً غيره إلا أن الأدلة القطعية قامت على أن خلود التأبيد مختص بالكافرين»^(١)

فهلا مرت هذا الأحاديث بهؤلاء الأجراء وأغفلوا عنها، أم انهم لم يعلموا بها وتلك مصيبة.

وأخرج أحمد ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه -عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ »^(٢)

(هـ) ومن صور اللامبالاة (الاشتغال بعيوب الناس)

فأصبحت مجالسنا عبارة عن قيل وقال وهذا به وعليه، وتلك بها وعليها، وأصبحنا لا نبالي في الولوغ في أعراض المسلمين، وأغفلنا عيوبنا.

زاذان المدايني يقول: «رأيت أقواماً من الناس لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس: فستر الله عيوبهم، وزالت عنهم تلك العيوب، ورأيت أقواماً لم تكن لهم عيوب؛ اشتغلوا بعيوب الناس: فصارت لهم عيوب»

فإن من الناس ومن همه التحدث في أعراض المسلمين والمسلمات ولا يبالي بعد ذلك، وهذا الصنف من البشر أسلم بلسانه ولم يستقر الإيمان في قلبه

فعن ابن عمر، قال: صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا المنبر، فنادى بصوت رفيع، وقال: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَطْلُبُوا عَثَرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْ عَوْرَةَ الْمُسْلِمِ، يَطْلُبِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَطْلُبِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ، وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ»^(٣)

وقال ابن عباس -رضي الله عنه- إذا أدركت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك .

^(١) فتح الباري (ج١) (ص٢٤٤)

^(٢) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه وأحمد (١٨٢١١)، والترمذي (٢٦٦٢)

^(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢)، وابن حبان في صحيحه (٥٧٦٣)، وأبو الشيخ في التوضيح والتنبيه (٩٣)

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ولا يبصر الجذع في عين نفسه، وكيف يعيب العور من هو أعور.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - البلاء موكل بالقول، ولو سخرت من كلب لخشيت أن أكون كلبا.

وقال أبو بكر بن عبد الله المزني - رحمه الله - إذا أردت أن تنظر إلى عيوب جمة فتأمل عيابا، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من عيوب.

وقال الشاعر:

المرء إذا كان عاقلا ورعا اشغله عن عيوبه ورعه

كما المريض السقيم يشغله عن وجع الناس كلهم وجعه

و قال آخر :

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا فيهلك الله سترا من مساويك

واذكر محاسن ما فيهم إذا ما ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

يقول ابن القيم - رحمه الله - وقوله : «وكلُّ معصيةٍ عيّرتَ بها أخاك فهي إليك».

يحتمل أن يريد به: أنها صائرةٌ إليك ولا بدّ أن تعملها. وهذا مأخوذٌ من الحديث الذي رواه الترمذي في جامعه عن النبي صلى الله عليه وسلم «من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل» قال الإمام أحمد في تفسير هذا الحديث: من ذنب قد تاب منه.

وأیضا ففي التعبير ضرب خفي من الشماتة بالمعير، وفي الترمذي أيضا مرفوعا «لا تظهر الشماتة لأخيك، فیرحمه الله ویتلیک»^(١)

^(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٥٠٥)، أخرجه أيضًا الطبراني في "الأوسط" (٧٢٤٤) والبيهقي في "شعب الإيمان" (٦٢٧١، ٦٣٥٦) من حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال الترمذي: "حديث حسن غريب، وليس إسناده بمتصل، وخالد بن معدان لم يدرك معاذ بن جبل". وفيه أيضًا محمد بن الحسن الهمداني، كذاب متروك الحديث. وقد حكم عليه بالوضع: ابن الجوزي في "الموضوعات" (١٥١١) والسيوطي في "الآلآلي المصنوعة" (٢/ ٢٤٨) والألباني في "الضعيفة" (١٧٨) وغيرهم

ويحتمل أن يريد: أن تعيرك لأخيك بذنبه أعظم إثما من ذنبه وأشد من معصيته، لما فيه من صولة الطاعة، وتزكية النفس، وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب، وأن أخاك باء به، ولعل كسرتة بذنبه، وما أحدث له من الذلة والخضوع، والإزراء على نفسه، والتخلص من مرض الدعوى، والكبر والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع الطرف، منكسر القلب أنفع له، وخير من صولة طاعتك، وتكثرك بها والاعتداد بها، والمنة على الله وخلقه بها، فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله! وما أقرب هذا المدل من مقت الله، فذنب تذلل به لديه، أحب إليه من طاعة تذلل بها عليه، وإنك أن تبيت نائما وتصبح نادما، خير من أن تبيت قائما وتصبح معجبا، فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف، خير من أن تبكي وأنت مدل، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسيحين المدلين، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلا هو فيك ولا تشعر^(١)

فعليك -أخي المسلم- بخاصة نفسك وانشغل بعيوبك عن عيوب غيرك، لأنجزاء من جنس العمل، فمن تتبع عورة أخيه كان جزاؤه، يتبع الله عورته، ومن انشغل بعيوب الناس و غيرهم ابتلاه الله و عافاهم .

حبس ابن سيرين بذنب ركبه، قال المدائني: كان سبب حبسه أنه أخذ زيتاً بأربعين ألف درهم، فوجد في زق منه فأرة فظن أنها وقعت في المعصرة وصب الزيت كله، وكان يقول: إني ابتليت بذنب أذنبته منذ ثلاثين سنة. قال: فكانوا يظنون أنه عير رجلا بفقر.

وعن ابن سيرين قال: قلت مرة لرجل: يا مفلس فعوقبت.

قال أعرابي، وسمع رجلا يقع في الناس، فقال: قد استدلت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس، لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها.

قال الشاعر:

^(١) مدارج السالكين (ج ١ ص ١٩٦-١٩٧)

ويأخذ عيوب الناس من عيب نفسه مرادٌ لعمري ما أراد قريب

وقال آخر:

وأجراً من رأيت بظهر غيبٍ على عيب الرجال أخو العيوب

وبعد موقعة الجمل يقال أن أعين بن ضبيعة المجاشعي اطلع في الهودج فقالت: إليك لعنك الله، فقال: والله ما أرى إلا حميراً، فقالت: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك. فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمي عريانا في خربة من خرابات الأزد»^(١)

(هـ) ومن صور اللامبالاة «كثرة الكلام في غير الحق».

ومن صور اللامبالاة بالكلمة (كثرة الكلام في غي حق) فأصبحت الثثرة بالكلام سمة كثير من الناس، فهو يتكلم ولا يبالي بما يقول أهو في كفة الحسنات، أم هو في كفة السيئات، فمن الناس من إذا جالسته أصدع راسك بحديثه الغث، و كلامه الرث، لذا حذرنا النبي ﷺ قال « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمِّهَاتِ، وَوَأَدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ ». ^(٢) قال النووي -رحمه الله- « قِيلَ وَقَالَ » فهو الخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم ^(٣)

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِيُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرَثَارُونَ، الْمُتَفَيِّهُونَ الْمُتَشَدُّقُونَ » ^(٤)

^(١) «البداية والنهاية ط السعادة» (٢٤٤ / ٧)

^(٢) أخرجه: البخاري ٤ / ٨ (٥٩٧٥)، ومسلم ٥ / ١٣٠ (٥٩٣) (١٢)

^(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٢ / ١١)

^(٤) أخرجه أحمد (١٧٧٣٢)، وابن حبان (٤٨٢)، والطبراني ٢٢ / ٥٨٨، والبيهقي في الشعب (٧٩٨٩)، والبيهقي (٣٣٩٥)، وأبو نعيم في الحلية ٣ /

فكثرة الكلام سبب من أسباب البعد عن النبي ﷺ يوم القيامة لأن من كثر كلامه كثر خطأه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه - لا خير في فضول الكلام.

وقال عمر رضي الله عنه - (من كثر كلامه كثر سقطه).

وقال آخر:

يموت الفتى من عشرة بلسانه وليس يموت المرء من عشرة الرجل

فعثرته فيه ترمي برأسه وعثرته بالرجل تبرأ على مهل

* وهيا لنقف مع ابن مسعود رضي الله عنه وهو يحذرنا من فضول الكلام

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَنْذَرْتُكُمْ فَضُولَ الْكَلَامِ، بِحَسَبِ أَحَدِكُمْ مَا بَلَغَ حَاجَتَهُ»

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «أَكْثَرُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ»

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَقُّ بِطُولِ السَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ»

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: كَانُوا يَقُولُونَ: «إِنَّ لِسَانَ الْحَكِيمِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ

يَرْجِعُ إِلَى قَلْبِهِ، فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالَ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ، وَإِنَّ الْجَاهِلَ قَلْبُهُ فِي طَرْفِ

لِسَانِهِ، لَا يَرْجِعُ إِلَى الْقَلْبِ، فَمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ تَكَلَّمَ بِهِ»، وَقَالَ أَبُو الْأَشْهَبِ: كَانُوا

يَقُولُونَ: «مَا عَقَلَ دِينُهُ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسَانَهُ»

(ز) ومن صور اللامبالاة بالكلمة (الغيبة):

و من تلك الصور التي أخذت صور الفكاهة وأضححت سمير الجالسين تلك الكبير التي

أصبحنا لا نبالي بخطورتها مع أنها منهي عنها في كتاب الله، وسنة سوله ﷺ ، وصور

القرآن المغتاب بصورة وحش ،انقض على أخيه الإنسان بعد موته ، فأخذ يلتهم جثته ،

و ينهش لحمه ، و يمزق أوصاله ، و هو تصوير يكرهه الإنسان و ينفر منه ، و مع ذلك يقع فيه و ينحرف إليه قال الله تعالى : ﴿ **أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحجرات: ١٢]

يقول الإمام فخر الدين الرازي - رحمه الله - : «ما الحكمة في هذا التشبيه؟ نقول هو إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهذا من باب القياس الظاهر، وذلك لأن عرض المرء أشرف من لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى لأن ذلك آلم، وقوله لحم أخيه أكد في المنع لأن العدو يحمل الغضب على مضغ لحم العدو، فقال أصدق الأصدقاء من ولدته أمك، فأكل لحمه أقبح ما يكون، وقوله تعالى: ميتا إشارة إلى دفع وهم، وهو أن يقال القول في الوجه يؤلم فيحرم، وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتتاب فلا يؤلم، فقال أكل لحم الأخ وهو ميت أيضا لا يؤلم، ومع هذا هو في غاية القبح لما أنه لو اطلع عليه لتألم، كما أن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه»^(١)

وقال ابن عباس - رضي الله عنه - يرفعه: من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم القيامة، فيقال له (كله ميتا كما أكلته حيا) فيأكله و يكلح و يصيح.^(٢)

و اسمع يا من لا تبالي بالغيبة، وتحافظ على الصلاة و الزكاة و الحج و الصوم و تتورع عن الربا، فقد وقعت في رباب عظيم، بل وقعت في أربى الربا - و العياذ بالله - عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا مِثْلُ إِثْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ، وَأَرْبَى الرَّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ»^(٣)

^(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٨ / ١١٠)

^(٢) ذكره ابن حجر في الفتح (ج ١ - ص : ٤٨٥)

^(٣) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٥٣٧ في صحيح الجامع

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحومَ الناس، ويقعون في أعراضهم»^(١)

وقال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة لا في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس.

فإن سألت: عن معنى الغيبة التي ورد النهي عنها، جاءك الجواب من النبي ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْغَيْبَةُ؟ قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: فَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتْهُ.»^(٢)

فإن قلت ما هو حكم الغيبة؟ وما هو رأي العلماء فيها؟

الجواب اعلم - علمني الله وإياك - : أن الغيبة حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، والخلاف في كونها من الكبائر أم من الصغائر.

فنقل القرطبي الإجماع على أنها من الكبائر، ولكن قضية الإجماع غير مسلمة، لان الغزالي وصاحب عمدة من الشافعية يريان أنها من الصغائر، وذهب المهدي إلى أنها محتملة بناء على أن ما لم يقطع بأنه من الكبائر فهو محتمل كما تقول المعتزلة.

قال الزركشي - رحمه الله - والعجب ممن يعد أكل الميتة كبيرة، ولا يعد الغيبة كبيرة والله أنزلها منزلة أكل لحم الآدمي، ومما استدل به القائلون بأنه صغيرة قولهم: لو لم تكن صغيرة للزم أن يكون أكثر المسلمين فساقاً أو كلهم إلا نادراً وهذا حرج عظيم

^(١) مسلم: (١/ ١٠١) (١) كتاب الإيمان (٤٥) باب بيان غلط تحريم النميمية - رقم (١٦٨)

^(٢) رواه أبو داود رقم (٤٨٧٤) في الأدب، باب في الغيبة، والترمذي رقم (١٩٣٥) في البر والصلة، باب ما جاء في الغيبة

وأجيب: بأن انتشار المعصية وارتكاب جميع الناس لها لا يدل على أنها صغيرة، كما أن هذا الانتشار والإصرار عليه لم يكن كذلك من قبل حين كان أهل الخير كثيرين في هذه الأمة على أن الإصرار عليها كبيرة وهو منتشر في الأمة اليوم انتشاراً كبيراً.

وقال الألوسي - رحمه الله - في تفسير (روح المعاني) بعد أن ذكر الرأيين السابقين: ونعم ولا يبعد أن يكون منها ما هو من الصغائر، وما هو من الكبائر.

فالأولى: مثل الغيبة التي لا يتأذى بها الناس كثيراً من نحو عيب الملبوس والدابة وغير ذلك.

والثانية: كغيبة الأولياء والعلماء بألفاظ الفسق والفجور، ونحوها من الألفاظ الشديدة الإيذاء ومن ذلك: كل تشنيع يصد الناي عن العالم، ويمنعهم سماعه واتباعه، وعلى كل فالقول بالأجماع على أنها من الكبائر غير صحيح.

قال النووي في الأذكار:

«فإن ذكر عيباً في عالم وأراد بيان غلطه لئلا يُقلَّد، أو بيان ضعفه في العلم لئلا يُغترَّ به ويُقبل قوله، فهذا ليس غيبة، بل نصيحة واجبة يثاب عليها إذا أراد ذلك، وكذا إذا قال المصنف أو غيره: قال قوم أو جماعة كذا، أو وهذا غلط أو خطأ أو جهالة وغفلة ونحو ذلك فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين»^(١)

فإن قلت: أنا لا اغتاب المسلمين، ولكن لا أبالي بسماع الغيبة والجلوس مع المغتابين - فما حكم ذلك - أرشدك الله - ؟

الجواب: قال النووي - رحمه الله - في (الأذكار): اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها فيجب على من سمع إنساناً يتدبَّر غيبة محرمة أن ينهأه إن لم يخف ضرراً ظاهراً، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقتها، فإن قدر على الإنكار بلسانه، أو على قطع الغيبة

^(١) السلوك الاجتماعي (ص: ١٢٧-٢٢٨)

بكلام آخر، لزمه ذلك، إن لم يفعل عصي، فإن قال بلسانه: أسكت وهو يشتهي بقلبه استمراره فقال أبو حامد الغزالي: ذلك نفاق لا يخرجُه عن الإثم، ولا بدّ من كراهته بقلبه، ومتى اضطرّ إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة، وعجز عن الإنكار، أو أنكر فلم يُقبل منه ولم يُمكنه المفارقة بطريق حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة، بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه، أو بقلبه، أو يفكر في أمر آخر ليشغل عن استماعها، ولا يضرّه بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغاء في هذه الحالة المذكورة، فإن تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرّون في الغيبة ونحوها، وجب عليه المفارقة، قال الله تعالى: **(وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [الأنعام: ٦٨].**

وروينا عن إبراهيم بن أدهم -رضي الله عنه- أنه دُعي إلى وليمة، فحضر، فذكروا رجلاً لم يأتهم، فقالوا: إنه ثقيل، فقال إبراهيم: أنا فعلتُ هذا بنفسِي حيثُ حضرتُ موضعاً يُغتَاب فيه الناس، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام.

وفيما ذكر جاء قوله تعالى: **(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) [القصص: ٥٥]**

وقوله تعالى: **(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء: ٣٦]**

وجاء قوله ﷺ عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)

وفي قصة تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك قال النبي ﷺ «مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ:

^(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في "الصِّمْت" (٢٣٩)، والطبراني في "مكارم الأخلاق" (١٣٤)، والبغوي في "شرح السنة" (٣٥٢٨)

يُسْأَلُ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -
«(١)»

(ح) ومن صور اللامبالاة بالكلمة (النميمة)

و من صور اللامبالاة في زمن كثر فيه التنافس على الدنيا و مغرياتها، فظهر الحقد و
الحسد و العداوة و البغضاء بين الناس، وأصبح المرء لا يبالي في أن يفسد بين الأحبة و
الأصدقاء و أن يكون سلاحه في ذلك النميمة، و هي نقل الكلام بين الناس على وجه
الإفساد بينهم ، ولقد أمر المولى سبحانه بعدم طاعة هؤلاء ، و عدم الإصغاء إليهم يقول
المولى - سبحانه و تعالى - ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:
١٠-١١]

واعلم - علمني الله وإياك- أن الذي لا يبالي بالنميمة هو من أشر الناس ، قال الْحَسَنُ ،
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ شَرِّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ، يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِ وَهَؤُلَاءِ
بِوَجْهِ، وَمَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنَ
النَّارِ» «(٢)»

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي
هَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ» «(٣)»

واعلم أن النميمة سبب من أسباب عذاب القبر : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ
عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِعُهُ مِنَ الْبُولِ،

(١) أخرجه: البخاري ٦/ ٣ (٤٤١٨)، ومسلم ٨/ ١٠٥ (٢٧٦٩) (٥٣) و (٥٤) و (٥٥)

(٢) أخرجه ابن حبان (١٩٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٩٧٩)، والخطيب في تاريخه (١٢/ ١٠٣)، وهناد في الزهد (١١٣٧)، والبزار (٢٠٢٥) -
كشف).

وقد ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٩٥) وقال: وفيه إسماعيل بن مسلم المكي، وهو ضعيف.

قلت: وفيه أيضاً الحسن وهو مدلس، وقد عنعنه

(٣) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (ص ٩٨، رقم ٢٣٣). وأخرجه أيضاً: أحمد (٤/ ٢٢٧، رقم ١٨٠٢٧) قال الهيثمي (٨/ ٩٣): فيه شهر بن
حوشب وقد وثقه غير واحد وبقيّة رجال أحد أسانيده رجال الصحيح

وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا يَعْصِيْبَ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِإِثْنَيْنِ، ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَقَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَا.»^(١)

واعلم أن النمام حرام عليه رائحة الجنة :

عَنْ حُدَيْفَةَ «أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنْتُمُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ»^(٢)

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: النميمة إنما تُطلق في الغالب على مَنْ يَنْتُمُ قولَ الغير إلى المقول فيه، كقوله: فلان يقولُ فيك كذا،

وليست النميمة مخصوصةً بذلك، بل حدّها كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه، أو المنقول إليه، أو ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها، وسواء كان المنقول من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو غيره، فَحَقِيقَةُ النميمة: إفشاء السرِّ، وهتكُ الستر عما يكره كشفه، وينبغي للإنسان أن يسكتَ عن كلِّ ما رآه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدةٌ لمسلم أو دفعُ معصية، وإذا رآه يُخفي مالَ نفسه فذكره، فهو نميمة.

قال: وكلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمةٌ وقيل له: قال فيك فلان كذا، لزمه ستة أمور: الأول: أن لا يصدقه، لأن النمام فاسقٌ، وهو مردود الخبر.

الثاني: أن ينهائه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى، فإنه يبغض عند الله تعالى، والبغضُ في الله تعالى واجب.

الرابع: أن لا يظنَّ بالمنقول عنه السوء، لقول الله تعالى: (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ) [الحجرات: ١٢].

^(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٢)، ومسلم (٢٩٢)، والترمذي (٧٠)، والنسائي في "الكبرى" (٢٧)، وابن ماجه (٣٤٧)

^(٢) أخرجه مسلم (١٠٥) (١٦٨)، والبزار في "مسنده" (٢٨٩٨)، وابن أبي الدنيا في "الصمت" (٢٥١)، وفي "الغيبة" (١١٥)

الخامس: أن لا يحملك ما حُكي لك على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك، قال الله تعالى: **(وَلَا تَجَسَّسُوا)** [الحجرات: ١٢] .

السادس: أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام، عنه فلا يحكي نيمته.

وقد جاء أن رجلاً ذَكَرَ لعمرَ بن عبد العزيز رضي الله عنه رجلاً بشيء، فقال عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرِكَ، فإن كنتَ كاذباً فأنتَ من أهل هذه الآية: **(إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا)** [الحجرات: ٦] وإن كنتَ صادقاً، فأنتَ من أهل هذه الآية: **(هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ)** [القلم: ١١] وإن شئتَ عفونا عنكَ، قال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعودُ إليه أبداً.

ورفع إنسانٌ رُقعةً إلى الصاحب بن عبادٍ يحثُّه فيها على أخذ مال يتيماً وكان مالاً كثيراً، فكتبَ على ظهرها: النميمةُ قبيحةٌ وإن كانتَ صحيحةً، والميتُ رحمه الله، واليتيمُ جبره الله، والمالُ ثَمَرَةُ الله، والساعي لعنه الله

وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخاه له وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه فقال له يا أخي أطلت الغيبة وأتيتني بثلاث جنایات بغضت إلي أخي وشغلت قلبي بسببه واتهمت نفسك الأمانة.^(١)

وبعد.... هذه هي النميمة وهذا هو جزاء النمام، فكن على حذر - عبد الله - وإياك والسعي بين الناس بها، لأن فيها حرمان جنة تجري من تحتها الأنهار.

(ط) ومن صور اللامبالاة بالكلمة الاستهزاء والسخرية: وفي زمن العولمة - كما يقولون - وزمن القنوات الفضائية و التمدن و التقدم ، ظهرت اللامبالاة في ثياب عصرية باليه و سار الناس لا يبالون بكثير من أمور الدين الحنيف ، فأصبح الحجاب بدعة و وتحلف و أصبح الربا فائدة ، و الجهاد إرهاباً ، و أصبح الذئب راعياً ، و الخصم الجائر قاضياً ، و نطق في الرويضة ، ووسد الأمر إلى غير أهله وأصبح الاستهزاء و السخرية فناً

^(١) الكبائر للذهبي (ص ١٣٣-١٣٥)

يخدم و يراعى و يعتنى به ، وأصبح يدرس على هؤلاء السفهاء ، و أصبحوا يقدمون مكفآت لمن يمارسون ذلك في حياتهم

و العجب كل العجب ... أنك ترى أناساً يسخرون و هم خنازير بالحياد الأصلية، و كلاب يسخرون بالطباء الجميلة، و تراهم كذبة يستهزون بالصادقين، و خونة يسخرون بالأمناء، و جبنا يسخرون بالشجعان ، و منافقون يسخرون من الصادقين .

إذا عير الطائي بالبخل مادرٌ وعير قساً بالفهاهة باقل
وطاولت السحب السماء سفاهة وفاخرت الأرض الحصى والجنادل
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى يا صبح لونك حائل
فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

ويقول: عبد الوهاب بن على المالكي - رحمه الله -:

متى يصل العطاشُ إلى ارتواءٍ إذا استتقت البحارُ من الرُكَايا
ومن يُثنى الأصاغرَ عن مُرادٍ إذا جلس الأكابرُ فى الزُوايا
وإن ترفع الوضعا يوماً على الرفعا من إحدى الرُزَايا
إذا استوت الأسافلُ والأعالى فقد طابت مُنادمةُ المنّايا

فأصبح أصحاب العفن الفنى يسخرون من العلماء و الخلفاء و الأمراء، و أصبح السفهاء يسخرون بكل شيء فهذا يسخر بالقرآن ، و آخر يسخر بالسنة ، و آخر يسخر بالمؤمنين و المؤمنات .

فيا من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان قلبه، كفوا عن هذا الغشاء، وهذا العفن ويا من لا تبالي بالاستهزاء هيا لتعرف حقيقة الاستهزاء و السخرية و موقف الشرع منهما .
معنى السخرية و الاستهزاء: الاستهانة و التحقير و التنبيه إلى العيوب و النقائص على وجه يضحك الناس منه، و هذا قد يكون بالكلام ، و قد يكون بالمحاكاة و التمثيل

بالفعل ، أول القول ، وقد يكون بالإشارة و الإيحاء ، فإن كان بحضور المستهزأ منه فليس بغيبة ، وإن كان في غيبته فهو غيبة ، ما دام يكرهه ، و السخرية محرمان في حق من يتأذى بهما ، و أما من جعل نفسه مسخرة ، و ربما فرح من سخرية الناس به ، و ضحكهم عليه ، فإن السخرية به لا تكون حراما .^(١)

واعلم أن الاستهزاء والسخرية يأخذان أشكالا ودرجات نذكر منها:

أولا : الاستهزاء و السخرية بكتاب الله أو رسوله ﷺ أو سنته :

فهذا كفر - و العياذ بالله - يقول - سبحانه و تعالى - ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ ثُبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ لَا أَرْغَبُ بَطُونًا، وَلَا أَكْذِبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لِأَخِيرِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ (أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ)^(٢)

و قال القرطبي - رحمه الله - قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدا أو هزلا، وهو كيفما كان كفر، فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة. فإن التحقيق أخو العلم والحق، والهزل أخو الباطل والجهل. قال علماؤنا: انظر إلى قوله: قَوْلُهُ: « أَتَتَّخِذُنَا هُزُوءًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » [البقرة: ٦٧].

(٣)

^(١) السلوك الاجتماعي (ص : ١٤٦)

^(٢) جامع البيان للطبري ١٠ / ١٧٢ ، "تفسير القرآن العظيم" لابن أبي حاتم ٦ / ١٨٢٩ ، "أسباب النزول" للواحدي (ص ٢٥٦) ، "تفسير القرآن

العظيم" لابن كثير ٧ / ٢٢٧ ، "الدر المنثور" للسيوطي ٣ / ٤٥٥ - ٤٥٦

^(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨ / ١٩٧)

وحكى ابن خلكان قال: بلغنا أن رجلا يدعى أبا سلامة [١] من ناحية بصرى، كان فيه مجون واستهتار، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة، فقال: والله لا أستاك إلا في المخرج- يعني دبره- فأخذ سواكا فوضعه في مخرجه ثم أخرجه، فمكث بعده تسعة أشهر [وهو يشكو من ألم البطن والمخرج] فوضع ولدا على صفة الجرذان له أربعة قوائم، ورأسه كرأس السمكة، [وله أربعة أنياب بارزة، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع] [٢] وله دبر كدبر الأرنب. ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث، وكان يقول هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي، وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حيا، ومنهم من رآه بعد موته»^(١)

فهذا المسكين استهزأ بسنة، فجعله الله عبرة وعظة، وصدق الله تعالى إذا يقول ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤-١٥]

و هذا آخر: «وذكر الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي رحمه الله في كتابه شرح صحيح مسلم هذه الحكاية فيها وثلث رجلاه ويدها وسائر أعضائه. قال وقرأت في بعض الحكايات أن بعض المبتدعة حين سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم) إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها فإنه لا يدرى أين باتت يده (. قال ذلك المبتدع على سبيل التهكم أنا أدري أين باتت يدي في الفراش فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه. قال التيمي فليتق المرء الاستحفاف بالسنن ومواضع التوقيف فانظر كيف وصل إليهما شؤم فعلهما»^(٢)

وهذا قزم آخر يستهزأ بال بحديث فضل طلب العمل عن سمعت احمد بن شعيب يقول كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب

^(١) «البداية والنهاية ط السعادة» (٧/ ٢٦٣) وسرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب (٧٧)

^(٢) «بستان العارفين للنووي» (ص ٥٠) وسرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب (٧٨)

العلم وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال والله لا طرqn
غدا نعلي بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة ففعل ومشى في النعلين فجفت رجلاه جميعا
ووقعت فيهما الأكلة وقال الطبراني سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال كنا
نمشي في بعض ازقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فاسرعنا المشي وكان معنا رجل
ماجن منهم في دينه فقال ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها كالمستهزئ
فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط ^(١)

ثانيا: الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين:

فاليوم ترى و تسمع منافقين يسخرون من مؤمنين و علمانيين يسخرون من دعاة
مخلصين صادقين ،فيا سبحان الله منافق يضلل عالما و مجرم يضلل تقي هذا زمان
انتكست فيه الموازين و أصبح الأمر عاديا ، حتى أضحي عالم الدين و الشريعة مصدر
سخرية و استهزاء ، فهم يسخرون بثيابه و بكلامه ، و بعلمه الذي يحمله حتى تزعزعت
الثقة بين العلماء و عامة الأمة ، فهيا يا من لا تبالي بتك البلية ، لتسمع إلى الله و هو
يحذر من ذلك يقول الله سبحانه و تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ
أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ
وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

و السخرية: التحقير و الاستهزاء و تارة تكون بالتضحيك منه، و التشهير به ، و تارة
يحطه عن درجة الاعتبار و إلحاقه بمن لا حرمة له و لا قيمة ،كما يقول القائل :

فذاك الذي إن عاش لا يعتنى به وإن مات لا تبكي عليه البواكي

وكما يقول القائل: هو أحقر من إن يذكر.

ومثال قول ذلك الشاعر كثيرة، مما يدل على احتقار الإنسان لأخيه ، و استصغاره
لشانه ، وازدرائه لحقه و حرمة و عدم العناية به ، و هذا إن حدث بين المسلم و أخيه

^(١) «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة» (١/ ٦٤ ط العلمية)

فهو ضربة موجعة للرابطة التي تجمع بينهما ، لأنه لا يليق و لا يجوز بين المتفقيين في عقيدة واحدة، فهذه العقيدة أقوى و أصل و أبقى و و أشرف ، فكيف لا يبالي بجرمة أخيه الذي أمره سبحانه و تعالى - ألا يسخر و لا يستهزئ منه ، بل هم جميعا أمام الله و رسوله سواء لا فضل لعربي على عجمي و لا عجمي على عربي إلا بالتقوى و العمل الصالح ، و لذا جاء الخطاب للامة الإسلامية بجميع أفرادها تنهاهم عن السخرية و الاستهزاء ، فقال - سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ [الحجرات: ١١]

قال العلامة ابن كثير - رحمه الله - : ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الكبر بظن الحق وغمص الناس - ويروى - وغمط الناس» ^(١) والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدرا عند الله تعالى، وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له، ولهذا قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾ [الحجرات: ١١] فنص على نهى الرجال، وعطف نهى النساء. وقوله تبارك وتعالى ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي لا تلمزوا الناس. والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١] والهمز بالفعل واللمز بالقول، كما قال عز وجل: ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١١] أي يحتقر الناس ويهمزهم طاغيا عليهم ويمشي بينهم بالنميمة وهي اللمز بالمقال، ولهذا قال هاهنا: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ كما قال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩] أي لا يقتل بعضكم بعضا.

(١) أخرجه بلفظ «غمط» مسلم في الإيمان حديث ١٤٧، وأبو داود في اللباس باب ٢٦، وأحمد في المسند ١/ ٣٨٥، ٣٢٧، وأخرجه بلفظ «غمص» ،

الترمذي في البر باب ٦١، وأحمد في المسند ٤/ ١٣٤، ١٥١

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل بن حيان ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا يطعن بعضهم على بعض، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها»^(١)

عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِيعْ أَحَدُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -، حَسْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»^(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ. فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ »^(٣)

وَعَنْ جُنْدُبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ « أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ أَوْ كَمَا قَالَ .»^(٤)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذْهَبَ عَنْكُمْ غُبَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، لَيَسْتَهَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِرِجَالٍ إِنَّمَا هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِجَلَانِ؛ الَّتِي تَدْفَعُ النَّتْنَ بَأَنْفِهَا»^(٥)

و أما الذي يحتقرون الناس لأنهم أغنياء أو لانهم في مناصب مغرية، أو لأن كلمتهم في الناس مسموعة، أو لأن الشعب يخشاهم و يخافهم، فإنني أقول لهم: أنهم يجب أن يفهموا أن وزنهم في نظر دين الله بحسب عملهم الصالح النافع لهم ، و لغيرهم ، وأنهم

^(١) تفسير ابن كثير (ج-٤) (ص ٢١٢)

^(٢) أخرجه مسلم (١٦٦٣) (٤٢) ، وأبو داود (٣٨٤٦)

^(٣) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٧٥٩) ، ومسلم (٢٦٢٣) ، وأبو داود (٤٩٨٣)

^(٤) أخرجه مسلم (٢٦٢١)

^(٥) وأخرجه أحمد (٨٧٣٦) ، والترمذي (٣٩٥٥) ، وأبو داود (٥١١٦) . وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٢٦٩)

بدون عمل صالح يعملونه ابتغاء وجه الله ، و يكون مرسوماً بحدود شريعة الله ، فإنهم حينئذ أهون على الله و أحقر من الخنافس و الصراصير و حشرات المزابل ، كم مر في الحديث النبوي باب الكبر »^(١)

(ي) ومن صور اللامبالاة بالكلمة (الكلام فيما لا يعني) :

وذلك لأنه تضييع للوقت الذي هو رأس مال المسلم، فالكلام فيما لا يعني إن لم يكن فيه ضرر، ففيه الخسارة، و تضييع الأجر، و لذلك قال النبي ﷺ « إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ قِلَّةَ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ »^(٢) ، وقال أيضا «مَنْ صَمَتَ نَجَا»^(٣)

وقال مجاهد سمعت ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: «خمس لهنّ أحبّ إليّ من الدّهم الموقوفة:

- ١- لا تتكلّم فيما لا يعنيك؛ فإنّه فضل، ولا آمن عليك الوزر.
 - ٢- ولا تتكلّم فيما يعنيك حتّى تجد له موضعاً، فإنّه ربّ متكلّم في أمر يعينه، قد وضعه في غير موضعه فعنت.
 - ٣- ولا تمار حليماً ولا سفيهاً؛ فإنّ الحليم يقيلك، والسّفيه يؤذيك.
 - ٤- واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحبّ أن يذكرك به، وأعفه ممّا تحبّ أن يعفّيك منه، وعامل أخاك بما تحبّ أن يعاملك به.
 - ٥- واعمل عمل رجل يعلم أنّه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام
- وقيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟
- قال لا أسأل عما كفيت وأتكلف مالا يعينني.

^(١) السلوك الاجتماعي في الإسلام (ص: ٨٦)

^(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٣١٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٦١٧)، والبيهقي في شرح السنة (٣٢٠ / ١٤)

^(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٠١)، وأحمد (١٥٩ / ٢)، والدارمي (٢٩٩ / ٢)، وعبد بن حميد (٣٤٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٨٥) من طريق ابن لهيعة به. وقال الترمذي: حديث غريب. وأورده الألباني في «الصحيحة» (٥٣٦)

وقال عمر- رضي الله عنه- لا تتعرض لما لا يعينك واعتزل عدوك وأحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله تعالى ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على شرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى

وقال الغزالي - رحمه الله - وحد الكلام فيما لا يعينك أن تتكلم بكلام ولو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفاركم وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر وإذا بالغت في الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تركية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعينك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك أيضاً بالجواب إلى التضييع هذا إذا كان الشيء مما يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً فتقول له هل أنت صائم فإن قال نعم كان مظهراً لعبادته فيدخل عليه الرياء وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وإن قال لا كان كاذباً وإن سكت كان مستحقراً لك وتأذيت به وإن احتال لمداغة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب.^(١)

فإن قلت: فما علاج ذلك؟

يقول الغزالي - رحمه الله - وَعِلَاجُ ذَلِكَ كُلُّهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْمَوْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ كَلِمَةٍ وَأَنَّ أَنْفَاسَهُ رَأْسُ مَالِهِ وَأَنَّ لِسَانَهُ شَبَكَةٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقْتَنَصَ بِهَا الْحُورَ الْعَيْنَ فَإِهْمَالُهُ ذَلِكَ وَتَضْيِيعُهُ خَسْرَانٌ مَبِينٌ^(٢)

^(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١١٣)

^(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١١٤)

* و هيا لترى - يا من لا تبالي بالحديث عما لا يعينك - حال السلف رضي الله عنهم

١- قال أبو سليمان: مؤرق العجلي: «أمر أنا أطلبه، منذ عشرين سنة لم أنله ولست بتاركة فيما أستقبل. قيل: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: الصمت عما لا يعينني»

٢- وذكر أبو سليمان قال: أن أخا «كتب أخ ليونس بن عبيد الله: أما بعد يا أخي فاكذب إلي كيف أنت. قال: فكتب إليه يونس: «أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني كيف أنا وكيف حالي فأخبرك أن نفسي قد ذلت لي بصيام اليوم البعيد الطرفين الشديد الحر ولم تذلل لي بترك الكلام فيما لا يعينني»

يقول ابن بشار وهو يتحدث عن نعمة الله عليه منذ ثلاثين سنة: ما تكلمت بكلمة أحتاج أن اعتذر عنها!

٤- أبو دجانة رضي الله عنه: دخلوا على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض فكان وجهه يتهلل فقيل له: ما بال وجهك يتهلل يرحمك الله؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من إثنين كنت لا أتكلم فيما لا يعينني وكان قلبي للمسلمين سليماً.

٥- وذكر أبو سليمان عن الأعمش، عن أبي راشد قال: «جاء رجل من أهل البصرة إلى عبيد الله بن عمر فقال: إني رسول إخوانك من أهل البصرة إليك فإنهم يقرءونك السلام ويسألونك عن أمر، هذين الرجلين: علي وعثمان وما قولك فيهما؟ فقال: هل غير؟

قال: لا. قال: جهزوا الرجل. فلما فرغ من جهازه قال: «اقرأ عليهم السلام وأخبرهم أن قولي فيهم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]»

٦- وذكر أبو سليمان قال: أخبرني محمد بن الحسين الآبري قال: حدثنا محمد بن الربيع الجيزي قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: حدثنا الشافعي قال: " قيل لعمر بن

عبد العزيز: ما تقول في أهل صفين؟ فقال: «تلك دماء طهر الله يدي منها فلا أحب أن أخضب لساني بها»^(١)

يقول ابن القيم رحمه الله - «فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعينك دون مالا يعينك فالفكر فيما لا يعني باب كل شر ومن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أحق شيء بإصلاحه من نفسك فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي تبتعد بها أو تقرب من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه ورضاه عنك وكل الشقاء في بعدك عنه وسخطه عليك ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئاً خسيساً لم يكن في سائر أمره إلا كذلك وإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك فإنه يفسدها عليك فساداً يصعب تداركه ويلقي إليك أنواع الوسوس والأفكار المضرة ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك وأنت الذي أعتته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك فمثالك معه مثال صاحب رحا يطحن فيها جيد الحبوب فأتاه شخص معه حمل تراب وبعر وفحم وغثاء ليطحنه في طاحونته فإن طرده ولم يمكنه من إلقاء ما معه في الطاحون استمر على طحن ما ينفعه وإن مكنه في إلقاء ذلك في الطاحون أفسد ما فيها من الحب وخرج الطحين كله فاسداً»^(٢)

فيترك ماؤكم من غير ورد وذاك لكثرة الأخلاط فيه

(ك) ومن اللامبالاة بالكلمة (المراء والجدل):

اعلم - علمني الله وإياك - أن من صور الكلمة المراء والجدل، وترى الرجل يصلي ويصوم ويزكي، ولكنه لا يبالي بالمراء والجدل والني ﷺ «أَنَا زَعِيمٌ بَيِّتٍ فِي رَبَضٍ

^(١) العزلة للخطابي

^(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٧٥)

الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيَّنَتْ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيَّنَتْ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»^(١)

قال الغزالي - رحمه الله - «وحد المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض فكل كلام سمعته فإن كان حقا فصدق به وإن كان باطلا أو كذبا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه»^(٢)

و لقد ذم الله - تعالى - أقواما في كتابه لجدهم و مرأئهم يقول - سبحانه - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥] ، وقال تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] ، و أخبر - سبحانه - و تعالى - عما في صدور هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ، فقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦] .

و أمرنا سبحانه إذا جادلنا أهل الكتاب أن نجادلهم بالتي هي أحسن ، فقال سبحانه -
: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

وهيا لنرى أثر الجدل والمراء على الفرد والمجتمع:

أولا: الضلال: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ آيَةَ { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } [الزخرف: ٥٨]»^(٣)

^(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣/٤ ، رقم ٤٨٠٠) ، والطبراني (٩٨/٨ ، رقم ٧٤٨٨) ، والبيهقي (٢٤٩/١٠ ، رقم ٢٠٩٦٥) . وأخرجه أيضاً: الطبراني في

الأوسط (٦٨/٥ ، رقم ٤٦٩٣)

^(٢) إحياء علوم الدين (١١٧ / ٣)

^(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٨) ، والترمذي (٣٢٥٣) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٠١) ، والطبري في "التفسير" ٨٨/٢٥ .

ثانيا: الاختلاف و الاقتتال : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - نَتَذَكَّرُ، يَنْزِعُ هَذَا بَايَةً وَيَنْزِعُ هَذَا بَايَةً، قَالَ: فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ أَلِهَذَا بُعِثْتُمْ؟ أَوْ يَهَذَا أُمِرْتُمْ؟ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١)

ثالثا: أن الجدال والمراء سبب من أسباب سخط الله تعالى على العبد: عَنْ ابْنِ عُمرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ »^(٢) وفي لفظ «فقد باء بغضب من الله. »

رابعا: أنه سبب من أسباب قسوة القلب: قال الإمام مالك: المراء يقسي القلوب، ويورث الضغائن:

خامسا: أنه سبب من أسباب استحواذ الشيطان: عن مسلم بن يسار قال: إياكم و المراء فانه ساعة جهل ، وعندها يبتغي الشيطان زلته .

(ل) ومن صور اللامبالاة بالكلمة (إفشاء السر) :

فكم من إنسان استوده أخوه سرا فأفشاه، وأخبر به و ظن أنها كلم يقولها و لا يبالي بخطرها. »

يقول أبو الحسن علي بن محمد الماوردي - رحمه الله :وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته آمنا وفي عواقبه سالما ولنجاح حوائجه راجيا. وقال أنوشروان: من حصن سره فله بتحصيله خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وإظهار الرجل سر غيره اقبح من إظهار سر نفسه لأنه ييؤء بإحدى وصمتين الخيانة إن كان مؤتمنا أو النميمة إن كان مستودعا^(٣)

^(١) الطبراني في الكبير ٦ / ٣٧ برقم (٥٤٤٢)

^(٢) صحيح الجامع: ٦١٩٦ ، الصحيح: ٤٣٧ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٢٢٤٨

^(٣) (أدب الدنيا والدين ط_ أخرى (ص: ٣١٦)

و علم -بارك الله فيك- يا من لا تبالي بإفشاء الأسرار -أن فيك صفة من صفات المنافقين عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ »^(١)

قال العباس لابنه عبد الله إني أرى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا تجرين عليه كذبا ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف.^(٢)

يروى أن معاوية - رضي الله عنه - أسرّ إلى الوليد بن عتبة حديثه فقال عتبة لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسرّ إليّ حديثا، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك، قال: فلا تحدّثني به، فإنّ من كتم سرّه كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه، قال: فقلت: يا أبت، وإنّ هذا ليدخل بين الرّجل وابنه؟

فقال: لا والله يا بنيّ ولكن أحبّ ألّا تذللّ لسانك بأحاديث السرّ، قال: فأتيت معاوية فأخبرته فقال: يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطأ إفشاء السرّ خيانة»^(٣)

ويقول الماوردي - رحمه الله -:

اعلم أن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح وأدوم لأحوال الصلاح. روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«استيعنوا على الحاجات بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود» وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره.

^(١) أخرجه الدارمي (١٧٧٥) ، والبخاري (١٨٩٨) ، ومسلم (١٠٧٩)

^(٢) [فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ / ٩٥٧] (١٨٦٢) حسن

^(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص ٢١٤).

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني كن جوادا بالمال في موضع الحق ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر والبخل بمكتوم السر.^(١)

(م) ومن صور اللامبالاة بالكلمة (إفشاء الأسرار الزوجية)

و من صور اللامبالاة التي لا يبالي بها الرجال و النساء على حد سواء إفشاء الأسرار الزوجية ، فنجد الرجل يجلس مع أصدقائه ، فيحدثهم بما جرى بينه و بين زوجته ، و كلك المرأة تحدث ، و لا يباليون بذلك ، عن أبي سعيد الخدري يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»^(٢)

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: أنها كانت عند رسول الله - ﷺ - والرجال والنساء قعوداً عنده، فقال: «لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تُخبر بما فعلت مع زوجها».

فأرم القوم، فقلت: أي والله يا رسول الله! إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن. قال:

«فلا تفعلوا، فإنما مثل ذلك شيطانٌ لقي شيطانة، فعشيها والناس ينظرون»^(٣)

عن أبي سعيد الخدري يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»^(٤)

وهكذا نهى النبي ﷺ النساء عن تلك اللامبالاة التي لا يستحيي فيها الرجل أن يذكر ما صنعه مع زوجته ، و كذا المرأة ، فبين لهم أن الذي يفعل ذلك من خلق الله ، بل صورهم بشيطان لقي شيطانة فأتاها في قارعة الطريق ، و الناس ينظرون ، ألا فليتيق الله

^(١) أدب الدنيا والدين ط_أخرى (ص: ٣١٥)

^(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٩١/٤، ومسلم (١٤٣٧) (١٢٣) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" (٦١٩)

^(٣) «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٥٣ / ٢)

^(٤) أخرجه مسلم (١٤٣٧) (١٢٤) ، وأبو داود (٤٨٧٠) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٢٣٦/١٠

هؤلاء ولا يفشون أسرار بيوتهم ، فم فكم من بيوت كانت عامرة أضحت خرابا ، لأن الزوج لم يبال بأسرار بيته .

الباب الثالث

اللامبالاة بالذنوب والمعاصي

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عَنِ : «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرٌّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا. قَالَ أَبُو شِهَابٍ يَبْدُو فَوْقَ أَنْفِهِ»^(١)

اللامبالاة بالذنوب والمعاصي

إن من الأمور التي فشت وانتشرت وأزكمت الأنوف، تلك الظاهرة التي إن دلت فإنما تدل على اللامبالاة وهي التي تجر صاحبها إلى أرجاس الذنوب،

و الوقوع في سخط علام الغيوب ألا وهي: اللامبالاة باقتراف الذنوب و المعاصي،
فأينا من يكذب و لا يبالي، و من تتبرج و لا تبالي، و يقذف و لا يبالي، و يشرب

^(١) أخرجه البخاري [٥٩٤٩]، ومسلم [٢٧٤٤]، والترمذي [٢٤٩٧، ٢٤٩٨]

المحرمات و لا يبالى، فاذا ناصحته و خوفت يقول ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨] و نسي أن الله هو القائل ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٩٨] بل اعتمد الكثير على عفو الله و كرمه ، و نسوا أن الله خلق الجنة و خلق لها أهلها ، و خلق النار و خلق لها أهلها .

يقول ابن القيم رحمه الله: وكثير من الجهال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه، وضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند.

قال معروف: رجائك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق.

وقال بعض العلماء: من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم، لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا.

وقيل للحسن: نراك طويل البكاء، فقال: أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالى.

وكان يقول: إن قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: لأنى أحسن الظن بربي، وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل.

وسأل رجل الحسن فقال: يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال: والله لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تدرك أمانا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف.

قال ابن القيم- رحمه الله- بعد أن ساق أحاديث الوعد والوعيد:

قال أبو الوفاء بن عقيل: احذره ولا تغتر به، فإنه قطع اليد في ثلاثة دراهم، وجلد الحد في مثل رأس الإبرة من الخمر، وقد دخلت المرأة النار في هرة، واشتعلت الشملة نارا على من غلها وقد قتل شهيدا.

قَالَ الإمام أحمد حدثنا سُفْيَانُ، عَنْ مُخَارِقِ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي دُبَابٍ وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ، مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ قَدْ

عَكَفُوا عَلَى صَنَمٍ لَهُمْ» وَقَالُوا: لَا يَمُرُّ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَحَدٌ إِلَّا قَدَّمَ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَدَّمَ شَيْئًا، فَأَبَى فَقُتِلَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَدَّمَ شَيْئًا، فَقَالُوا: قَدَّمَ وَلَوْ دُبَابًا، فَقَالَ: وَأَيْشٍ دُبَابٌ، فَقَدَّمَ دُبَابًا فَدَخَلَ النَّارَ، فَقَالَ سَلْمَانُ: «فَهَذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي دُبَابٍ، وَدَخَلَ هَذَا النَّارَ فِي دُبَابٍ».^{(١)(٢)}

خطورة اللامبالاة بالذنوب والمعاصي

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ قُرْصٍ اللَّيْثِيُّ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ الْيَوْمَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُؤَبَّاتِ»^(٣)

ذكره الإمام البخاري تحت باب (ما يتقى من المحرمات)

التعبير بالمحقرات وقع في حديث سهل بن سعد رفعه «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مُحَقَّرَاتُ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا يَعُودٍ وَجَاءَ ذَا يَعُودٍ، حَتَّى جَمَعُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذَ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ»^(٤) أخرجه أحمد بسند حسن ونحوه عند أحمد والطبراني من حديث بن مسعود وعند النسائي وابن ماجه عن عائشة، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: « يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا »^(٥) وصححه بن حبان قال بن بطل المحقرات إذا كثرت صارت كبارا مع الإصرار وقد أخرج أسد بن موسى في الزهد عن أبي أيوب الأنصاري قال إن الرجل ليعمل الحسنة فيثق بها وينسى

^(١) أخرجه أحمد في الزهد ص ٢٢، وفي العلل ٢/ ٧٥ وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٠٣، والخطيب في الكفاية ١/ ١٨٥، والبيهقي في شعب الإيمان

(٧٣٤٣)

^(٢) الداء والدواء (ص: ٢٨)

^(٣) أخرجه البخاري (٦٤٩٢)، وأبو يعلى (٤٢٠٧) و (٤٣١٤)

^(٤) أخرجه أحمد (٣٣١/٥)، رقم (٢٢٨٦٠)، والطبراني (١٦٥/٦)، رقم (٥٨٧٢)، والرويانى (٢١٦/٢)، رقم (١٠٦٥)

^(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٣)، والدارمي (٢٧٢٦)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤٠٠٦) و (٤٠٠٧)، وابن حبان (٥٥٦٨)

المحقرات فيلقى الله وقد أحاطت به وإن الرجل ليعمل السيئة فلا يزال منها مشفقاً حتى يلقى الله آمناً.^(١)

قَالَ: الْأَوْزَاعِيُّ: سَمِعْتُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ يَقُولُ: «لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنْ انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ»^(٢)

و قال فضيل بن عياض - رحمه الله - : بقدر ما يصغر عند يعظم عند الله و بقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله .

* وهو هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من تربي في مدرسة الإيمان و نهل من فيض القرآن ، يصور لنا صورة المسلم الخائف من ربه الراجي ثوابه ، وصورة ذلك العبد الذي لا يبالى بما يصنعه و لا يقول:

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا. قَالَ أَبُو شَهَابٍ يَبْدُو فَوْقَ أَنْفِهِ»^(٣)

قال الحافظ بن حجر - رحمه الله - : قال بن أبي جمرة السبب في ذلك أن قلب المؤمن منور فإذا رأى من نفسه ما يخالف ما ينور به قلبه عظم الأمر عليه والحكمة في التمثيل بالجبل أن غيره من المهلكات قد يحصل التسبب إلى النجاة منه بخلاف الجبل إذا سقط على الشخص لا ينجو منه عادة وحاصله أن المؤمن يغلب عليه الخوف لقوة ما عنده من الإيمان فلا يأمن العقوبة بسببها وهذا شأن المسلم أنه دائم الخوف والمراقبة يستصغر عمله الصالح ويخشى من صغير عمله السيء

^(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٣٠)

^(٢) «سنة مجالس لأبي يعلى الفراء» (ص ٨١)

^(٣) أخرجه البخاري [٥٩٤٩]، ومسلم [٢٧٤٤]، والترمذي [٢٤٩٧، ٢٤٩٨]

قال المحب الطبري: إنما كانت هذه صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية

وقال بن أبي جمرة السبب في ذلك أن قلب الفاجر مظلم فوقوع الذنب خفيف عنده ولهذا تجد من يقع في المعصية إذا وعظ يقول هذا سهل.

والحكمة في تشبيه ذنوب الفاجر بالذباب كون الذباب أخف الطير وأحقره وهو مما يعاين ويدفع بأقل الأشياء

وقال بن بطال يؤخذ منه أنه ينبغي أن يكون المؤمن عظيم الخوف من الله تعالى من كل ذنب صغيرا كان أو كبيرا لأن الله تعالى قد يعذب على القليل فإنه لا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى^(١)

أثر اللامبالاة بالذنوب والمعاصي على الفرد والمجتمع

^(١) فتح الباري لابن حجر (١١ / ١٠٥) وما بعدها

علم - علمني الله و إياك- أن لجراحات الذنوب و اللامبالاة بها أثر كبير على ١ -
القلب ٢ - البدن ٣ - المجتمع .

فهي تؤثر على القلب بالظلمة، و الران، و طمس نور البصيرة و على البدن :
سواد في الوجه ، و بغض في قلوب الخلق ، و تورث أصحابها الذل و الهوان و
على المجتمع: بمحق البركة ، و تسلط الأعداء ، و الأخذ بالسنين و شدة المؤنة ، و جور
السلطان .

* وهيا لنقف مع تلك الآثار التي تولدت عن اللامبالاة بالذنوب

أولاً: على القلب :

قلب المرء هو ملك جواره، فمتى صلح الملك صلحت الرعية، وكذا متى صلح القلب
صلحت الأعضاء قال أبو هريرة - رضي الله عنه - (القلب ملك والأعضاء وجنوده
فإذا طاب الملك طابت جنوده و إذا خبث الملك خبثت جنوده)

أولاً: موت القلب: وهذا من أخطر الآثار على القلب ، لان الذنوب تتفاوت فمنهما :
ما يميت القلب ، ومنها ما يمرضه ، ومنه ما يطبع عليه ، و سنعرفها بالتفصيل - إن شاء
الله تعالى

يقول ابن القيم رحمه الله - :وهيا لنعيش مع تلك الآثار المؤلمة التي تنتج عن اللامبالاة
بالذنوب:

والقلب الثاني: ضد هذا، وهو القلب الميت الذي لا حياة به، فهو لا يعرف ربه، ولا
يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته؛ ولو كان فيها سخط ربه
وغضبه، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه، رضى ربه أم سخط، فهو متعبد لغير الله:
حبا، وخوفا، ورجاء، ورضا، وسخطا، وتعظيما؛ وذلا. إن أحب أحب لهواه، وإن
أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، وإن منع منع لهواه. فهو آثر عنده وأحب
إليه من رضا مولاه. فالهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائقه، والغفلة مركبه. فهو
بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مغمور. ينادى

إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد، فلا يستجيب للناصح، ويتبع كل شيطان مريد. الدنيا تسخطه وترضيه. والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه. فهو في الدنيا كما قيل في ليلي:

عَدُو لِمَنْ عَادَتْ، وَسَلِّمْ لِأَهْلِهَا وَمَنْ قَرَّبَتْ لَيْلَى أَحَبُّ وَأَقْرَبَا

فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ومعاشرته سم. ومجالسته هلاك.^(١)

قال محمد بن واسع - رحمه الله - الذنب على الذنب يميت القلب .

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - لا تحتقر يسير الذنب فإن العشب الضعيف يقتل منه الحبل القوي فيختنق به الجمل الكبير

الثاني: أنها تطبع على القلب : الذنوب إذا تكاثرت طُبِعَ على قلب صاحبها، فكان من الغافلين؛ كما قال بعض السلف في قوله تعالى: **{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)}** [المطففين: ١٤] قال: هو الذنب بعد الذنب

وقال الحسن: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب .

وقال غيره: لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم.

وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية، فإن زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلب حتى يصير طبعاً وقفلاً وختمًا، فيصير القلب في غشاوة وغلاف. فإن حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتكس فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاه عدوه، ويسوقه حيث أراد.^(٢)

ثالثاً: فإذا طبع عليه أمرضته وأصابته بالسقم: يقول ابن القيم - رحمه الله - أيضاً: ومن عقوباتها: أنها تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه، فلا يزال مريضاً

^(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١٦-١٧)

^(٢) الداء و الدواء (ص ١٨)

معلولاً، لا ينتفع بالأغذية التي بها حياته وصلاحه. فإنّ تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب وأدواؤها ولا دواء لها إلا تركها. وقد أجمع السائرون إلى الله أنّ القلوب لا تعطى منها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها حتى تكون صحيحة سليمة، ولا تكون صحيحة سليمة حتى ينقلب داؤها فيصير نفس دوائها. ولا يصحّ لها ذلك إلا بمخالفة هواها، فهوها مرضها، وشفائها مخالفتها، فإن استحكم المرضُ قتلَ أو كاد.

وكما أنّ من نهى نفسه عن الهوى كانت الجنة مأواه، فكذا يكون قلبه في هذه الدار في جنة عاجلة لا يشبه نعيم أهلها نعيم البتة، بل التفاوت الذي بين النعيمين كالتفاوت الذي بين نعيم الدنيا والآخرة. وهذا أمر لا يصدّق به إلا من باشر قلبه هذا وهذا.^(١) و يقول في إغاثة اللهفان: والقلب الثالث: قلب له حياة وبه علة؛ فله مادتان، تمدّه هذه مرة، وهذه أخرى، وهو لما غلب عليه منهما، ففيه من محبة الله تعالى والإيمان به والإخلاص له، والتوكل عليه: ما هو مادة حياته، وفيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها، والحسد والكبر والعجب؛ وحب العلو والفساد في الأرض بالرياسة: ما هو مادة هلاكه وعطبه، وهو ممتحن بين داعين: داع يدعو إلى الله ورسوله والدار الآخرة، وداع يدعو إلى العاجلة. وهو إنما يجيب أقربهما منه باباً، وأدناهما إليه جواراً.^(٢)

فالذي لا يبالي باجتراح الذنوب قد مرض قلبه بداء اللامبالاة فعلاجه ودواؤه الخوف من الله تعالى والإكثار من الاستغفار، و تدبر القرآن الكريم يقول -سبحانه و تعالى - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] وقال تعالى ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]

^(١) الداء و الدواء (ص ١٠١-١٠٢)

^(٢) إغاثة اللهفان (ص: ٢٠)

فالذي يقرأ القرآن ويتدبر معانيه فيقف مع الله ، تارة يرى بديع صنعه ، وإتقان خلقه للخلق و يرى الله في أسمائه وصفاته ، و يدرك عظمتة -سبحانه و تعالى - ثم يقف مع أهل الجنة و هم يتمتعون ، ومع أهل النار و هم يصرخون ، ثم يقف مع الدنيا و قد ولت مدبرة ، و مع الآخرة و قد أقبلت نحوه مسرعة ، فيزيده ذلك إيماناً و، ويشف مرض قلبه من أمراض الشهوات و الشبهات فعندها يرقص قلبه طرباً و فرحاً و أنسا بربه ، و اشتياقاً إليه و ارتياحاً بحبه ، و طنانين بذكره ، حتى يقول بعضهم في حال نزعه : واطرباه غدا نلقى الأحبه محمداً و حزبه.

رابعاً : ومن آثار اللامبالاة بالذنوب (ظلمة القلب) ظلمة يجدها في قلبه حقيق يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا إدلهم ، فتصير حقيقة المعصية إلى قلبه كالظلمة الحسية لبصره ، فإن الطاعة نور ، وإن المعصية ظلمة، و كلما قويت ازدادت حيرته ، حتى يقع في البدع و الضلالات و الأمور المهلكة ، حتى وهو لا يشعر كالأعمى خرج من ظلمة الليل يمشي وحده ، و تقوى الظلمة حتى تظهر في العين ، ثم تقوى حتى تعلو الوجه ، و تصير سواداً فيه قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق. وإنَّ للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، وهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق.

خامساً: ومن آثار اللامبالاة (أنها تعمي القلب)

ومن عقوباتها: أنَّها تعمي القلب، فإن لم تُعْمِه أضعفت بصيرته، ولا بدَّ. وقد تقدم بيان أنَّها تضعفه، ولا بدَّ. فإذا عمي القلب وضعف فاته من معرفة الهدى، وقوته على تنفيذه في نفسه وفي غيره، بحسب ضعف بصيرته وقوته.

فإنَّ الكمال الإنساني مداره على أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثاره عليه. وما تفاوتت منازل الخلق عند الله في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين. وهما اللذان أثنى الله سبحانه على أنبيائه بهما في قوله: **{وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ}**

وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) { [ص: ٤٥]. فالأيدي: القوى في تنفيذ الحق، والأبصار: البصائر في الدين. فوصفهم بكمال إدراك الحق، وكمال تنفيذه .

وانقسم الناس في هذا المقام أربعة أقسام: فهؤلاء أشرف أقسام الخلق وأكرمهم على الله.

القسم الثاني: عكس هؤلاء، لا بصيرة في الدين، ولا قوة على تنفيذ الحق. وهم أكثر هذا الخلق الذين رؤيتهم قذى العيون، وحمى الأرواح، وسقم القلوب، يضيّقون الديار، ويغلون الأسعار، ولا يستفاد بصحبتهن إلا العار والشنار!

القسم الثالث: من له بصيرة بالحق ومعرفة به، لكنّه ضعيفٌ لا قوة له على تنفيذه ولا الدعوة إليه. وهذا حال المؤمن الضعيف، والمؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله منه .

القسم الرابع: من له قوة وهمة وعزيمة، لكنه ضعيف البصيرة في الدين، لا يكاد يميّز بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بل يحسب كلّ سوداء تمرّة، وكلّ بيضاء شحمة، يحسب الورم شحماً، والدواء النافع سماً.

وليس في هؤلاء من يصلح للإمامة في الدين، ولا هو موضعاً

لها سوى القسم الأول. قال تعالى: **{ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) }** [السجدة: ٢٤] (٣). فأخبر سبحانه أنّ بالصبر واليقين نالوا الإمامة في الدين.

فمعلوم أنّ المعاصي والذنوب تُعمي بصيرة القلب فلا يدرك الحقّ كما ينبغي، وتُضعف قوّته وعزيمته فلا يصبر عليه. بل قد تتوارد على القلب حتى ينعكس إدراكه، كما ينعكس سيره، فيدرك الباطل حقاً، والحقّ باطلاً، والمعروف منكراً، والمنكر معروفاً. فيتنكس في سيره، ويرجع عن سفره إلى الله والدار الآخرة، إلى سفره إلى مستقرّ النفوس البُطلة التي رضيت بالحياة الدنيا، واطمأنت بها، وغفلت عن الله وآياته، وتركت الاستعداد للقاءه.

ولو لم يكن في عقوبة الذنوب إلا هذه العقوبة وحدها لكانت كافية داعية إلى تركها والبعث منها، والله المستعان.

وهذا كما أن الطاعة تُنور القلب، وتجلوه وتصفّله، وتقويه وتثبتته، حتى يصير كالمرآة المجلوة في جلائها وصفائها ويمتلئ نوراً؛ فإذا دنا الشيطان منه أصابه من نوره ما يصيب مُستترقي السَّمْع من الشهب الثواقب. فالشيطان يفرق من هذا القلب أشدّ من فرق الذئب من الأسد، حتى إنّ صاحبه ليصرع الشيطان، فيخرّ صريعاً، فيجتمع عليه الشياطين، فيقول بعضهم لبعض: ما شأنه؟ فيقال: أصابه إنسيّ، وبه نظرة من الإنس!

فيا نظرة من قلب حرّ منور يكاد لها الشيطان بالنور يحرق

أفستوي هذا القلب، وقلبٌ مظلم أرجاؤه، مختلفة أهواؤه، قد اتخذ الشيطان وطنه، وأعدّه مسكنه. إذا تصبّح بطلعته حيّاه، وقال: فديتُ مَنْ لا يفلح في دنياه ولا في أخراه!

قرينك في الدنيا وفي الحشر بعدها فانت قرين لي بكل مكان

فإن كنت في دار الشقاء فإني وأنت جميعاً في شقاء وهوان

وهكذا يصبح قلب العبد مظلّم لكثرة ما يورد عليه من الذنوب فتراه يبصر الحق باطلاً، فالعفة والطهارة أصبحت رجعية وتخلف، والسنة أصبحت بدعة، والالتزام أصبح إرهاباً وأصولية..... وهلم جرا، فهذا قائدهم إلى النار فرعون بقول موسى - عليه السلام - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]

قَالَ حَدِيثُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تُصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تُضِرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ

وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًا كَالْكُوزِ، مُجَحِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ»^(١)

ثانيا : أثر اللامبالاة بالذنوب و المعاصي على البدن :

و الذنوب تؤثر على بدن العبد و الجوارح، فكما أصحاب الطاعات و القربات ترى في وجوههم نور الطاعة، و بهاء العبادة و صدق الله العظيم ﴿سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩]

كذلك المعصية تؤثر على العبد، فرؤياهم قذى العيون و ان من الخلق خلقا اذا جالستهم او كلمتهم مرض قلبك فاك و إياهم و هيا لترى اثر الذنوب على البدن :

١- أنها تورث صاحبه الذل ، و تلبسه ثوب المهانة ، و صدق الله ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]

يقول ابن القيم - رحمه الله -

ومنها: أنَّ المعصية تورث الذلَّ، ولا بدَّ؛ فإنَّ العزَّ كلَّ العزِّ في طاعة الله تعالى. قال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر: ١٠] أي: فليطلبها بطاعة الله، فإنَّه لا يجدها إلا في طاعته.

وكان من دعاء بعض السلف: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تُذلني بمعصيتك.

قال الحسن البصري: إنَّهم، وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين ، إنَّ ذلَّ المعصية لا يفارق قلوبهم . أبى الله إلا أن يُذلَّ من عصاه .

وقال عبد الله بن المبارك :

رأيتُ الذنوب تُميت القلوبَ وقد يورث الذلَّ إدماؤها

وتركُ الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيائها

^(١) أخرجه مسلم (١٤٤) ، والبخاري في "مسنده" (٢٨٤٤) ، وأبي عوانة (١٤٤)

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبائها

٢- أنها تطفئ الغيرة من القلب: فتراه يرتكب المناهي و الفواحش، ولا يغار وأصبح لا يبالي بها وقعت عليه أو وقعت على نسائه و بناته ، وهذا هو الديوث الذي ذمه النبي ﷺ ، بل ربما تراه يفتخر بها بين الناس ، و يأمر بها بناته ، فهذا رجل رأى ابنته ارتدت الحجاب ، فقامت الدنيا لم تقعد حتى خلعت الابنة حجبها ، لأنه يرضى لها الفاحشة .
عَنْ عُمَرَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ، وَالذَّيْوُثُ، وَرَجُلَةُ النِّسَاءِ »^(١)

وعنه رضي الله عنهما؛ أن رسول الله - ﷺ - قال: «ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث؛ الذي يُقِرُّ الحُبثَ في أهله»^(٢)

ثالثا: آثار اللامبالاة بالذنوب والمعاصي على المجتمع:

إن الذنوب والمعاصي لها أثر خطير على المجتمع، والذي يتدبر التاريخ يجد أن أسباب هلاك الأمم و إبادة كانت الذنوب و المعاصي، فبالذنوب أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رأس الجبال؟ وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مر عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعا، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع

^(١) أخرجه الحاكم (١٤٤/١ ، رقم ٢٤٤) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٤١٢/٧ ، رقم ١٠٧٩٩) (صحيح) انظر حديث رقم: ٣٠٦٣

في صحيح الجامع

^(٢) «صحيح الترغيب والترهيب» (٦٦٢ / ٢)

عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هي من الظالمين ببعيد؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارا تلظى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر، ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمرها تدميرا؟

وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟

وما الذي بعث على بني إسرائيل قوما أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تنبيرا؟

وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات، مرة بالقتل والسيي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: {ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب} [سورة الأعراف: ١٦٧].

قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمر وحدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله، فقال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى»^{(١)(٢)}

^(١) الداء و الدواء (ص: ٥٨-٦٠)

^(٢) إسناده صحيح أخرجه أحمد في الزهد (١٧٦)

فتلك نظرة عامة لأثر الذنوب على العباد و البلاد ، و هيا لنقف مع الآثار أيضاً المترتبة على اللامبالاة بالذنوب على المجتمع بل على جميع الكائنات لنرى ظلم الإنسان لنفسه و غيره .

أولاً: من آثار اللامبالاة بالذنوب و المعاصي على المجتمع (أنها تحقق البركة)

يقول ابن القيم - رحمه الله - ومن عقوباتها: أنها تحقق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة.

وبالجملة أنها تحقق بركة الدين والدنيا، فلا تجد أقل بركة في عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما محقت البركة من الأرض إلا بمعاصي الخلق، قال الله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}** [الأعراف: ٩٦] .

وَقَالَ تَعَالَى: {وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا - لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [الجن: ١٦ - ١٧].

وإن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه.

وفي الحديث: «إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبُهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»^(١).

وفي الحديث إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرْجَ فِي الرُّضَى وَالْيَقِينَ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحَزْنَ فِي الشُّكِّ وَالسُّخْطِ^(٢).

وقد تقدم الأثر الذي ذكره أحمد في كتاب الزهد: «أنا الله، إذا رضيت باركت، وليس لبركتي منتهى، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تدرك السابع من الولد»^(٣)

^(١) صحيح بشواهد أخرجه الطبراني رقم (٧٨٩٤) وفي الكبير و أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة .

^(٢) ضعيف عن ابن مسعود ، أخرجه الطبراني (ج١) (ص: ٤٠١٩)، و الحاكم (ج ٤) - (ص: ٥٤) و صححه الألباني في (الصحيحة) (١٠٦).

^(٣)

و إذا أردت أن نتحدث عن قلة البركة في هذا العصر الذي أصبحت الذنوب فيه كالذباب، إذا جاء على أنف أحدهم فنجدها عامة، فهذا يشتكي قلة المال و البركة لأنه لم يراع الله في عمله الوظيفي، و هذا عنده المال و يشتكي بركتها لأنه جمعها من الربا و السرقة، وهذا يشتكي قلة البركة في الأبناء، لأنه كان عاقا لوالديه .

ثانيا : ومن آثار الذنوب و المعاصي و اللامبالاة بها على المجتمع ما جاء في خماسية

الشقاء الاجتماعي الذي حذر منها النبي ﷺ ومن شرها فعن ابن عمر، قَالَ: كُنْتُ عَاشِرَ عَشْرَةِ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَوَّجَهُ فَقَالَ: « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسُ خِصَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى أَعْلَنُوا بِهَا، إِلَّا ابْتَلَوْا بِالطَّوَاعِينِ وَالْأَوْجَاعِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَا نَقَصَ قَوْمُ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ إِلَّا ابْتَلَوْا بِالسَّيِّئِينَ وَشِدَّةِ الْمُثُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، وَمَا مَنَعَ قَوْمَ زَكَاةِ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَا خَفَرَ قَوْمُ الْعَهْدِ إِلَّا سَلَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَعْمَلْ أَيْمَتُهُمْ بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَخَيَّرُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْهَمٍ بَيْنَهُمْ »^(١)

فانظر يا رعاك الله- إلى نتائج اللامبالاة بالقبائح والآثام:

الخصلة الأولى: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواغيت و الأوجاع التي تكن في أسلافهم الذين مضوا : و هيا لنرى عن قرب نتيجة اللامبالاة بالفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لتري نتيجة الخروج عن الفطرة ، إن البشري تدفع ضريبة باهظة من الأموال و الأرواح نتيجة الذنوب و المعاصي فقد نشرت مجلة الوعي الإسلامي في رمضان ١٤٢٠ هـ تلك الإحصائية ١٦ الف يصابون بالإيدز يوميا في العالم ، اكثر من ٨ مليون طفل فقد أمه أو أبوه في العالم بسبب الإيدز ، قد توفي ٢/٣ مليون بسبب الوباء ، ففي الولايات المتحدة الأمريكية حسب تقرير نشر في عام ١٩٨٣ م و

^(١) وسنن ابن ماجه، ج ٢ ص ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ كتاب (الفتن) ٢٢- باب: العقوبات، حديث رقم ٤٠١٩) وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٦)

ذلك كمثال ١٢/٥ مليون مع أمهاتهم لانهم لا يعرفون لهم آباء غير الذين ترعاهم دور الرعاية الاجتماعية .

و اللاتي يلدن سفاحا في سن المراهقة اكثر من مليون امرأة سنويا حسب إحصائيات ١٩٨٨/٧٩ ، و قدرت منظمة الصحة العالمية عدد الحالات التي يتم إجهاض جنائي في العالم بحوالي ٢٥ مليون طفل سنة ١٩٧٦ ، و قد ارتفع العدد إلى ٥٠ مليون حالة إجهاض سنويا في عام ١٩٨٤ حسب ما نشر في التايم الأمريكية، و الزواج هناك امر شكلي، فالخيانة الزوجية حسب تقرير نشر في عام ١٩٨٠ تشكل ٧٥٪ من الأزواج و الزوجات لذلك فهناك حالة طلاق بين كل حالتي زواج.

أما حجم الجريمة بين رجال الكنسية، ففي تقرير نشرته الدلي ميل ١٩٧٠ أن حوالي ٨٠٪ من الرهبان يمارسون الزنا، وأن ما يقرب من ٤٠٪ يمارسون الشذوذ الجنسي ، و السيلان يتصدر هذه الأمراض الجنسية شيوعا في العالم ، إذ يتراوح الرقم المثبت في الإحصائيات ٢٥٠ مليون سنويا ، وصدق رسول الله ﷺ فيما قال فهؤلاء لم يبالوا بالذنوب و الفاحشة ، فكان جزاؤهم الإيدز الذي لم يعرف له العلم دواء .

الخلاصة الثانية: «ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان»

فحدث عما أصاب المجتمع من أزمات اقتصادية، ومن شدة الفقر والفاقة، ومن جور الحكام وظلمهم لماذا؟

لأن الرعية لم تبال بنقص المكيال و الميزان، رغم أنهم يقرءون قول المولى - سبحانه و تعالى - ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [المطففين: ١-٣]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الْأَمَانَةَ ، يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْأَمَانَةِ - وَإِنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - فَيَقَالُ لَهُ: أَدَّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيُّ رَبٍّ ، كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا؟ ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى الْهَوَايَةِ،

فَيَذْهَبُ بِهِ إِلَيْهَا ، وَتُمَثِّلُ لَهُ أَمَانَتَهُ ، فَيَجِدُهَا كَهَيئَتِهَا يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ ، فَيَرَاهَا فَيَعْرِفُهَا ، فَيَهْوِي فِي أَثَرِهَا حَتَّى يَنْتَهِي إِلَى قَعْرِهَا ، فَيَأْخُذُهَا فَيَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ ، ثُمَّ يَصْنَعُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَتَّى إِذَا رَأَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ بِهَا ، زَلَّتْ فَهَوَتْ ، فَهُوَ فِي أَثَرِهَا أَبَدَ الْأَبَدِينَ ، ثُمَّ قَالَ: الصَّلَاةُ أَمَانَةٌ ، وَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ ، وَالْوَزْنُ أَمَانَةٌ ، وَالْكَيْلُ أَمَانَةٌ ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ ، قَالَ زَادَانُ: فَلَقِيتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ - رضي الله عنه - فَقُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ أَخُوكَ عَبْدُ اللَّهِ؟ ، فَقَالَ: صَدَقَ ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} [النساء/ ٥٨] ^(١)

الخصلة الثالثة: (وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا البهائم لم يطرؤا)

و هنا يظهر اثر الجشع و البخل على المجتمع يعم جميع الكائنات، لأن أفراد الأسرة الإنسانية بخلوا بما حباهم الله من فضله، فكان جزاؤهم أن أصابهم القحط ، و لولا رحمة الله بتلك البهائم الرتع و الأطفال الرضع و الشيخ الركع، لم تمطر السماء ، و لمات الجميع، و صدق النبي ﷺ عندما أوضح لنا في ذلك التحذير من الشح و البخل انه سبب من أسباب هلاك الأمم قال رسول الله ﷺ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَحَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ) ^(٢)

وقال ﷺ «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمْرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمْرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا.» ^(٣)

^(١) أخرجه الطبراني (٢١٩/١٠ رقم ١٠٥٢٧) قال الهيثمي (٢٩٣/٥) : رجاله ثقات. وأخرجه أيضاً: أبو نعيم في الحلية (٢٠١/٤) (حسن) ، انظر

صحيح الترغيب والترهيب: ١٧٦٣ ، ٢٩٩٥

^(٢) أخرجه أحمد (٣٢٣/٣ ، رقم ١٤٥٠١) ، وعبد بن حميد (ص ٣٤٦ ، رقم ١١٤٣) ، والبخاري في الأدب (١٧٠/١ ، رقم ٤٨٣) ومسلم (١٩٩٦/٤ ،

رقم ٥٧٨)

^(٣) أخرجه أبو داود (١٣٣/٢ ، رقم ١٦٩٨) ، والبيهقي (١٨٧/٤ ، رقم ٧٦٠٧)

الخصلة الرابعة: (وَلَا خَفَرَ قَوْمَ الْعَهْدِ إِلَّا سَلَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ)

و هذا جاء من نقض العهد، وما ابتليت الأمة الإسلامية بتسلط أحفاد القردة و الخنازير إلا بسبب نقضهم العهد، فها هو الأقصى الأسير يئن تحت أقدام الأقزام من شذاذ العالم، و السبب في ذلك انهم نقضوا عهد الله و ميثاقه، و صدق الله إذ يقول ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

وقال ﷺ « بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ، وَالصَّعَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »^(١)

الخصلة الخامسة: (وَمَا لَمْ تَعْمَلْ أَيْمَتُّهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَتَخَيَّرُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْهَمَ بَيْنَهُمْ)

يقول - سبحانه و تعالى - ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «حَدَّثَ يُعْمَلُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمَطَّرُوا ثَلَاثِينَ صَبَاحًا»^(٢)

ومن آثار اللامبالاة بالذنوب شؤم المعصية على الخلق كلهم

ليت العاصي حين يعصي يضر نفسه فحسب، لكنه يضر كل من حوله الإنس والجن، الحيوان والشجر، فذنبه متعدي الضرر، وإن بدا في الظاهر أنه لم يؤذ غيره ولم يصب أحدا.

صحح أبو هريرة - رضي الله عنه هذا الفهم الخاطئ حين سمع رجلا يقول: إن الظالم لا يظلم إلا نفسه، قال أبو هريرة - رضي الله عنه - (كذبت والذي نفسي بيده إن الحبارى-نوع من الطيور - لتموت في وكرها من ظلم الظالم)

^(١) أخرجه أحمدلا (٢/ ٥٠، ٩٢ (٥١١٥، ٥٦٦٧). وأخرجه أبو داود (٤٠٣١)»

^(٢) أخرجه أحمد (٤٠٢/٢، رقم ٩٢١٥)، والنسائي (٧٥/٨، رقم ٤٩٠٤)، وابن ماجه (٨٤٨/٢، رقم ٢٥٣٨). وأخرجه أيضاً: ابن الجارود (ص

وليس أبو هريرة وحده من أصحاب رسول الله ﷺ من يؤكد هذا، فهذا انس بن مالك يقول (يكاد الضب يموت في جحره هزلا من ظلم بني آدم)

وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

دواب الأرض والعقارب والخناس منعت القطر بخطاياهم

ومن آثار اللامبالاة بالذنوب والمعاصي أنها تحدث الفساد في الأرض:

يقول ابن القيم -رحمه الله -: ومن آثار الذنوب والمعاصي: أنها تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهواء، والزرع، والثمار، والمساكن، قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سُورَةُ الرُّومِ: ٤١].

قال مجاهد: إذا ولي الظالم سعى بالظلم والفساد فيحبس الله بذلك القطر، فيهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد، ثم قرأ: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [سُورَةُ الرُّومِ: ٤١].

ثم قال: أما والله ما هو بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر، وقال عكرمة: ظهر الفساد في البر والبحر، أما إني لا أقول لكم: بحركم هذا، ولكن كل قرية على ماء.

وقال قتادة: أما البر فأهل العمود، وأما البحر فأهل القرى والريف، قلت: وقد سمى الله تعالى الماء العذب مجرا، فقال: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٢]

وليس في العالم بحر حلو واقف، وإنما هي الأنهار الجارية، والبحر المالح هو الساكن، فسمى القرى التي عليها المياه الجارية باسم تلك المياه.

وقال ابن زيد {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} قال: الذنوب.

قلت: أراد أن الذنوب سبب الفساد الذي ظهر، وإن أراد أن الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها فتكون اللام في قوله: **{لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}** لام العاقبة والتعليل، وعلى الأول فالمراد بالفساد: النقص والشر والآلام التي يحدثها الله في الأرض عند معاصي العباد، فكلما أحدثوا ذنبا أحدث الله لهم عقوبة، كما قال بعض السلف: كلما أحدثتم ذنبا أحدث الله لكم من سلطانه عقوبة.

والظاهر -والله أعلم- أن الفساد المراد به الذنوب وموجباتها، ويدل عليه قوله تعالى: **{لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا}** فهذا حالنا، وإنما أذاقنا الشيء اليسير من أعمالنا، ولو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة^(١)

(١) الداء و الدواء (ص ٨٧-٨٨)

الباب الرابع

اللامبالاة بالصلاة

أحكامها وآدابها

الفصل الأول: اللامبالاة بترك الصلاة.

الفصل الثاني: اللامبالاة بتأخير الصلاة عن وقتها.

الفصل الثالث: اللامبالاة بصلاة الجماعة.

الفصل الرابع: اللامبالاة بأحكام وآداب الصلاة.

الفصل الأول: اللامبالاة بترك الصلاة.

إن من صور اللامبالاة التي شاعت في الأيام الأخيرة اللامبالاة بأعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، فترى و تسمع عن رجال و شباب و فتيات قد تهاونوا في شأن الصلاة، فإذا نصحته وأمرته نبرى قائلا: ربك رب قلوب ، و آخر يقول في استهزاء و سخرية: خذنا على جناحك يا عم ، وآخر يقول :إبه صلي لنا معاك ركعتان ، و هو يضحك ولا يبالي لأنه جاهل بأمر الصلاة ، ولا يعرف حكم تاركها ، و البعض يعرف و لكنه يكابر و يقول : ساعة الحساب تفرج!!!!

إلى هؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم هذا البيان من كتاب الرحمن و سنة النبي العدنان ﷺ :

أولا: اعلم أن ترك الصلاة كفر بالله تعالى، وقد تواترت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة:

قال عبدُ الله بنُ بُريدة، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»^(١)

قال رسول الله - ﷺ -: «بين العبد و (بين) الكفر ترك الصلاة»^(٢)

قال رسول الله - ﷺ -: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٣)

قال رسول الله - ﷺ -: « مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا، بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ »^(٤)

وفي فتوى اللجنة الدائمة: عن حكم تارك الصلاة.

^(١) "مسند أحمد" (٢٢٩٣٧)، و"صحيح ابن حبان" (١٤٥٤) صحيح الترغيب ٥٦٤

^(٢) أخرجه مسلم (٨٢)، وأحمد (١٥١٨٣)

^(٣) أخرجه مسلم (٨٨ / ١) وأبو داود (٥٨ / ٥) رقم ٤٦٧٨ والترمذي (١٣ / ٥) رقم ٢٦٢١ والنسائي (٢٣٢ / ١) وابن ماجه (٣٤٢ / ١) رقم ١٠٧٨

والدارمي (هـ ٢٨٠)

^(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الفتن (برقم : ٣٠٣٤) و البخاري في الأدب المفرد (برقم : ١٨) «ضعيف الترغيب والترهيب» (١ / ١٦٣)

فأجابت: الصلاة ركن من أركان الإسلام فمن تركها جاحدا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، ومن تركها تهاونا فهو كافر على الصحيح من قولي العلماء في ذلك، والأصل في ذلك عموم الأدلة التي تدل على الحكم بكفره و لم تفرق بين من تركها تهاونا ، ومن تركها جاحدا بوجوبها .^(١)

وصح عن النبي ﷺ «من ترك الصلاة فقد كفر»

قال محمد بن نصر المروزي: «سمعت إسحاق، يقول: قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر»^(٢)

وقال ﷺ (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)^(٣)

عَنْ بُسْرِ بْنِ مِحْجَنٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَجَلَسْتُ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ لِي: أَلَسْتَ بِمُسْلِمٍ؟

قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ النَّاسِ؟

قَالَ: قُلْتُ: صَلَّيْتُ فِي أَهْلِي، قَالَ: «فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ وَلَوْ كُنْتَ قَدْ صَلَّيْتَ فِي أَهْلِكَ»^(٤)

قال الإمام أحمد - رحمه الله - أخشى ألا يحل للرجل أن يقيم مع امرأة لا تصلي، و ولا تغتسل من الجنابة، ولا تتعلم القرآن.

^(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١) - (٣٧)

^(٢) «تعظيم قدر الصلاة - محمد بن نصر المروزي» (٩٢٩ / ٢)

^(٣) البخاري (٢٥)، ومسلم (٣٦ / ٢٢)

^(٤) الترمذي: (١ / ٤٢٤ - ٤٢٥) أبواب الصلاة - باب ما جاء في الرجل يصلي وحده ثم يدرك الجماعة - رقم (٢١٩)

وقال ابن الجوزي - رحمه الله - وتارك الصلاة على صحة البدن لا تجوز شهادة، و لا لمسلم أن يواكه ، ولا يزوجه ابنته ، ولا يدخل معه تحت سقف

ويقول الشيخ محمد بن إسماعيل : و بعيدا عن اختلاف العلماء في نوع هذا الكفر في حق من ترك الصلاة تكاسلا ، مع اعتقاده وجوبها ، فإننا نهمس في أذن تارك الصلاة : هل يرضيك أن يكون انتسابك إلى ملة الإسلام و دين التوحيد و أمة محمد ﷺ موضع اختلاف بين العلماء ففريق يقول : : إنك كافرا مشرك حلال الدم و المال و أنك لا تستحق الحياة بل على ولي أمر المسلمين أن يقتلك ردة ، وأنه لا يجوز لك أن تتزوج من مسلمة ، ولا تصلح ولدا شرعيا لأولادك ، وأنك لا ترثهم ولا يرثوك ، وأنك لا تغسل و لا يصلى عليك ، ولا تدفن في مقابر المسلمين ، وأنك مستحق للخلود في جهنم مع فرعون وهامان و أبي لهب و سائر أعداء الدين .

و فريق آخر يقول: بل أنت فاسق عاص فاجر يجب قتلك إن أصررت على ترك الصلاة؟! !

يا تاركا لصلاته إن الصلاة لتشتكي

وتقول في أوقاتها الله يلعن تاركها ولا يجوز لك^(١)

فيا من لا تبالي بترك الصلاة ، و تتهاون بها كأنني بك إذا رفعت اللقمة إلى فمك ، تقول لك : يا عدو الله تأكل رزق الله ، ولا تؤدي فرائضه ، و اذا لبست ثوبك ، قال لك الثوب : يا عدو الله لولا أن الله سخرني لك لفررت منك ، و كأنني بك اذا خرجت من بيتك ، قال لك بيتك : يا عدو الله لا أتبعك الله في سفرك ، ولا ردك سالما ، و كأنني بك يا تارك الصلاة عامدا متعمدا تموت كافرا ، و كذلك تبعث ، و كأنني أسمع لك يا تارك الصلاة كأنني أسمع نداء قادم من الزمن الغابر السحيق يصرخ ينادي البحر كل يوم : يا ربي دعني أغرق ولد آدم لأنه أكل رزقك و ترك فرضك ، و تنادي السماء : يا ربي دعني أنطبق على ابن آدم لأنه أكل رزقك و تك فرضك ، و تنادي الأرض : يا رب دعني

^(١) الصلاة لماذا ؟ (٥٤-٥٥)

أخسف بابن آدم لأنه أكل رزقك و ترك فرضك ، فينادي مناد من بعيد : ألا إن تارك الصلاة ممقوت ، وعلى غير ملة الإسلام يموت ، الجحيم و الهاوية متقلبه ومثواه و هو ملعون عند الله ، مطرود من أرضه و سماه^(١)

ترك الصلاة سبب من أسباب سوء الخاتمة:

يا من لا تبالي بعمود الإسلام و الصلة بين العبد و بين الملك العلام، يخشى عليك من سوء الخاتمة، لأن من سنن الله في خلقه أن من عاش على شيء مات عليه ، ومن مات على شيء بعث عليه .

قال أبو محمد عبد الحق: اعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره و صلح باطنه، ما سمع بهذا ولا علم به - الحمد لله - وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم.

فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة، ويختطفه عند تلك الدهشة، والعياذ بالله، ثم العياذ بالله، أو يكون ممن كان مستقيماً، ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه، ويأخذ في طريقه، فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمه وشؤم عاقبته^(٢)

و استمع إلى تلك القصة التي يرويها صاحب كتاب (الويل لك يا تارك الصلاة) يقول محمد بن عبد الملك الزغبى - حفظه الله - :بلغنا عن طريق الثقة أن شاباً قد توفي منذ بضع سنوات بدولة الأردن، وذهب الناس كي يدفنوه و يضعونه ، حيث المقابر في الأردن و السعودية الخ تختلف في نظامها عن المقابر المصرية ، فهناك يضعون الميت في اللحد الشرعي ، حيث يحفرون له قبره في الرمال ، فلما ذهبوا و حفروا له قبره في الرمال يقول الشاهد أو الشهود : والله ما انتهينا من حفره حتى رأينا ثعباناً ضخماً يقف في اللحد على ذيله ، و ينتظر نزول الميت ، فابتعدنا و حفرنا له ثانية ، فوجدنا

^(١) الويل لك يا تارك الصلاة

^(٢) التذكرة (٥٣)

نفس الثعبان بالحفرة الثانية ، فمضينا كلما حفرنا وجدناه أمامنا حتى حفرنا السابعة ، يقولون : قمنا باستدعاء رجال الشرطة فجاءوا يقولون : والله ما من أحد يصوب زناده اتجاه الثعبان إلا وقع مغشيا عليه ، فقمنا باستدعاء الأئمة والعلماء فحضرنا و انتهى الرأي بهم أن يحملوه على أذرعهم ليشاهدوا ما يحدث و يقولون : والله ما إن حملنا على أذرعنا حتى طار الثعبان من اللحد على الشاب الميت و التف حوله ، ثم هوى به في قبره ، يقولون : فوالله لقد كنا نسمع تكسير عظامه كما تكسر حزمة القراط ، يقولون : فطلبنا أمه ، فأتت فسألناها عن حال ولدها ، فقالت كان سمحا طيبا ، و كان يصوم و يزكي و يعمل الخيرات ، إلا أنه كان تاركا للصلاة لا يؤديها.^(١)

ترك الصلاة شعار أهل سقر :

يقول المولى - سبحانه و تعالى - ﴿وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْنَا تِسْعَةُ عَشْرَ ﴿ [المذثر: ٢٧-٣٠]

يقول - سبحانه و تعالى - ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿ [المذثر: ٣٨-٤٥] فتارك الصلاة في سقر و المستكبرون عن الركوع لله - عز وجل - و المستهترون بمواقيت الصلاة لهم الويل قال - سبحانه و تعالى - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اذْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيُلْ يُؤْمِنُونَ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) ﴿ [المرسلات: ٤٨-٤٩]

وقال- تعالى - ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿ [الماعون: ٤-٥] و المضيعون الصلاة المفرطون فيها لهم الغي ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿ [مريم: ٥٩]

^(١) الويل لك يا تارك الصلاة

فيا تارك الصلاة أليس إقامة خمس صلوات في اليوم والليلة لها من الفضائل ما لا يحصى أهون من شرب الصديد، ومقطعات الحديد، ومعاناة العذاب الشديد. ^(١)

عَنْ مُعَاذٍ قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ قَالَ: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلَا تُعَقِّنْ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلَا تُتْرَكَنَّ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ مُتَعَمِّدًا؛ فَإِنْ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرَّتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَلَا تُشْرَبَنَّ خَمْرًا؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلُّ سَخَطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الرَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ، وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مُوْتَانٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَابْتُتْ، وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدْبًا وَأَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ» ^(٢)

و بعد هذا البيان الذي أوضح حكم تارك الصلاة و جزاءه في الدنيا و الآخرة، وأن في تركها الذل و الخسران، هيا لترى نور تلك الصلاة، لعلك إذا رأيت أنوارها سرت مع أهل الأنوار و زاحمتهم بالركب:

الصلاة هي وصية رسول الله ﷺ الأخيرة لأُمَّته:

نبينا ﷺ في رmqه الأخير في تلك الساعة التي يرى فيها العبد الدنيا و قد ولت مدبرة ، و الآخرة و قد أقبلت نحوه مسرعة ، في تلك الساعة التي يكشف فيها الغطاء ليرى العبد حقيقة سعيه ، و يرى حقيقة تلك الدنيا الحقيرة ، و يرى حقيقة الآخرة الخطيرة ، قدم النبي ﷺ أكد لنا أهمية الصلاة ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» ^(٣)

الصلاة مرآة عمل المسلم وميزان تعظيم الدين في قلب المؤمن:

^(١) الصلاة لماذا ؟ (ص: ١٦٧-١٦٨)

^(٢) أخرجه أحمد (٢٣٨/٥)، رقم (٢٢١٢٨)، والطبراني (٨٢/٢٠)، رقم (١٥٦) وصححه الألباني في الإرواء: ٢٠٢٦، وصحيح الترمذي والترغيب والترهيب: ٥٧٠

^(٣) أخرجه ابن ماجه ٥١٨ / ١، والنسائي - الكبرى ٣٥٨ / ٤ (٧١٠٠) وأبو يعلى ٤١٤ / ١٢ (٦٩٧٩)

الصلاة ميزان الأعمال بها يتابع الإنسان زيادة إيمانه و نقصانه كما يتابع الطبيب بمقياس الحرارة حرارة المريض، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ»^(١)

و الناس يتفاضلون في الصلاة ، قبل أن يتفاضلوا في غيرها من فضل علم أو زكاة و هي المقياس الصحيح ، و بها يحكم على دين الرجل و مكانته في الإسلام ، وليس امتياز هؤلاء الرجال الذين خلد التاريخ ذكرهم و كان لهم فضل في الأقران و المعاصرين ، و لسان صدق في الآخرين ، إلا لامتيازهم في الصلاة ، و تفوقهم فيها على معاصريهم ، وأضرابهم ، و بلوغهم فيها درجة الإحسان ووصولهم فيها إلى أسمى مكان و على الجانب الآخر ، فإن كل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالإسلام مستهين به لأن حظ المرء من الإسلام على قدر حظه من الصلاة ، فإذا أردت أن تعرف قدر رغبتك في الإسلام ، ففتش عن رغبتك في الصلاة ، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر تعظيمك للصلاة قال رسول الله ﷺ ((مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ مَا لَهُ عِنْدَهُ))^(٢)

وعن الحسن قال: يا بن آدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك^(٣)

والصلاة زلفى وقربى إلى الله عز وجل:

فإذا أردت أن تكون من المقربين الذين أعد لهم الروح و الريحان وجنة النعيم فعليك بالصلاة، فبها يرتقي العبد إلى الحضرة الإلهية و يخصه الله بالعون و المدد و يسدده في أقواله و أفعاله و في حركاته و سكناته فالصلاة معراج المؤمنين و محل مناجاته رب العالمين لا واسطة بين المصلي و بين ربه و بها يظهر أثر المحبة لأنه لا شيء ألد عند الحب من الخلوة بمحبة ليفوز بمطلوبه قال الله تعالى في الحديث القدسي : «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ

^(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/٢٤٠، رقم ١٨٥٩) ، والضياء من طريق الطبراني (٧/١٤٤، رقم ٢٥٧٨)

^(٢) (حسن) انظر حديث رقم: ٦٠٠٦ في صحيح الجامع

^(٣) الصلاة لماذا (١٥-١٦)

عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»^(١)

وقال رسول الله ﷺ يقول لكعب بن عُجْرَةَ: «يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ»^(٢)

وقال ﷺ «الأعمال الصلاة في وقتها»^(٣)

قَالَ مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيُّ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ قَالَ: قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ ثُمَّ سَأَلْتُهُ لثَلَاثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةٌ»^(٤)

الصلاة وتكفير الخطايا :

يا أصحاب الذنوب والخطايا، يا من سودتم صحائف أعمالكم بالذنوب، ولم تبالوا بترك الصلاة وأنتم في أمس الحاجة إلى ركعة تطهر القلوب من آثار الذنوب، هل فكرتم في تكلل الذنوب، وما هو الطريق الخلاص منها؟ هل فكرتم في صحائف السواد تجعلونها بيضاء؟ يا من لا تبالي بالصلاة هيا لترى كيف أن الصلاة تمحو الذنوب وتكفر الخطايا

يقول - سبحانه وتعالى - ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ

يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]

^(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٦٥٠٢)

^(٢) رواه القضاي في "مسند الشهاب" (١/ ١٧)

^(٣) أخرجه مسلم (٩٠/١)، رقم (٨٥). وأخرجه أيضا: أحمد (٤١٨/١)، رقم (٣٩٧٣)

^(٤) أخرجه مسلم (٤٨٨)، وابن ماجه (١٤٢٣)، والترمذي (٣٨٨) و (٣٨٩)، والنسائي (٢٢٨/٢)، وابن خزيمة (٣١٦)، وابن حبان (١٧٣٥) م

الله أكبر! طرفي النهار، الفجر والعصر، وزلفا من الليل المغرب والعشاء، يعني الفروض الخمس، وتأتي يوم القيامة فتجد السيئات مغفورة، وقد بدلت حسنات، هذا هو الفضل الكبير فضل الجائزة فضل الصلاة.

إذ هذا الأمر على قسمين: قسم يزيل الذنوب و الخطايا أولا بأول، و قسم يزيلها نهائيا، يزيل الذنوب القديمة بالكلية، هذا أيضا بفضل الصلاة الجائزة، نبينا الكريم الرحمة المهداة

ﷺ - جزاه الله عتا خيرا الجزاء - عندما نزلت الآية و قال من بيده الأمر ﴿ وَأَقِمِ

الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى

لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤]

في حق رجل أصاب من امرأة شيئا دون الجماع، فسأل النبي ﷺ عن تطهير هذا الذنب، فأخبره أنه صلاته معه تكفر هذا الذنب، ونزلت الآية

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَهُ خَاصَّةٌ، أَمْ لِلنَّاسِ كَافَّةٌ؟

فَقَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةٌ»^(١)

روى البخاري قال رسول ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ ذَنْبِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ ذَنْبِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَ الْخَطَايَا»^(٢)

والدرن أي: الوسخ الذي على الجسد، يعني: لو أنك اغتسلت خمس مرات، هل يبقى في جسدك أي وسخ، قالوا: لا، كذلك الصلوات الخمس، هذا أول شيء أنها تزل أولا بأول، فالصلاة تزيل ما بين الفروض _ فإياك _ أخي المسلم _ أن يضحك عليك الشيطان، و يجعلك تترك الصلاة، إن الجائزة و أنت في الدنيا أن تمحو عن ذنوبك، و أمر آخر يزل الذنوب أولا بأول:

^(١) أخرجه مسلم (٢٧٦٣) (٤٢) ، وأبو داود (٤٤٦٨) ، والترمذي (٣١١٢)

^(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٧) ، وأخرجه مسلم (٢٩٨٨) (٤٩)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ سَبَّحَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، ثُمَّ قَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ لَهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ »^(١)

وزبد البحر هو ما يعلو عند هياجه وتموجه.

القسم الثاني: يزيل جميع الذنوب السابقة روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢)

فهذا بحق جائزة الصلاة، تزيل كل السيئات الماضية فالصلاة فرض، ومنه وكرم في الدنيا
(٣)

عن أبي ذرٍّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ زَمَنَ الشِّتَاءِ وَالْوَرَقُ يَتَهَافَتُ، فَأَخَذَ بَعْضَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ، فَجَعَلَ الْوَرَقَ يَتَهَافَتُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ. قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ يُصَلِّي الصَّلَاةَ يَرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَتَهَافَتُ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَهَافَتُ هَذَا الْوَرَقُ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»^(٤)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " يُبْعَثُ مُنَادٍ عِنْدَ حَضْرَةِ كُلِّ صَلَاةٍ فَيَقُولُ: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا فَأَطْفِئُوا عَنْكُمْ مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَيَقُومُونَ فَيَتَطَهَّرُونَ وَتَسْقُطُ خَطَايَاهُمْ مِنْ أَعْيُنِهِمْ، وَيُصَلُّونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا، ثُمَّ يُوقِدُونَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ صَلَاةِ الْوَلَى نَادَى: يَا بَنِي آدَمَ، قُومُوا فَأَطْفِئُوا مَا أَوْقَدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَيَقُومُونَ فَيَتَطَهَّرُونَ وَيُصَلُّونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَصْرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا

^(١) أخرجه أحمد ٢/ ٤٨٣ (١٠٢٧٢). و (مسلم) (١٢٩١)

^(٢) البخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠) (٧٢)، وأبو داود (٩٣٦)

^(٣) فوائد الصلاة في الدنيا (ص: ٣٣-٣٦) بتصرف يسير

^(٤) أخرجه أحمد (١٧٩/٥)، رقم (٢١٥٩٦) قال الهيثمي (٢٤٨/٢): رجاله ثقات

حَضَرَتِ الْمَغْرِبُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَإِذَا حَضَرَتِ الْعَتَمَةُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَيَنَامُونَ وَقَدْ غُفِرَ لَهُمْ ،
ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَمُدْلِجٌ فِي خَيْرٍ، وَمُدْلِجٌ فِي شَرٍّ»^(١)

و عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ
يُصَلِّي أُتِيَ بِذُنُوبِهِ فَوَضَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ أَوْ عَاتِقِهِ فَكُلَّمَا رَكَعَ أَوْ سَجَدَ تَسَاقَطَتْ عَنْهُ»^(٢)

فيا من عميت عيناه من كثرة الذنوب، وأضحى لا يبالي بفريضة علام الغيوب، أما آن
لك أن تقلع و تتوب ، فيراك ربك راكعا و ساجدا ، و قد تعلق قلبك بالمساجد ، أما آن
لك ، أما أنذرك الشيب و من من نصحه ريب !

الفصل الثاني

^(١) أخرجه الطبراني (١٤١/١٠ ، رقم ١٠٢٥٢) الصحيح: ٢٥٢٠ ، صحيح الترمذي والترغيب والترهيب: ٣٥٩

^(٢) أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣١٦/١ ، رقم ٢٩٣) ، وأبو نعيم في الحلية (٩٩/٦) ، والبيهقي (١٠/٣ ، رقم ٤٤٧٣) الصحيحة ١٣٩٨

اللامبالاة بتأخير الصلاة عن وقتها

ومن تلك الصور التي نشاهدها ، و أن دلت فإنما تدل على اللامبالاة بما أمر الله تعالى بالمحافظة عليه ، تأخير الصلاة عن وقتها ، و يعتقد كثير من هؤلاء أن هذا الأمر لا غبار عليه ، وأنه طالما يصلي فإن القضية قد انتهت ، فتجد الواحد يحافظ على أمر دينه ، ولا يؤخره ، بل ربما إذا تأخر ولو دقائق يقيم الدنيا ولا يقعدا ، بل ربما ضرب زوجته و أساء الأدب معها لأنها كانت سببا في تأخره ، أم عند الصلاة ، فإنه يجمع الظهر و العصر و المغرب و العشاء ، جملة واحدة فينقرها كنقر الديكة ، ولا يذكر الله فيها إلا قليلا ، فهذا قد أوقع نفسه في غض الله تعالى ، و هيا لترى يا من لا تبالي بتأخير الصلاة عن وقتها جزاء من أخرها في الدنيا و الآخرة يقول المولى - سبحانه وتعالى -

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾

[مريم: ٥٩]

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه-: في هذه الآية أضاعوا الصلاة أي : أخروها عن وقتها

و عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه- سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] قال هم الذين يؤخرونها عن وقتها ^(١)

هذا جزاء من يتهاون بوقت الصلاة فسوف يلقون غيا ، و الغي كما اخرج البخاري في (تاريخ) عن عائشة - رضي الله عنه - : قالت (الغي نهر في جهنم

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩] قال الغي : نهر أو واد في جهنم من قيح بعيد قعره خبيث طعمه يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات . ^(٢)

^(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (ج ١) (ص: ٩١)

^(٢) رواه ابن جرير وابن النذري وابن أبي حاتم

و عن عطاء في قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]

فقال: أي الصلاة المفروضة فمن شغله ماله وتجارته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين.

تأخير الصلاة سبب من أسباب عذاب القبر:

اعلم علمني الله وإياك- أن تأخير الصلاة عن وقتها سبب من أسباب عذاب القبر الذي لا ينقطع عن صاحبه حتى قيام الساعة عَنْ سَمُرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ .. رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتْيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، حَتَّى تَبَيَّنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ يَفْهَرُ، أَوْ صَخْرَةً، فَيَشْدُخُ بِهَا رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَاهَدَهُ الْحَجَرُ، فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا، حَتَّى يَلْتَمِسَ رَأْسَهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلَقْ، أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ^(١) وفي رواية «فَيَفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

تأخير الصلاة علامة من علامات المنافقين:

واعلم - يا من لا تبالي بتأخير الصلاة عن وقتها- أن ذلك من علامات المنافقين المخادعين، وإياك أن تكون منهم، يقول - سبحانه وتعالى - ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]

فهو قد اعتاد تأخير الصلاة عن وقتها لأن داء النفاق قد دب إلى قلبه وانظر إلى حالهم و النبي ﷺ يصورهم لنا قال ﷺ ذاما من يؤخر الصلاة عن وقتها تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ. «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ. تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِينَ. يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ، حَتَّى إِذَا اصْفَرَّتْ

^(١) البخاري (١١٤٣) و (٣٣٥٤) و (٤٦٧٤) و (٧٠٤٧)

الشَّمْسُ، وَكَانَتْ بَيْنَ قَرْنِي الشَّيْطَانِ، أَوْ عَلَى قَرْنِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَتَقَرَّ أَرْبَعًا. لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»^(١)

تأخير الصلاة عن وقتها سبب من أسباب استحواذ الشيطان:

واعلم - يا من لا تبالي بوقت الصلاة - أن تأخيرها علامة من علامات استحواذ الشيطان على العبد، ومن استحواذ عليه الشيطان ينسيه ذكر الله، و يدخله في حزبه يقول - سبحانه وتعالى - ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ، إِذَا هُوَ نَامَ، ثَلَاثَ عُقَدٍ. يَضْرِبُ مَكَانَ كُلِّ عُقْدَةٍ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ. فَإِنْ اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. فَإِنْ تَوَضَّأَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ. فَأَصْبَحَ نَشِيطًا، طَيِّبَ النَّفْسِ. وَإِلَّا، أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانًا»^(٢)

واعلم - يا من لا تبالي بتأخير الصلاة عن وقتها - أن أعظم المصائب المصيبة في الدين، ومن تلك المصائب تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها

عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ ، فَكَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»^(٣) والموتور من أخذ ماله وأهله وهو ينظر إليه، وذلك أشد لغمه، ومن فاتته الصلاة أشبهه لاجتماع غم الإثم وغم فقد الثواب.

كما يجتمع على الموتور غمان: غم السلب، وغم الطلب بالثأر .

^(١) أخرجه مالك (٢٢٠/١)، رقم (٥١٤)، وعبد الرزاق (٥٤٩/١)، رقم (٢٠٨٠)، وأحمد (١٤٩/٣)، رقم (١٢٥٣١)، وأبي داود (١١٢/١)، رقم (٤١٣)،

والترمذي (٣٠١/١)، رقم (١٦٠)

^(٢) البخاري، ١١٤٢ في التهجد عن طريق عبد الله بن يوسف؛ وأبو داود، ١٣٠٦

^(٣) أخرجه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦) (٢٠٠)، وأبو داود (٤١٤)

و أخيراً - يا من لا تبالي بوقت الصلاة - بعد أن كشف لك عن ستار من خالف أمر العزيز الجبار و تهاون بفرضه ، هيا لترى في جانب أهل الإيمان ثواب من حافظ على الصلاة لوقتها ، لعل ذلك يكون سبباً من أسباب المحافظة على الصلاة

اعلم - علمني الله وإياك- أن أفضل الطاعات الصلاة لوقتها عن ابن مسعود، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: « صَلِّ الصَّلَاةَ لِمَوَاقِيتِهَا ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟

قَالَ: « بَرُّ الْوَالِدَيْنِ ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: « ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَوْ اسْتَرْذَنَّهُ لَزَادَنِي»^(١)

قال عبادة بن الصامت كذب أبو محمد أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: « خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لَوَقْتِهِنَّ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخَشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ »^(٢)

واعلم أن المحافظة إلى لصلاة في أول وقتها سبب من أسباب دخول الجنة، واسمع يا من لا تبالي بها حتى يخرج وقتها - إلى الله وهو يأخذ على نفسه العهد فضلاً منه ورحمه: أن من حافظ عليها لوقتها أدخله الجنة وغفر له ، وأن من لم يحافظ عليها لم يكن له عند الله عهدا .

عن أبي قتادة قال: قال النبي ﷺ: « قَالَ اللَّهُ: إِنِّي فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَعَهَدْتُ عِنْدِي عَهْدًا أَنَّ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ لَوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ فِي عَهْدِي، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي »^(٣)

^(١) أخرجه أبو يعلى (٥٣٢٩) ، وابن حبان (١٤٧٦) ، والطبراني في "الكبير" (٩٨١٨)

^(٢) أخرجه أحمد "٥/ ٣١٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٢"، والنسائي "رقم ٤٦٢"، وابن ماجه في إقامة الصلاة رقم ١٤٠١

^(٣) أخرجه الطيالسي (ص ٧٨ رقم ٥٧٣) ، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٩٧٠/٢) ، رقم ١٠٥٤) ، والضياء من طريق الطبراني (٣٠٥/٨) ، رقم

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ «أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - مَرَّ عَلَى أَصْحَابِهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُمْ: « هَلْ تَذَرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ » قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ: « وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يُصَلِّيَهَا لَوْ قَتَبْتُهَا إِلَّا أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَلَّاهَا لِعَيْرٍ وَقَتَبَهَا إِنْ شِئْتُ رَحِمَتُهُ وَإِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُه » ^(١)

^(١) «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١/ ٣٠٢)

الفصل الثالث

اللامبالاة بصلاة الجماعة :

كلمت في الفصل الأول عن الصنف الأول وهو الذي لا يبالي بترك الصلاة ، و يتهاون في شأنها ، و عرفنا موقف الشرع الحنيف من هذا الصنف ، ثم أخذت بيده لبيان عظم الصلاة و مكانتها في الإسلام فهي عماد الدين ، و الفرق بين أهل الإيمان و أهل الكفر و العصيان ، ثم وقفت مع الصنف الثاني ، وهو يصلي و لكنه يجمع الصلوات و ينقرها نقر الديكة ، و عرفنا جزاء من لم يبالي بوقت الصلاة ، ثم عرجنا إلى بيان فضل الصلاة لوقتها ، و في هذا الفصل نقف مع صنف يصلي الصلاة لوقتها ، و لكن مرض اللامبالاة قد أصابه ، فهو يصلي و لكن في بيته ، يسمع المؤذن ينادي : حي على الصلاة ، ولا يرفع لذلك رأساً ، فإذا خاطبته في ذلك انبرى قائلاً : صلاة الجماعة سنة ، فمن شاء صلاها في بيته ، و من شاء صلاها في جماعة ، و آخر يتعذر في ترك الصلاة حتى رأينا المقاهي ازدحمت بهؤلاء و هم قد اجتمعوا على سماع الأغاني المحرمات و مشاهدة الأفلام و المسلسلات ، و ربما يكون المسجد بجوار المقهى ، فتجد المسجد خالي من المصلين ، بينما المقهى قد امتلأ عن آخره ، و نوع يجلس في بيته جلوس النساء و الأطفال ، فإلى هؤلاء الذين لا يباليون بشأن صلاة الجماعة ، أوجه هذا البيان من كتاب الرحمن ؓ وسنة النبي العدنان ﷺ

صلاة الجماعة واجبة وليست سنة :

اعلم - علمني الله وإياك - أن صلاة الجماعة واجبة على المستطيع يأثم تاركها لغير عذر، بل إن تركها علامة من علامات النفاق الأكبر وهاك الأدلة من الكتاب والسنة:

بوب الإمام البخاري باباً فقال: باب وجوب صلاة الجماعة.

قال الحسن: إن منعه أمه عن العشاء شفقة لم يطعها

ثم ساق حديث أبي هريرة « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ نَاسًا فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ رَجُلًا يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَخَالَفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَأَمَرَ

بِهِمْ فَيَحْرِقُوا عَلَيْهِمْ يَحْزَمُ الْحَطَبُ يُؤْتَتْهُمْ. وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا
لَشَهِدَهَا» - يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ - (١)

قال الحافظ بن حجر - رحمه الله: هكذا بت الحكم في هذه المسألة وكأن ذلك لقوة
دليلها عنده لكن أطلق الوجوب وهو أعم من كونه وجوب عين أو كفاية إلا أن الأثر
الذي ذكره عن الحسن يشعر بكونه يريد أنه وجوب عين لما عرف من عادته أنه يستعمل
الأثار في التراجم لتوضيحها وتكمليلها وتعيين أحد الاحتمالات في حديث الباب. (٢)

وبوب الإمام مسلم فقال: باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء .

و ساق حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ أَعْمَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:
إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلَى الصَّلَاةِ فَسَأَلَهُ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فِي بَيْتِهِ فَأُذِنَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى
دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ» (٣)

واخرج ابن ماجة والحاكم وقال على شرطهما عن ابن عباس قال: «مَنْ سَمِعَ النَّدَاءَ،
فَلَمْ يُجِبْ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عَذْرِ» (٤)

و قال الإمام البغوي: ذهب غير واحد من صحابة النبي ﷺ إلى أن من سمع النداء فلم
يُجِبْ، فلا صلاة له .

و قال عطاء بن أبي رباح: ليس لأحد من خلق الله في حضر و لا قرية رخصة إذا سمع
النداء، في أن يدع الصلاة .

و قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (من سمع النداء فلم يجب لم يُرد خيرا و لم
يُرد به خير .

(١) أخرجه مالك (١٢٩/١)، رقم (٢٩٠)، والبخاري (٢٣١/١)، رقم (٦١٨)، والنسائي (١٠٧/٢)، رقم (٨٤٨)

(٢) فتح الباري ج ١ ص ١٤٨

(٣) مسلم ١/ ٤٥٢ (٦٥٣)

(٤) أخرجه ابن ماجة (٢٦٠/١)، رقم (٧٩٣)، والطبراني (٤٤٦/١)، رقم (١٢٢٦٥)، والحاكم (٣٧٣/١)، رقم (٨٩٤)

و قال الحافظ بن حجر: وإلى القول بأنها فرض عين ذهب عطاء والأوزاعي وأحمد وجماعة من محدثي الشافعية كأبي ثور وابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان وبالغ داود ومن تبعه فجعلها شرطاً في صحة الصلاة وأشار بن دقيق العيد إلى أنه مبني على أن ما وجب في العبادة كان شرطاً فيها فلما كان الهم المذكور دالاً على لازمه وهو الحضور ووجوب الحضور دليلاً على لازمه وهو الاشتراط ثبت الاشتراط بهذه الوسيلة إلا أنه لا يتم إلا بتسليم أن ما وجب في العبادة كان شرطاً فيها وقد قيل إنه الغالب ولما كان الوجوب قد ينفك عن الشرطية قال أحمد إنها واجبة غير شرط انتهى^(١).

واعلم - يا من لا تبالي بصلاة الجماعة - أن ذلك علامة من علامات استحواذ الشيطان عليك

عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: أَيْنَ مَسْكُنُكَ؟ فَقُلْتُ: فِي قَرْيَةٍ دُونَ حِمَصٍ، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلَا بُدْوٍ، لَا يُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ، إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، عَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّنْبُ الْقَاصِيَةَ» قَالَ السَّائِبُ: «إِنَّمَا يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ جَمَاعَةَ الصَّلَاةِ»^(٢)

فقد بين ﷺ أن الشيطان ذئب الإنسان وهو اعدى عدوه ، و كما أن الطائر كلما علا بعد عن الآفات ، و كلما نزل احتوشته الآفات فكذلك الشاة كلما كانت قريبة إلى الراعي كانت أسلم من الذئب، و كلما ابتعدت عن الراعي كانت أقرب إلى الهلاك ، فأحمى ما تكون الشاة إذا قربت من الراعي ، وإنما يأخذ الذئب القاصي من الغنم ، و هي أبعد-هن من الراعي

قال بعض السلف: رأيت العبد ملقى بين الله سبحانه وبين الشيطان، فإذا أعرض عنه تولاه الشيطان، وإن تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان.

صلاة الجماعة من سنن الهدى:

^(١) فتح الباري ج ١ ص ١٤٨

^(٢) «مسند أحمد» (٤٢ / ٣٦ ط الرسالة) «زهد» ابن المبارك (١٣٠٦) ، وأبو داود (٥٤٧) ، والنسائي ١٠٦/٢-١٠٧ ، وابن خزيمة (١٤٨٦) ، وابن حبان (٢١٠١)

عن عبد الله بن مسعود وقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَنَا سُنْنَ الْهُدَى، وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَدَّنُ فِيهِ»^(١)

وعنه رضي الله عنه أيضا: قَالَ: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سُنْنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النَّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»^(٢)

اعلم -يا من لا تبالي بصلاة الجماعة - أن تركها علامة دالة أنك من جملة المنافقين الذين ذمهم النبي ﷺ فهل ترضى أن تكون منهم ؟

فقد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه -وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النَّفَاقِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا، وَلَوْ حَبَوًّا»^(٣)

عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ»^(٤)

الصلاة نور له في الدنيا و الآخرة :

قال رسول الله ﷺ «وَالصَّلَاةُ نُورٌ»^(٥)

^(١) رواه مسلم رقم (٦٥٤) في المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، وأبو داود رقم (٥٥٠) في الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة

^(٢) أخرجه مسلم (٦٥٤)، وأبو داود (٥٥٠)، والنسائي ١٠٨ / ٢ - ١٠٩

^(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٣٣٢/١، ومسلم (٦٥١) (٢٥٢)، وأبو داود (٥٤٨)، وابن ماجه (٧٩١) و (٧٩٧)

^(٤) رواه الترمذي رقم (٢٤١) في الصلاة، باب ما جاء في فضل التكبير الأولى

^(٥) الدارمي (٦٥٣)، ومسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٧)

و يقول الله - سبحانه و تعالى - ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ
مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]

عَنْ بُرَيْدَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالثَّوْرِ الثَّامِّ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»^(١)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ لَقِيَ
اللَّهُ بِنُورِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمَشَّاءُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ،
أُولَئِكَ الْخَوَاضُونَ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ»^(٣)

و قال النخعي: كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة موجب الجنة .

واسمع - يا من لا تبالي بصلاة الجماعة - بعيدا عن اختلاف العلماء في كونها شرط
صحة الصلاة، أو وجبة، أو ليست شرطا وجوبا عينيا أو فرض كفاية، أو سنة مؤكدة،
كما ذهب بعض العلماء، إلى الفوائد والجوائز التي تعود على من حافظ عليها في جماع.

المسجد بيت كل مؤمن تقي:

فاذا أردت أن تتعرف على هوية إنسان فانظر إليه هل يهتم أمر الصلاة أو لا ؟ وهل
يحافظ عليها في جماعة، أم أنه من المتخلفين الذين لا يبالون بشأنها ؟

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: «الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ
تَقِيٍّ وَتَكْفَلَ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى
رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٤)

^(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٨٢٣ في صحيح الجامع

^(٢) أخرجه الدارمي (١٤٢٩) الطبراني (٣٠ / ٢)

^(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٥٦/١)، رقم (٧٧٩) (ضعيف) انظر حديث رقم: ٥٩٣٦ في ضعيف الجامع

^(٤) «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٢٢ / ٢)

أبعد هذا الفضل فضل، وبعد هذا الجزاء جزاء؟ فقد وصف النبي ﷺ من يحافظ على الصلاة في جماعة بالإيمان والتقوى، ثم منح الروح والريحان والجوز على الصراط.

و هذا بيت في الجنة في كل صلاة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ « مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَزْلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ »^(١)

فهذا الذي لا يبالي يحرم نفسه من هذا النزل الذي يعده الله لمن حافظ عليها و هو يحرم نفسه الأجر و الثواب الذي يكون في كل خطوة يخطوها إلى المسجد، عن أبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَامِداً إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ. وَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ بِإِحْدَى خَطْوَيْهِ حَسَنَةٌ، وَيُمْحَى عَنْهُ بِالْآخِرَى سَيِّئَةٌ. فَإِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ الْإِقَامَةَ فَلَا يَسْعَ. فَإِنَّ أَعْظَمَكُمْ أَجْراً أَبْعَدُكُمْ دَاراً»، قَالُوا: لِمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: «مِنْ أَجْلِ كَثْرَةِ الْخَطَا»^(٢)

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ وَهُوَ مُتَطَهِّرٌ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ مَشَى إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى لَا يُنْصِبُهُ إِلَّا إِيَّاهُ فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ، وَصَلَاةٌ عَلَى إِثْرِ صَلَاةٍ كَكِتَابٍ فِي عِلِّيْنِ»^(٣)

هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي الْجَمَاعَةِ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ ضِعْفاً، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى، لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَاةٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَهَرَ الصَّلَاةَ»^(٤)

وهيا لترى قدر الخسارة التي يخسرها من لا يبالي بصلاة الجماعة:

* رجل صلى في بيته ٥٠ سنة × ٣٦٠ يوماً + ١٨٠٠٠ × خمسين في الأجر ٩٠٠٠٠٠ صلاة.

^(١) أخرجه أحمد (٥٠٨/٢)، والبخاري (٢٣٥/١)، ومسلم (٤٦٣/١)، رقم (٦٦٩)

^(٢) رواه البخاري ٢ / ١١٣ في الجماعة، باب فضل صلاة الجماعة

^(٣) أخرجه أحمد (٢٦٨/٥)، رقم (٢٢٣٥٨)، والطبراني (١٧٦/٨)، رقم (٧٧٣٤). وأخرجه أيضاً: أبو داود (١٥٣/١)، رقم (٥٥٨)

^(٤) (رواه البخاري: ٦٤٧. ومسلم: ٦٤٩)

* ورجل صلى في المسجد ٥٠ سنة × ٣٦٠ يوما + ١٨٠٠٠ × خمس في الأجر +
٩٠٠٠٠٠ × ٢٥ ض + ٢٢ مليون صلاة

فالأول لم يصل رصيده إلى مليون صلاة، لأنه لم يبال بصلاة الجماعة و الآخر وصل
رصيده إلى هذ الملايين، لأنه حافظ لأنه حافظ ع عليها في جماعة، و شتان بين رجلين
أحدهما: قلبه متعلق بالمساجد، و الآخر قلبه متعلق بهواه و دنياه الأول في ظل عرش
الرحمن يقول رسول ﷺ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ
مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسَاجِدِ^(١)

و الثاني: فجهم مأواه يقول - سبحانه و تعالى - ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩]

صور من حرص السلف على صلاة الجماعة

عن شيان قال: حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي
للصلاة المكتوبة تركوا بياعاتهم ونهضوا إلى الصلاة، فقال عبد الله بن مسعود: هؤلاء
من الذين ذكر الله في كتابه {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}

عَمَرُو بْنُ دِينَارٍ ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَنَحْنُ نُرِيدُ الصَّلَاةَ ، فَنَظَرُ إِلَى
السُّوقِ وَقَدْ خَمَرُوا مَتَاعَهُمْ ، وَقَالُوا إِلَى الصَّلَاةِ ، فَتَلَى سَالِمٌ: {رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ
وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [النور: ٣٧] ، قَالَ: هُمْ هَؤُلَاءِ .

و قال غيره كانوا يبيعون و يشترون، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء و ميزانه في يده
خفضه، وأقبل على صلاته .

حرص ميمون بن مهران - رحمه الله:-

و انظر إلى حرصه على صلاة الجماعة لم يشغله عمله عن حضور الجماعة مع المسلمين
، فكانت مهنته صياغة الذهب و الفضة و كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء لم يردّها .

^(١) -أخرجه البخاري (٦٦٠) و (١٤٢٣) و (٦٤٧٩) ، ومسلم (١٠٣١) (٩١) ، والترمذي (٢٣٩١)

حرص عامر بن عبد الله المؤذن:

وها هو يجود بنفسه في سكرات الموت و منزله قريب من المسجد قال خذوا بيدي :
ف قيل :إنك عليل ، فقال : أسمع داعي الله فلا أجيبه ؟

فأخذوا بيده، فدخل في صلاة المغرب فركع مع الإمام ثم مات - رحمه الله

حرص الربيع بن خثيم رحمه الله-

بعدما سقط شقه يُهادى إلى مسجد قومه، يقولون: يا أبا يزيد لقد رخص لك لو صليت
في بيتك؟ فيقول إنه كما تقولون لكني سمعته يقول (حي على الفلاح) فمن سمعه
منكم ينادي، حي على الفلاح فليجبه ولو زحفا ولو حبوا.

حرص سليمان بن مهران (الأعمش) - رحمه الله:-

وانظر - يا من لا تبالي بترك صلاة الجماعة - إلى حرص سليمان بن مهران قال وكيع
بن الجراح: كان الأعمش وهو سليمان بن مهران قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة
الأولى.

حرص ضمام بن إسماعيل - رحمه الله:

جاء - رحمه الله - إلى المسجد وقد صلى الناس فجعل يطو على نفسه ألا يخرج من
المسجد حتى يلقي الله، فجعله بيته حتى مات

إن شعار هؤلاء كان كما يقول الحسن - رحمه الله- من نafسك في دينك فنافسه، ومن
نافسك في دنياه فألقها في نحره

و قال وهب بن الورد: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل .

هم الرجال وعيب أن يُقال	لمن لم يكن مثله رجل
واحسرتاه تقضى العمر وانصرف	ساعته بين ذل العجز والكسل
و القوم قد أخذوا درب النجاة وقد	ساروا إلى الملأ الأعلى على مهل

الفصل الرابع

اللامبالاة بأحكام وآداب الصلاة

اعلم - علمني الله - أن هناك بعض مظاهر اللامبالاة التي أصابت بعض الأخيار الذين يحافظون على الصلاة، ولكنهم مع حرصهم عليها، إلا أنهم يقعون في بعض صور اللامبالاة التي تنقص من أجرهم ومنزلتهم عند الله تعالى، ومن باب الدين النصيحة نقف مع تلك المظاهر حتى نقضي عليها:

الصورة الأولى: الصلاة إلى غير سترة:

فترى ونشاهد كثيرا من المصلين الذين فرطوا في تلك السنة التي حث عليها النبي ﷺ في صلاته.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ، وَلْيَذَنْ مِنْهَا، وَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يَمُرُّ فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ»^(١)
عن عبد بن عمر يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَلِّ إِلَّا إِلَى سُتْرَةٍ»^(٢)

و انظر إلى حرص الصحابة حيث كانوا حريصين على الصلاة و تنفيذ أوامر النبي ﷺ
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ الْمُؤَدِّنُ إِذَا أَدَّنَ، قَامَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَذَرُونَ السَّوَارِي، حَتَّى يَخْرُجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣)

عن نافع قال: كان ابن عمر إذا لم يجد سبيلا إلى سارية من سواري المسجد قال لي: ولني ظهرك.^(٤)

^(١) أخرجه أحمد (٤٣/٣، رقم ١١٤١٢)، والبخاري (١٩١/١، رقم ٤٨٧)، ومسلم (٣٦٢/١، رقم ٥٠٥)

^(٢) أخرجه مسلم (٥٠٦) في الصلاة: باب منع المار بين يدي المصلي، عن إسحاق بن إبراهيم، والبيهقي ٢٦٨/٢ من

^(٣) أخرجه البخاري (٦٢٥)، وابن خزيمة (١٢٨٨)، وابن حبان (١٥٨٩)

^(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٠/١، ٢٨٧٨)

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: « سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ سِتْرَةِ الْمُصَلِّي فَقَالَ: مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّحْلِ »^(١)

و مؤخر الرحل: هي الخشبة التي يستند إليها الراكب البعير ومقدارها زراع فالسنة - عبد الله- أن تحافظ عليها، و أن يكون لك في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة.

عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ وَلْيَقْتَرِبْ مِنَ السِتْرَةِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ»^(٢)

قال البغوي - رحمه الله- والعمل على هذا عند أهل العلم، استحباب الدنو من السترة بحيث يكون بينه وبينها قدر إمكان السجود، وكذلك بين الصفيين.

الصورة الثانية: من صور اللامبالاة التي نراها من كثير من الأخيار المرور بين يدي المصلي.

و لو يعلم هؤلاء اعظم الذنب الذي اجترحوه لما مر احدهم بين يدي المصلي أبدا فقد روي البخاري و مسلم عن أبي جُهَيْمٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : «لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ». قَالَ أَبُو النَّضْرِ: لَا أَذْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ شَهْرًا، أَوْ سَنَةً»^(٣)

ولقد أمر النبي ﷺ الذي يصلي إلى السترة و أراد أحد المارة أن يمر بين ، فعليه أن يدفعه يدفعه ، فإن أبي فليقاتله لأنه شيطان ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيُصَلِّ إِلَى سِتْرَةٍ، وَلْيَذْنُ مِنْهَا، وَلَا يَدْعُ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنْ جَاءَ أَحَدٌ يَمُرُّ فَلْيُقَاتِلْهُ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ»^(٤)

^(١) مسلم (١/ ٣٥٨ رقم ٥٠٠)

^(٢) «شرح السنة للبغوي» (٢/ ٤٤٧)

^(٣) البخاري (٥١٠) ، ومسلم (٥٠٧)

^(٤) أخرجه مسلم (٥٠٥) ، وأبو داود (٦٩٧) ، والنسائي (٦٦ / ٢)

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم أحدكم ما له في أن يمر بين يدي أخيه - يعني في صلاته - كان أن يقف مئة عام خير له من خطوته التي خطاها»^(١)

الصورة الثالثة - من صور اللامبالاة (التأخر عن تكبيرة الإحرام):

فمن الناس من لا يخرج من بيته إلا بعد أن يعلم أن الصلاة قد قامت فيحرم نفسه الأجر والثواب الذي رتبته النبي ﷺ على تكبيرة الإحرام وإدراكها مع الإمام قال قال ﷺ «مَنْ صَلَّى لِلَّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُذَكِّرُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَى كُتِبَ لَهُ بَرَاءَتَانِ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ»^(٢)

لذا كان السلف الصالح يحرصون على تكبيرة الإحرام وإدراكها مع الإمام فهد سعيد بن جبير - رحمه الله - إمام التابعين: قال: ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة، وقال: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد

*الصورة الرابعة-اللامبالاة بأكل الثوم و البصل أو الكراث:

ثم يأتي المسجد مع العلم بأن النبي ﷺ حذر من ذلك ونهانا عنه
عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلَا يَقْرَبَنَّ الْمَسَاجِدَ.»^(٣)
وعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ مَنْ أَكَلَ بَصَلًا أَوْ ثَوْمًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ فَلْيَعْتَزِلْ مَسَاجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ»^(٤)

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الْبَصَلِ، وَالْكَرَّاثِ، فَعَلَبْتُنَا الْحَاجَةُ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُتَنِّتَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ الْإِنْسُ»^(٥)

^(١) أخرجه ابن ماجه (٩٤٦) ، وأحمد (٣٧١ / ٢) ، وابن خزيمة (٨١٤) ، وابن حبان (٢٣٦٥)

^(٢) أخرجه الترمذي "٧/٢": كتاب أبواب الصلاة: باب ما جاء في فضل التكبيرة الأولى، حديث "٢٤١"

^(٣) أخرجه أحمد (٢٠/٢)، رقم (٤٧١٥)، والبخاري (٢٩٢/١)، رقم (٨١٥)، ومسلم (٣٩٤/١)، رقم (٥٦١)

^(٤) أخرجه البخاري (٨٥٥) و (٧٣٥٩)، ومسلم (٥٦٤) (٧٣)، وأبو داود (٣٨٢٢)

^(٥) أخرجه مسلم (٥٦٤)

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: «إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ مِنْ شَجَرَتَيْنِ، مَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَيْشَتَيْنِ هَذَا الْبَصَلُ وَالثُّومُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ، أَمَرَ بِهِ فَأَخْرَجَ إِلَى الْبَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا فَلْيَمِثْهُمَا طَبْحًا»^(١)

قال الشيخ ابن باز - رحمه الله - هذا الحديث وما في معناه من الأحاديث الصحيحة يدل على كراهة حضور المسلم لصلاة الجماعة ما دامت الرائحة توجد منه ظاهرة تؤذي من حوله، سواء كان ذلك من أكل الثوم أو البصل أو الكراث أو غيرها من الأشياء المكروهة الرائحة كالدخان حتى تذهب الرائحة، مع العلم بأن الدخان مع قبح رائحته هو محرم لأضراره الكثيرة وخبثه المعروف، وهو داخل في قوله سبحانه عن نبيه ﷺ في سورة الأعراف: {وَيَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: ١٥٧] ويدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه في سورة المائدة: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ} [المائدة: ٤].

ومعلوم أن الدخان ليس من الطيبات فعلم بذلك أنه من المحرمات على الأمة. وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - : ويسن أيضاً أن يتطيّب، كما جاءت به السنة ، بأي طيب سواء من الدهن أو من البخور، في ثيابه وفي بدنه؛ وذلك من أجل اجتماع الناس في مكان واحد؛ لأن العادة أنه إذا كثر الجمع ضاق النفس، وكثر ، وثارت الرائحة الكريهة، فإذا وجد الطيب، وقد سبقه التنظف، فإن ذلك يخفف من الرائحة؛ ولهذا نهى الرسول عليه الصلاة والسلام من أكل بصلاً أو ثوماً أن يقرب المسجد ، وكانوا إذا رأوا إنساناً أكل بصلاً أو ثوماً، أمروا به فأخرج من المسجد إلى البقيع، ومن الأسف أن بعض الناس اليوم يأتي إلى الجمعة، وثيابه وجسمه لهما رائحة كريهة، ثم لا يستطيع أحد أن يصلي إلى جنبه، وليس هذا من عند الله، بل من نفسه، فهو الذي يجلب لنفسه الأوساخ والأدران، ولا يهتم بنفسه، وفي هذا أذية للمصلين، وأذية للملائكة.

^(١) أخرجه مسلم (٥٦٧)، وأحمد (٨٩)

بل إن العلماء قالوا: إن ما كان من الله، ولا صنع للآدمي فيه إذا كان يؤذي المصلين فإنه يخرج، كالبخار في الفم، أو الأنف، أو من يخرج من إبطيه رائحة كريهة، فإذا كان فيك رائحة تؤذي فلا تقرب المسجد.

فإن قال: هذا من الله؟ فيقال: إذا ابتلاك الله به فلا تؤذ العباد، ولا تؤذ الملائكة، وأنت مأجور على الصبر على هذا الشيء واحتساب الأجر من الله، ولست آثماً إذا لم تصل مع الناس؛ لأنك إنما تركت ذلك بأمر الله.

فإذا قال: هذا ينقص إيماني؛ لأن صلاة الجماعة أفضل؟

قلنا: إنك لا تلام على هذا النقص؛ كما أن الحائض لا تصلي، وينقص إيمانها بذلك ولا تلام على النقص؛ لأن النقص الذي ليس بسبب الإنسان لا يلام عليه.^(١)

و قال الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - وهو يتحدث عن حكم التدخين - فقال: والني صلى الله عليه وآله وسلم من رأفته ورحمته بأتمته أنه جاءهم بكل خير وحذرهم من كل شر، حتى وصل به الأمر إلى أن ينهى المسلم أن يتعاطى الطعام الحلال أن يتعاطى الطعام الحلال الذي فيه رائحة كريهة إذا ما كان من الواجب عليه أن يحضر مجلساً فيشم الجالسون منه تلك الرائحة الكريهة فنهاء عن هذا الطعام الحلال لكي لا يؤذي غيره برائحة الطعام الحلال وعرفتم طبعاً ما هو هذا الطعام الثوم والبصل، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلانا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) إذا كان الرسول عليه السلام يقول أيها المسلم المصلي لا تأكلن طعاماً فيه ثوم أو بصل وتحضر المسجد، كل الطعام فيه الثوم والبصل قبل أن تحضر المسجد أما إذا أكلت هذا الطعام قبيل حضورك المسجد نحن في غنى عن حضورك المسجد، مع أن حضور المسجد فرض عليه، فرض عليه كالصلاة نفسها، لم يقتصر عليه السلام على هذا التوجيه (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلانا) بل طبق ذلك عملياً حيث دخل ذات يوم

^(١) الشرح المتع على زاد المستقنع (٥/ ٨٥/ ٨٦)

المسجد النبوي فشم من أحدهم رائحة الثوم فأمر بإخراجه من المسجد، وإلى أين؟ إلى البقيع، إلى المقابر كأنه يشير بهذا التنفيذ العملي أن المسلم الذي يحضر مساجد المسلمين وهو يحمل في فمه رائحة كريهة يؤذي المصلين هذا لا يليق به أن يعيش مع المصلين بل ولا مع الأحياء الذين هم خارج المسجد بل عليه أن يعيش مع الأموات في المقابر، ثرى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصرنا هذا ودخل المسجد وشم رائحة إنسان يصلي بجانبه أو من خلفه رائحة الثوم والبصل كان ممكن يوصله للمريخ بقى، ليس المقابر لماذا؟ لأنه عم يضر المسلمين ليس بطعام فيه منفعة الأطباء اليوم يذكروا منافع البصل والثوم أشياء عجيبة وغريبة جداً على العكس من ذلك يذكروا الآن من أضرار الدخان منه هذا المرض الخبيث السرطان الذي يسموه، فإذا كان رائحة الطعام النافع بسبب رائحته الكريهة في المسجد أخرجه إلى البقيع فإذا شم رائحة شارب الدخان الذي يضر نفسه ويضر زوجه ويضر أولاده...) (١)

و قال الشيخ عبد الله الجبرين - حفظه الله - في تنبيهات على بعض الأخطاء التي يفعلها بعض المصلين في صلاتهم فقال : (و استعمال ما سبب الروائح المنتنة و المستنكرة في مشام الناس كالدخان و الشيثة مما هو اقبح من الكراث و الثوم و البصل ، و الذي تتأذى من الملائكة و المصلون ، فعلى المصلي أن يأتي وهو طيب الرائحة بعيدا عن تلك الخبائث .) (٢)

والصورة الخامسة - من صور اللامبالاة (التأخر عن الصف الأول)

اعلم علمني الله وإياك - أن من الأمور العظيمة التي حث عليها النبي ﷺ المسارعة إلى الصف الأول، و حذرنا أيضا عن التأخر، و لقد تحدث العلماء و الأئمة و الخطباء عن فضل الصف الأول، و لكن كثيرا من الناس لا يبالي بتأخره عنه، بل إنه يقف في الصف المؤخر، و يرى أن الصفوف الأولى لم تكتمل و في ذلك مخالفة صريحة لأمر النبي

(١) تفريغ «سلسلة الهدى والنور» للشيخ الألباني - الإصدار ٤ (٦٧٨/١١)

(٢) سرعة العقاب لمن خالف السنة و الكتاب (ص : ١١٠/١١٢)

ﷺ في فيها - من لا تبالي بالصف الأول - لترى مدى جسامه الخسارة التي تبوء بها عند تركك الصف الأول

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النَّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ، لَاسْتَهَمُوا »^(١)

و في رواية لمسلم «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ لَكَانَتْ قُرْعَةً»^(٢)

فوائد الصف الأول:

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله:-

«قال العلماء في الحظ على الصف الأول المسارعة إلى خلاص الذمة والسبق لدخول المسجد والقرب من الإمام واستماع قراءته والتعلم منه والفتح عليه والتبليغ عنه والسلامة من اختراق المارة بين يديه وسلامة البال من رؤية من يكون قدماه وسلامة موضع سجوده من أذيال المصلين»^(٣)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأْخُرًا، فَقَالَ: ائْتُمُوا بِي، وَلِيَأْتُمْ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ»^(٤)

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اتَّمُوا الصَّفَّ الْمُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ الْمُؤَخَّرِ.»^(٥)

الصورة السادسة - ومن الأمور التي لا يبالي بها البعض (رفع البصر إلى السماء أثناء الصلاة)

^(١) وأحمد (٢٣٦/٢)، رقم (٧٢٢٥)، والبخاري (٩٥٥/٢)، رقم (٢٥٤٣)، ومسلم (٣٢٥/١)، رقم (٤٣٧)، والنسائي (٢٦٩/١)، رقم (٥٤٠)

^(٢) أخرجه مسلم (٣٢٦/١)، رقم (٤٣٩)، وابن ماجه (٣١٩/١)، رقم (٩٩٨)

^(٣) «فتح الباري لابن حجر» (٢/ ٢٤٤)

^(٤) أخرجه: مسلم ٣١ / ٢ (٤٣٨) (١٣٠)

^(٥) أخرجه أحمد (٢٣٣/٣)، رقم (١٣٤٦٤)، وأبو داود (١٨٠/١)، رقم (٦٧١)، والنسائي (٩٣/٢)، رقم (٨١٨)

و هذا أمر منهي عنه متوعد صاحبه بالعقاب إن لم ينته عن، فاذا نظرا داخل مسجد جماعة لوجدنا جما غفيرا من المصلين لا يباليون بذلك فهو ينظر إلى السقف تارة ، و إلى الساعة تارة أخرى و إلى المصباح تارة ، فيخرج من صلاته و ما عقل منها سوى القيام و السجود و الركوع

الصورة السابعة - مسابقة الإمام عند الركوع والسجود والقيام:

ومن بين تلك الصور التي نراها ولا يبالي بها أصحابها رغم نهى الأئمة والخطباء عن ذلك لورود النهي عن المعصوم عليه السلام عن مسابقة الإمام في الصلاة.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ وَالْإِمَامُ سَاجِدٌ قَبْلَ الْإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ أَوْ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ^(١)
(٢)

وعند البزار والطبراني «الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَيَخْفِضُهُ قَبْلَ الْإِمَامِ، فَإِنَّمَا نَاصِيَتُهُ بِيَدِ شَيْطَانٍ»^(٣)

عَنْ أَنَسٍ؛ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ. فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَاجِهِهِ، فَقَالَ «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي إِمَامُكُمْ. فَلَا تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَلَا بِالسُّجُودِ. وَلَا بِالْقِيَامِ وَلَا بِالْإِنصِرَافِ»^(٤)

فإن سألت عن حكم صلاة من سبق الإمام هل صلاته صحيحة أم باطلة؟

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - «وظاهر الحديث يقتضي تحريم الرفع قبل الإمام لكونه تواعد عليه بالمسخ وهو أشد العقوبات وبذلك جزم النووي في شرح المذهب ومع القول بالتحريم فالجمهور على أن فاعله يأثم وتجزئ صلاته وعن بن عمر تبطل وبه قال أحمد في رواية وأهل الظاهر بناء على أن النهي يقتضي الفساد وفي المغني عن أحمد

^(١) مسلم في كتاب الصلاة باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة ١ / ٣٢١ من رواية أبي هُرَيْرَةَ وجابر بن سمرة

^(٢) سرعة العقاب (ص: ١١٢-١١٣)

^(٣) أخرجه الحميدي (٩٨٩)، والبزار (٤٧٥ / كشف)، ومالك (٩٢ / ١)، وعبد الرزاق (٣٧٥٣)، والعقيلي ٣ / ٤٥٢

^(٤) أخرجه مسلم (٤٢٦) (١١٣) ، وأبو يعلى (٣٩٥٧) و (٣٩٦٣)

أنه قال في رسالته ليس لمن سبق الإمام صلاة لهذا الحديث قال ولو كانت له صلاة لرجي له الثواب ولم يخش عليه العقاب»^(١)

ذكر بن حجر -رحمه الله- عن بعض المحدثين: أنه رحل إلى دمشق لأخذ الحديث عن شيخ مشهور بها، فقرأ عليه جملة، لكنه كان يجعل بينه وبينه حجاباً ولم ير وجهه، فلما طالت ملازمته له رأى حرصه على الحديث كشف له الستر، فرأى وجهه وجه حمار فقال له: احذر يا بني أن تسبق الإمام، فإني لما مر بي في الحديث استبعدت وقوعه فسبقت الإمام فصار وجهي كما ترى، اهـ. (٢)

الصورة الثامنة – ومن تلك المظاهر عدم تسوية الصفوف:

فترى في بعض المساجد بعض المصلين يصلون في صفوف معوج، ولا يبالي بالنصيحة والإرشاد، لذا ظهر الخلاف بين الناس لأن الاختلاف في صفوف الصلاة سبب من أسباب اختلاف القلوب بين الأمة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، فَإِنَّمَا تَصُفُّونَ بِصُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَحَادُوا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَدْرُوا فُرْجَاتِ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا، وَصَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» (٣)

قال المناوي: (ومن وصل صفا) بوقوفه فيه (وصله الله) برحمته ورفع درجته وقربه من منازل الأبرار ومواطن الأخيار (ومن قطع صفا) بأن كان فيه فخرج منه لغير حاجة أو جاء إلى صف وترك بينه وبين من بالصف فرجة بلا حاجة (قطعه الله) أي أبعدته من ثوابه ومزيد رحمته إذ الجزاء من جنس العمل فيسن انضمام المصلين بعضهم لبعض ليس بينهم فرجة ولا خلل كأنهم بنيان مرصوص»^(٤)

^(١) «فتح الباري لابن حجر» (٢/ ٢١٥)

(٢) مرقاة المفاتيح " (٣ / ٨٧٩).

(^٣) أخرجه أحمد (٩٧/٢ ، رقم ٥٧٢٤) ، وأبو داود (١٧٨/١ ، رقم ٦٦٦) ، والبيهقي (١٠١/٣ ، رقم ٤٩٦٧)

(٤) «فيض القدير» (٢ / ٧٥)

عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَّهُ يُقَوْمُ الصُّفُوفَ كَمَا تُقَوْمُ الْقِدَاحُ، فَأَبْصَرَ يَوْمًا صَدْرَ رَجُلٍ خَارِجًا مِنَ الصَّفِّ، فَقَالَ: «لَتَقِيمَنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهَ مِنْ وُجُوهِكُمْ»^(١)

قال المناوي - رحمه الله -: «ردد بين تسويتهم صفوفهم ومن هو كاللزام لنقيضها وهو اختلاف القلوب فإن تقدم الخارج عن الصف يفوت على الداخل وذلك يجر إلى الضغائن بينهم فتختلف قلوبهم واختلاف القلوب يفضي إلى اختلاف الوجوه المعبر به في خبر سيحيى بإعراض بعضهم عن بعض وهذا جزاء من جنس العمل كخبر من قتل نفسه بمجديدة عذب بها. وقال النووي: الظاهر أن معناه يوقع بينكم العداوة واختلاف القلوب كما يقال: تغير وجه فلان إذا ظهر على وجهه كراهية لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في الظواهر واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن اهـ»^(٢)

الصورة التاسعة - من مظاهر اللامبالاة (الالتفات في الصلاة)

ومن تلك الصورة التي تهاون فيها كثير من المصلين، فهذا يعيث بلحيته، وهذا اشتغل بمعطفه، وهذا ينظر في ساعته، وذاك يعيث بأنفه وهلم جرا.

ولم يعلم الجميع انه لا حظ للعبد من صلاته إلا ما عقل منه، وإلا ما تدبر وتفكر فيها، لا في غيرها، والتفات العبد في صلاته سبب من أسباب إعراض الله عنه، والجزاء من جنس العمل

عن أبي ذرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ، مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَرَفَ وَجْهَهُ، انْصَرَفَ عَنْهُ»^(٣)

^(١) أخرجه أبو داود (١٧٨/١، رقم ٦٦٢)، والبيهقي (٧٦/١، رقم ٣٦٢)، وابن حبان (٥٤٩/٥، رقم ٢١٧٦). وأخرجه أيضاً: أحمد (٢٧٦/٤، رقم

١٨٤٥٣)، وابن خزيمة (٨٢/١، رقم ١٦٠)، والبخاري (٢٢٨/٨، رقم ٣٢٨٥)

^(٢) «فيض القدير» (٧٦ / ٢)

^(٣) أخرجه أحمد (١٧٢/٥، رقم ٢١٥٤٧)، وأبو داود (٢٣٩/١، رقم ٩٠٩)، والنسائي (٨/٣، رقم ١١٩٥)

عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ: أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَأَمَرَكَم بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا»^(١)

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الالتفات في الصلاة، فقال: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»^(٢)

فيا من هذا من اقبل أبل الله عليه ، و من أعرض أعرض عنه و الجزاء من جنس العمل ، و يا من لا تبالي بالالتفات ، انظر إلى إقبال الثقات من المصلين القانتين .

*أبو زرعة الرازي - رحمه الله- صلى و في محرابه كتابه ، فسئل عن الكتابة في المحراب ، فقال: قد كرهه قوم ممن مضى ، فقالوا له : هو ذا في محرابك كتابه ، أما علمت ؟

قال: سبحان الله رجل يدخل على الله ويدري ما بين يديه !!

* الربيع بن خثيم - رحمه الله: قام يصلي وربط فرسه فجاء الغلام فقال يا ربيع أين فرسك قال سرقت يا يسار قال وأنت تنظر إليها قال: (نعم يا يسار أني كنت أناجي ربي عز وجل فلم يشغلني عن مناجات ربي شيء اللهم إنه سرقني ولم أكن لأسرقه اللهم إن كان غنياً فاهده وإن كان فقيراً فاغنه)،

الصورة العاشرة - اللامبالاة بـ (عدم إتمام الركوع و السجود نقر الصلاة)

فتلك علامة من علامات المنافقين، فصلاة أحدهم أشبه بلعب الأطفال، فإلى هؤلاء الذين لم يبالوا بصلاتهم أسوق إليهم ما جاء عن النبي ﷺ عله حاديا لهم و حافزا لهم على إتمام الصلاة ، بجميع أركانها .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ فَفَعَلَ

^(١) «مسند أحمد» (٢٨/ ٤٠٦ ط الرسالة) «ومختصر الطيالسي» (١١٦١) و (١١٦٢) ، وابن سعد ٣٥٩/٤ ، والترمذي (٢٨٦٣) و (٢٨٦٤) ، وأبو يعلى

(١٥٧١) «صحيح الجامع»: ١٧٢٤ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٥٥٢

^(٢) أخرجه: البخاري ١/ ١٩١ (٧٥١)

ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَحْسِنُ غَيْرَ هَذَا، فَعَلَّمَنِي، قَالَ: « إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا »^(١)

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صَلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ»^(٢)

قال البغوي - رحمه الله - «قلت: في الحديث دليل على وجوب إقامة الصلب في الركوع والسجود، وإليه ذهب الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وقالوا: لو ترك إقامة الصلب في الركوع، والسجود، والطمأنينة فيهما، وفي الاعتدال عن الركوع والسجود، فصلاته فاسدة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي في حديث أبي هريرة ورفاعة: « ارجع فصل فإنك لم تصل، ثم قال له: اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تستوي قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا. »

وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطمأنينة غير واجبة، وكذا الاعتدال عن الركوع والقعود بين السجدين»^(٣)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا «^(٤)

عن زيد بن وهب قال: «رَأَى حَدِيثَهُ رَجُلًا لَا يُتِمُّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، قَالَ: مَا صَلَّيْتُ، وَلَوْ مَتَّ مَتَّ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.»^(٥)

^(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٥٧) و (٧٩٣) و (٦٢٥٢) ، وفي "القراءة خلف الإمام" (١١٣) ، ومسلم (٣٩٧) (٤٥)

^(٢) أخرجه عبد الرزاق (٣٦٩/٢) ، رقم (٣٧٣٦) ، وابن أبي شيبة (٣٠٣/٧) ، رقم (٣٦٢٩٥) ، والنسائي (٢١٤/٢) ، رقم (١١١١) ، وابن ماجه (٢٨٢/١) ،

رقم (٨٧٠)

^(٣) «شرح السنة للبغوي» (٩٨ / ٣) :

^(٤) أخرجه أحمد (٣١٠/٥) ، رقم (٢٢٦٩٥) ، قال الهيثمي (١٢٠/٢) : رجاله رجال الصحيح. والدارمي (٣٥٠/١) ، رقم (١٣٢٨)

^(٥) أخرجه البخاري (٧٩١)

الصورة الحادي عشر - للامبالاة بعد إتمام الخشوع في الصلاة:

فالصلة التي يقبلها الله - سبحانه و تعالى - هي التي اشتملت على الخشوع، لأن الخشوع بالنسبة للصلاة بمنزلة الروح من الجسد، فصلاة لا خشوع فيها لا روح و لا خير فيها، وإن أول م الأمور التي ترفع الخشوع حتى يدخل الإنسان المسجد فلا يرى أحدا خاشعا، فقد أخرج الترمذي من حديث جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال: لو شئت لحدثتك بأول علم يرفع من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلا خاشعا

عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول ما يرفع من الناس الخشوع»^(١) الظن بمن يهدي إليه جارية شلاء، أو عوراء، أو عمياء، أو مقطوعة اليد والرجل، أو مريضة، أو زمنة، أو قبيحة، حتى يهدي جارية مئة بلا روح أو جارية قبيحة؟ فهكذا الصلاة التي يهديها العبد ويتقرب بها إلى ربه تعالى، والله طيب لا يقبل إلّا طيباً، وليس من العمل الطيب صلاة لا روح فيها، كما أنه ليس من العتق الطيب عتق عبد لا روح فيه»^(٢)

فانظر - يا رعاك الله - إلى أحوال المصلين لترى تلك الحقيقة، حقيقة أن هناك كثير من المصلين لا يعرفون الخشوع حتى يخشعوا ويخضعوا لله تعالى.

فإن قلت: فما هي حقيقة الخشوع؟ وما هي أنواعه؟ وما الطريق إليه حتى نخرج من تيه للامبالاة التي أركمت الأنوف؟

علم - علمني الله وإياك - أن اطري ق الخشوع هو طريق الأنبياء و الصالحين يقول المولى - سبحانه و تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]

^(١) أخرجه الطبراني (٢٩٥/٧، رقم ٧١٨٣) قال الهيثمي (١٣٦/٢) : فيه عمران بن داود القطان ضعفه ابن معين والنسائي ووثقه أحمد وابن حبان.

وأخرجه أيضاً: ابن جرير في التفسير (٢٢٨/٢٧)

^(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٠٣ ط عطاءات العلم)

و هو طريق أهل الإيمان، يقول سبحانه ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي

صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]

و هو صفة أساسية من صفات أهل العلم يقول سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَنْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]

وأما حقيقة الخشوع فهي كما يقول ابن رجب رحمه الله «((وأصل الخشوع: هو لين القلب ورقته، وسكونه، وخضوعه، وانكساره، وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح، والأعضاء؛ لأنها تابعة له، كما قال النبي - ﷺ -: ((... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))»^(١).

فإذا خشع القلب خشع: السمع، والبصر، والرأس، والوجه، وسائر الأعضاء، وما ينشأ منها حتى الكلام؛ [و] لهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة: ((.. اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسَلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، ..)) [((وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي))]^(٢)

ورأى بعض السلف رجلاً يعبث بيده في الصلاة) فَقَالَ: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»

قال المسعودي: عن أبي سنان عمن حديثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٢) قال: هو الخشوع في القلب، وأن ثلثين كنَّفَكَ للمرء المسلم، وأن لا تلتفت في صلاتك^(٣)

^(١) البخاري (٥٢، ٢٠٥)، ومسلم (١٥٩٩)

^(٢) أخرجه مسلم (٧٧١)

^(٣) رواه وكيع في "الزهد" (٣٢٨)، وابن المبارك في "الزهد" (١١٤٨) وغيرهما. وقال الشيخ محمد عمرو: إسناده ضعيف مداره على رجل مبهم

وقال عطاء بن السائب عن رجل عن علي رضي الله عنه: الخشوع خشوع القلب، وأن لا (تلتفت) يميناً ولا شمالاً.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: **{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}** (المؤمنون: ٢) قال: خائفون ساكنون.^(١)

وقال ابن شوذب عن الحسن رحمه الله تعالى: كان الخشوع في قلوبهم فغضوا له البصر وخفضوا له الجناح.

وقال منصور عن مجاهد: (أصل) الخشوع في القلب، والسكون في الصلاة.^(٢)

واعلم - علمني الله وإياك - أن الخشوع على نوعين: خشوع نفاق، و خشوع إيمان، و اسمع إلى حذيفة رضي الله عنه يقول: إياكم و خشوع النفاق، فقل: وما خشوع النفاق؟

قال: أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع.

ورأى بعضهم رجل خاشع المنكين والبدن فقال: يا فلان الخشوع ها هنا وأشار إلى صدره، لا ها هنا وأشار إلى منكبيه

وقال ابن القيم رحمه الله: مبينا الفرق بين خشوع الإيمان و خشوع النفاق:

«أن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء، وشهود نعم الله، وجنایاته هو، فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه خشوع الجوارح.

وأما خشوع النفاق، فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً، والقلب غير خاشع. وكان بعض الصحابة يقول: أعوذ بالله من خشوع النفاق. قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعاً، والقلب غير خاشع»

^(١) رواه الطبري في "تفسيره" (٣ / ١٨)

^(٢) «الذل والانكسار للعزیز الجبار» (ص ٢٩٠-٢٩١)

فالخاشعُ لله عبد قد خمدتُ نيرانَ شهوته، وسكنَ دخائها عن صدره، فانجلى الصدر، وأشرق فيه نورُ العظمة. فماتتُ شهواتُ النفس، للخوف والوقار الذي حُشي به، وخمدت الجوارحُ، وتوقر القلب، واطمأنَّ إلى الله وذكره، بالسكينة التي تنزلتُ عليه من ربِّه، فصار مَحْبَتًا له. والمَحِبُّ: المَطْمئنُّ، فَإِنَّ الحَبَّتْ من الأرض: ما تَطامنَ فاستنقع فيه الماء. فكذلك القلبُ المَحِبُّ قد خشع وتطامنَ، كالبقعة المَطْمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء، فيستقرُّ فيها. وعلامته أن يسجدَ بين يدي ربِّه إجلالًا له وذللًا وانكسارًا بين يديه سجدةً لا يرفع رأسه منها حتى يلقاه. وأمَّا القلبُ المتكبرُ، فإنه قد اهتزَّ بتكبره وربَّاه، فهو كبقعةٍ رابية من الأرض لا يستقرُّ عليها الماء.

فهذا خشوع الإيمان.

وأما التماوت وخشوع النِّفاق، فهو حال عبد تكلف إسكانَ الجوارح تصنعًا ومرايةً، ونفسه في الباطن شابةً طريةً ذاتُ شهوات وإرادات. فهو يتخشع في الظاهر، وحيةً الوادي وأسدُ الغابة رابضٌ بين جنبيه ينتظر الفريسة.^(١)

*هيا لنرى أحوال الخاشعين المخبتين يا من ترفل^(٢) في ثوب اللامبالاة:

عَنْ حُدَيْفَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَالَ: فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ رَأْسَ الْمِائَةِ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ ثُمَّ مَضَى حَتَّى بَلَغَ الْمِائَتَيْنِ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ ثُمَّ مَضَى حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: فَقُلْتُ يَرْكَعُ قَالَ: ثُمَّ افْتَتَحَ سُورَةَ النَّسَاءِ فَقَرَأَهَا، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ، قَالَ: فَقَالَ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، قَالَ: وَكَانَ رُكُوعُهُ بِمَنْزِلَةِ قِيَامِهِ، ثُمَّ سَجَدَ فَكَانَ سُجُودُهُ مِثْلَ رُكُوعِهِ، وَقَالَ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» قَالَ: وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ تَعَوَّدَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَنْزِيهٌ لِلَّهِ سَبَّحَ^(٣)

و في رواية « لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ تَخْوِيفٍ، أَوْ تَعْظِيمٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا ذَكَرَهُ »^(٤)

^(١) «الروح - ابن القيم» (٣١٤)

^(٢) رفل فلان تبحتر كبرا (المعجم الوسيط ج ١ ص ٣٧٥)

^(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٤٨/١، ومسلم (٧٧٢)، وابن ماجه (١٣٥١)، والنسائي ١٩٠/٢، وابن خزيمة (٥٤٢) و (٦٠٣)

^(٤) «السند الموضوعي الجامع للكتب العشرة»

٢- عبد الله بن الزبير رضي الله عنه : روي أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان يصلي في جوف الكعبة ، و هو محاصر بجيش عبد الملك بن مروان الذي يسدد ضرباته بالمنجنيق من جبل أبي قبيس للقضاء عليه و على أتباعه و مرت فلقة من حجر عظيم بين لحيته و حلقه ، فما زال رضي الله عنه - عن مقامه ، ولا ظهر على صورته هم ولا اهتمام ، ولا قطع قراءته ، ولا ركع دون الركوع ، حتى فرغ من صلاته ، بل كان يصلي حين تقف الضربات أحيانا فتسقط العصافير على ظهره من أعلى الحرم تصعد و تنزل في أمان و هي تظنه جذم حائط أو جذع شجرة ، و لقد ركع ذات مرة و كان رجل من أصحابه يقرأ القرآن ، فما قام رضي الله عنه من ركعته حتى انتهى الرجل من تلاوة البقرة وآل عمران و النساء و المائدة

و روي أنه كان يصلي يوم ذات يوم في بيته فسقطت حية من السقف فطوقت على بطن ابنه هاشم فصرخ النسوة و انزعج النسوة ، و اجتمعوا على قتل الحية ، فقتلوها فسلم الولد، فعلوا كل ذلك و ابن الزبير في صلاته ، -لم يلتفت ولا درى بما كان حتى فرغ من صلاته .^(١)

(١) الصلاة لماذا (٣٧-٣٨)

الطريق إلى الخشوع

بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة
فنقول حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولاً عن التنبيهات التي في شروط
الصلاة وأركانها

أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب
قائماً والنية

فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك
وباطنك للإجابة والمسارعة فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللفظ يوم
العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار
مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء
ولذلك قال «أرحنا يا بلال»^(١)

أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها ﷺ .

وأما الطهارة: فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك
الأقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك
فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل
فطهر بها باطنك فإنه موضع نظر معبودك

وأما ستر العورة: فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك
مرتفع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفصائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا
ربك عز وجل فأحضر تلك الفصائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر
عن عين الله سبحانه

^(١) رواه ابن أبي شيبة في "مسنده" (٩٤٠)، وأبو داود (٤٩٨٥)، والطبراني في "الكبير" (٦٢١٤) من حديث رجل من خزاعة

ساتر وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعث جنود الخوف والحياء من مكانهما فتدل بها بنفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الأبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف

وأما الاستقبال: فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ليس مطلوباً منك هيهات فلا مطلوب سواها وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفتاتها إلى جهاتها استتبع القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك

فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال ﷺ « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه »^(١)

وأما الاعتدال قائماً: وإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطئاً متنكساً وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترفع والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلاع عند العرض للسؤال واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كائلة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخضع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع

^(١) لم أجده

وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشيه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة كيف الحياء من الله فقال ﷺ «أَنْ تُسْتَحِيَ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تُسْتَحِيَ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ» ^(١) وروي من أهلك.

وأما النية: فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه بإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف

وأما التكبير: فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم أنه ﷺ رسول الله

فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك الله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه

وأما دعاء الاستفتاح: فأول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض: وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه

^(١) (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٥٤١ في صحيح الجامع

وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السماوات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق ومتبع للشهوات أو مقبل على فاطر السماوات وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق

ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقاً

وإذا قلت حنيفاً مسلماً: فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال

وإذا قلت وما أنا من المشركين: فأخطر ببالك الشرك الخفي فإن قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ

يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] نزل فيمن

يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذراً مشفقاً من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه

وإذا قلت محيائي ومماتي: لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيدته وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمر الدنيا لم يكن ملائماً للحال

وإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: فاعلم أنه عدوك ومترصّد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسداً لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فإن ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان

وحصنه لا إله إلا الله إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي»^(١) والمتحصن به لا معبود له سوى الله سبحانه فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ

فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه

ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب

وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لا ابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أن الأمور كلها بالله سبحانه

وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى

وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله

ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى

^(١) ذكره الحكيم (٣٠١/٢) ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٣٤/٤) ، رقم ٤٥٦٣ ، والدليمي (١٦٦/٣) ، رقم ٤٤٣٩ (ضعيف) انظر حديث رقم: ٤٠٤٧ في ضعيف الجامع

فإذا قلت الرحمن الرحيم: فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك

ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكة
ثم جدد الإخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانتته وأن له المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلاً لمناجاته
ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين

ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقاً فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك

وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيذاً واستشهاداً بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الإجابة وقل آمين فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله - تعالى - فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ
«قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» (١) «

يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله

(١) أخرجه البخاري في "القراءة خلف الإمام" (٧٥) ، ومسلم (٣٩٥) (٤٠)

وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيهِ ووعدهِ ووعيدهِ ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق والوعود والخوف حق والوعيد والعزم حق الأمر والنهي والاعتاظ حق الموعدة والشكر حق ذكر المنّة والاعتبار حق إخبار الأنبياء وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] خر ميتاً

وكان إبراهيم النخعي: إذا سمع قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] اضطرب حتى تضطرب أوصاله

وقال عبد الله بن واقد: رأيت ابن عمر يصلي مغلوباً عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيدهِ فإنه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر

وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضاً

ثم يراعي الهية في القراءة: فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد

كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به

وروي أنه يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتل ورتل كما كنت ترتل في الدنيا^(١).

وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال ﷺ «إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت»^(٢) وكما تجب

^(١) أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (٢ / ١٩٢) أخرجه: أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)

^(٢) «مسند أحمد» (٣٥ / ٤٠٠ ط الرسالة) «صحيح لغيره»، وهذا إسناد محتمل للتحسين»

حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة

فإذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجى عند غفلة المناجى ليعود إليه

وألزم خشوع القلب فإن الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع

ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال عليه السلام وقد رأى رجلا مصليا يعث بلحيته: (أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه) ^(١) فإن الرعية بحكم الراعي

ولهذا ورد في الدعاء اللهم أصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح

وكان الصديق -رضي الله عنه- في صلاته: كأنه وتد.

وابن الزبير -رضي الله عنه-: كأنه عود.

وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره

وقال عكرمة: في قوله -عز وجل- ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٢١٨) **وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ** ﴿

[الشعراء: ٢١٨-٢١٩] قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه

وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم

^(١) «كنز العمال» (٨/ ١٩٧) ضعيف مرفوعاً

ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك

وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد به التكرار

ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنه راحم لك ومؤكداً للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أي أجاب لمن شكره

ثم تردف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوي إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب

وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل

وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فإنك من التراب خلقت وإليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الأعلى وأكد به التكرار فإن الكرة الواحدة ضعيفة الأثر فإذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبراً وسائلاً حاجتكم وقائلاً رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أو ما أردت من الدعاء

ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانياً كذلك

وأما التشهد: فإذا جلست له فاجلس متأدباً وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله.

وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم
وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه
يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه

ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين

ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباد الله الصالحين

ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله
سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ومستأنفا للتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء
المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة

وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين

واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به

واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة

وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنت ربما لا تعيش لمثلها

وقال ﷺ للذي أوصاه (صَلِّ صَلَاةً مُودَّعٍ) ^(١) ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من
التقصير في الصلاة وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن
فترد صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك أن يقلبها بكرمه وفضله

كان يحيى بن وثاب: إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان إبراهيم
يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض

فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلواتهم
يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون

^(١) أخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط (٣٥٨/٤، رقم ٤٤٢٧) عن ابن عمر (حسن) انظر حديث رقم: ٣٧٧٦ في صحيح الجامع

والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر وفي مداراة ذلك ينبغي أن يجتهد

وأما صلاة الغافلين فهي خطيرة إلا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته^(١)

الصورة الثالثة عشر- من مظاهر اللامبالاة أيضاً (التأخر يوم الجمعة)

حتى يصعد الخطيب المنبر، بل إن بعض هؤلاء يفضل الجلسة في الطرقات و في البيوت على الجلسة في المسجد ، فلا يذهب إلا في آخر الخطبة الثانية ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، فهؤلاء فوتوا على أنفسهم الخير العظيم و الثواب الجزيل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً.

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً.

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ.

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً.

وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً. فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ، حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ، يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ »^(٢)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ وَغَدَا، وَابْتَكَرَ، وَدَنَا فَاقْتَرَبَ وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ قِيَامِ سَنَةٍ وَصِيَامِهَا »^(٣)

^(١) كتاب أسرار الصلاة (١٦٩-١٩٢) بتصرف يسير

^(٢) أخرجه مالك (١٠١/١)، رقم ٢٢٧، والبخاري (٣٠١/١)، رقم ٨٤١، ومسلم (٥٨٢/٢)، رقم ٨٥٠

^(٣) أخرجه أحمد ٢٠٩ / ٢

قَالَ أَوْسُ بْنُ أَوْسٍ الثَّقَفِيُّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»^(١)

الصورة الرابعة عشر - من صور اللامبالاة (تخطي الرقاب يوم الجمعة)

فالبعض لا يبالي بتخطي جموع المصلين، وإن لم يكن هناك مكان ليجلس فيه ، و أن نبه و حذر تغافل ، مع أن النهي في ذلك واضح و صريح فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَجَعَلَ يَتَخَطَّى النَّاسَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْلِسْ، فَقَدْ آذَيْتَ وَأَيْتَ»^(٢)

الصورة الخامسة عشر - و من ذلك أيضا (العبث بالمسبحة و المفاتيح أثناء الخطبة):

رغم التحذير من ذلك وإخباره بأن العبث بالمسبحة ولو بالتسبيح أثناء الخطبة يفوت على الإنسان ثواب الخطبة، مع ذلك تجد البعض لا يبالي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَعَا»^(٣)

الصورة السادسة عشر - (المصافحة أثناء الخطبة)

فمن الأمور التي لا يبالي بها البعض: المصافحة والكلام أثناء الخطبة، وكأنه لم ير ذلك الشخص منذ سنين عديدة، فيفسد عليه و على نفسه جمعته عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَدْ لَعَوْتَ »^(٤)

^(١) أخرجه الحاكم (٢٨٢/١)، وأحمد (٢٠٩/٢)، والحاثر بن أبي أسامة (٣٠٥ - ٣٠٦ / ٢٠١ - زوائده)

^(٢) أخرجه أحمد (١٨٨/٤)، رقم (١٧٧١٠)، وأبو داود (٢٩٢/١)، رقم (١١١٨)، والنسائي (١٠٣/٣)، رقم (١٣٩٩).

^(٣) أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، في الصحيح ٥٨٨ / ٢ كتاب الجمعة (٧)، باب فضل من استمع وأنصت في الخطبة (٨)،

الحديث (٨٥٧ / ٢٧)

^(٤) أخرجه مالك (١٠٣/١)، رقم (٢٣٢)، والبخاري (٣١٦/١)، رقم (٨٩٢)، ومسلم (٥٨٣/٢)، رقم (٨٥١)

واستمع - يا من لا تبالي بالكلام والمصافحة وتخطي الرقاب - إلى العقاب ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طَيِّبِ امْرَأَتِهِ إِنْ كَانَ لَهَا ، وَلَيْسَ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَتَخَطَّ رِقَابَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَلْغُ عِنْدَ الْمَوْعِظَةِ كَأَنْتَ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَمَنْ لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَأَنْتَ لَهُ ظُهُرًا »^(١)

الصورة السابعة عشر - اللامبالاة بترك صلاة الجمعة و الانشغال عنها (بالنوم أو العمل أو تهاونا بشأن الجمعة)

فبعض الموظفين يقضي ليلة الجمعة بالسهر حتى الفجر ثم النوم و لا يستيقظ إلا بعد فوات الجمعة ، و البعض الآخر يذهب إلى الشواطئ و الحدائق و لا يبالي بحرمة ذلك اليوم و لا بشأن الصلاة ، و بعضهم يستغله في إنجاز الأعمال و تعتمد ترك الجمعة من أجل ذلك -ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم -، و ليعلم هؤلاء أن من تهاون في صلاة الجمعة قد ارتكب إثما عظيما و جرما كبيرا و أنه عرض نفسه لغضب الله و سخطه عن الْحَكَمِ بْنِ مِيْنَاءَ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، وَأَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَاهُ « أَتَاهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: عَلَى أَعْوَادٍ مَنَبْرِهِ لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وُدِّهِمُ الْجُمُعَاتِ. أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ. ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ »^(٢)

و ليعلم من لا يبالي بترك الجمعة أنه قد عرض قلبه للطبع و ليكون مزرعة للنفاق عَنْ أَبِي الْجَعْدِ الضَّمَرِيِّ ، وَكَأَنَّ لَهُ صُحْبَةً ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعٍ تَهَاوُنًا مِنْ غَيْرِ عَذْرِ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ »^(٣)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا مِنْ غَيْرِ عَذْرِ ، فَهُوَ مُنَافِقٌ »^(٤)

^(١) أخرجه أبو داود (٩٥/١ ، رقم ٣٤٧) ، والبيهقي (٢٣١/٣ ، رقم ٥٦٧٩)

^(٢) رواه مسلم (٨٦٥) ومعنى ودعهم: تركهم

^(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٤٧٩/١ ، رقم ٥٥٣٣) ، وأحمد (٤٢٤/٣ ، رقم ١٥٥٣٧) ، وأبو داود (٢٧٧/١ ، رقم ١٠٥٢) ، والترمذي (٣٧٣/٢ ، رقم ٥٠٠)

^(٤) ابن حبان (٢٥٨) ، تعليق الألباني "حسن صحيح" ، تعليق شعيب الأرناؤوط "إسناده حسن"

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ جُمُعٍ مُتَوَالِيَاتٍ فَقَدْ نَبَذَ الْإِسْلَامَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ»^(١)

الصورة الثامنة عشر – ومن صور اللامبالاة (ترك أذكار ما بعد الصلاة : رغم عظيم ثوابها ، و ترغيب النبي ﷺ في شأنها و ترتيبه الأجر و المغفرة عليها ، على الرغم من ذلك ترى كثيرا من المصلين ما إن يسلم الإمام حتى يقوموا منصرفين خارج المسجد ولم يصلوا السنة البعدية ، مع أن ثواب الحسن الحسنة بعدها و أن من علامات الطاعة قبول الطاعة بعدها .

^(١) أبو يعلى الموصلي (١٠٢/٥) (٢٧١٢) انظر صحيح الترغيب والترهيب

الباب الخامس

اللامبالاة بالموعظة

﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٦-١٣٨]

الباب الخامس

اللامبالاة بالموعظة

ومن صور للامبالاة تلك الصورة التي هي داء الأمم من قبلنا، ألا وهي اللامبالاة بالموعظة والإعراض عنها، بل أصبح من يذكر الناس ويعظهم ويخوفهم من عذاب الله - عز وجل - وعقابه وسخطه مصدر سخريّة، فهذا يسخر ممن يتكلم عن عذاب القبر، وهذا يسخر ممن يخوف الناس من أثر الذنوب والمعاصي، بل إن بعضهم صار قلبه أقسى من الحجر يُقرأ عليه القرآن بوعده وعيده، وأمره ونهيه، فما يزيده إلا طغيانا كبيرا، وإصرار على ما هو عليه من الذنوب والمعاصي فهؤلاء صورهم الباري - جل جلاله - بقوله

أضحى حال كثير منهم كما قيل في المثل : (أذن من طين و أخرى من عجين) فهذا يوعظ لترك الربا ، و يخوف و يذكر فيما يزيده إلا طغيانا كبيرا ، و هذا يشرب الدخان ، فإذا وعظته انبرى قائلا: (إن كانت حلا شربناها وأن كانت حرام حرقناها) و هذه متبرجة تذكر و توعظ فتدفع إلى من يذكرها هاتفها المحمول و تقول بكل غرور (احجز لي مقعدا في النار) و آخر يخوف من ترك الصلاة فيقول (ساعة الحساب تفرج) و غيرهم كثير و أصبح حالهم كحال قوم هود - عليه السلام - لما دعاهم إلى الإيمان بالله - سبحانه - و ذكرهم بآلاء الله و نعمه عليهم ، ثم أخبرهم أنه لا يرجو منهم مالا و لا أجرا ، و إنما هو مشفق عليهم من سخط الله عليهم و من عذابه العظيم فما كان رد هؤلاء إلا أن قالوا في تبجح و لا مبالاة ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوْعِظْتَ أَمْ لَمْ تُكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ (١٣٦) **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ** (١٣٧) **وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ** ﴿ [الشعراء: ١٣٥-١٣٨]

فلم ينفع فيهم الوعد ولا الوعيد ولا الترغيب ولا التهيب وقالوا في صلف و غرور ﴿ **إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ** ﴾

يقول ابن كثير - رحمه الله - يقول تعالى مخبراً عن جواب قوم هود له بعد ما حذرهم وأنذرهم، ورغبهم ورهبهم، وبين لهم الحق ووضحه {قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ} أي لا نرجع عما نحن عليه {وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين} وهكذا الأمر، فإن الله تعالى قال {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} الآية، وقولهم {إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ} قرأ بعضهم {إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ} بفتح الخاء وتسكين اللام. قال ابن مسعود والعوفي عن عبد الله بن عباس وعلقمة ومجاهد: يعنون ما هذا الذي جئتنا به إلا أخلاق الأولين، كما قال المشركون من قريش {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} وقال {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} وقالوا {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} وقال {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ لَكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} وقرأ آخرون {إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ} بضم الخاء واللام، يعنون دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأولين من الآباء والأجداد، ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم، نعيش كما عاشوا، ونموت كما ماتوا، ولا بعث ولا معاد، ولهذا قالوا {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ} ^(١)

فماذا كان جزاء هذا الصلف وذاك الغرور: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٣٩-١٤٠] و انظر إلى عاقبة أمرهم كيف كانت ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نُحْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦-٨]

و وهكذا تكون نهاية أهل اللامبالاة بالموعظة أن يدمرهم الله تعالى ، فما تعاني من الأمة من ضعف و هوان ، وذل و صغار ، إنما هو نتيجة حتمية لبعدهم عن المواعظ التي قصها الله عليهم في كتابه ، فالله قص علينا قصة قارون الذي تكبر و تجبر و ظن بغروره

^(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر (٣/ ٤١٦)

أنه صاحب الأمر والنهي، ولم يلتفت لموعظة الواعظين له ، و زجرهم إياه عن التماذي في كبره و لكنه أصم و عمي ، فحسف الله به و بداره الأرض ، وما مالت تلك النعرة القارونية تُعمي أصحاب الأموال في هذه الأيام و لم يأخذوا العبرة و العظة من أسلافهم ، و كذا أرباب المعاصي بأنواعها ، وما علم هؤلاء أن الله تعالى يولي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، و الذي الذين لم يبالوا بالموعظة بيان معنى الموعظة ، لعل ذلك يوقظ الحيارى الذين ضلوا الطريق و الى هؤلاء من على شاكلتهم هذا البيان من كتاب الرحمن و الله المستعان يقول - سبحانه وتعالى - ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥) [النحل: ١٢٥]

يقول ابن القيم رحمه الله - والعظة يراد بها أمران: الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة، ونفس الرغبة والرغبة. فالمنيب المتذكر شديد الحاجة إلى الأمر والنهي، والمعرض الغافل شديد الحاجة إلى الترغيب والترهيب، والمعارض المنكر شديد الحاجة إلى المجادلة؛

والعظة نوعان: عظة بالمسموع، وعظة بالمشهود.

فالعظة بالمسموع : الانتفاع بما يسمعه من الهدى والرشد والنصائح التي جاءت على يد الرُّسل، وكذلك الانتفاع بالعظة من كلِّ ناصحٍ ومرشدٍ في مصالح الدِّين والدُّنيا.

والعظة بالمشهود: الانتفاع بما يراه ويشهده في العالم من مواقع العِبَر وأحكام القدر ومجاريه، وما يشاهده من آيات الله الدالّة على صدق رسله^(١)

القسم الأول - الموعظة بالمسموع:

^(١) مدارج السالكين (ج ١) (ص: ٤٧٨/٤٧٩)

وهي الموعظة بالقرآن الذي أنزله الله على نبيه ﷺ و بين فيه سبحانه أنه موعظة للقلوب و شفاء لما في الصدور قال - سبحانه وتعالى- { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [يونس: ٥٧]

وهيا لترى أثره على القلوب، يقول سبحانه {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: ٢٣]

يا من لا يبالى بالموعظة، أين أثر القرآن على قلبك وجلدك؟ بل أين أثره على سمعك وبصرك؟ فهل أنتم من أولياء الرحمن، أم صرت من جنود الشيطان؟

قال قتادة: هذا نعت الله لأوليائه نعتهم بأنهم تقشعرون منه جلودهم، وتجل قلوبهم، و تبكي منه أعينهم، ثم تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، فأهل الإيمان الصادق، و أهل العقيدة الثابتة الراسخة، إذا تليت عليهم آيات الله اقشعرت جلودهم و انقبضت قلوبهم، وارتعدت فرائصهم، فسكن الخوف و الوجل قلوبهم، و إذا تليت عليهم آيات الرحمة، و آيات المغفرة انبسطت جلودهم و انشروحت صدورهم ، واطمأنت قلوبهم

هيا لندخل على أولياء الرحمن لنرى أثر الموعظة م القرآن و كيف أن الموعظة وقعت من قلوبهم؟

١- رسول الله محمد ﷺ أخرج البخاري ومسلم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْرَأْ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النَّسَاءِ، حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } قَالَ: حَسْبُكَ الْآنَ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»^(١)

عطاء: انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول رسول الله ﷺ «زر غبا تزدد حبا» قال ابن عمير: فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ قال: فبكت وقالت

^(١) أخرجه: البخاري ٢٤١/٦ (٥٠٥٠)، ومسلم ١٩٥/٢ (٨٠٠) (٢٤٧)

كل أمره كَانَ عَجَبًا، أَتَانِي فِي لَيْلَتِي حَتَّى مَسَّ جِلْدَهُ جِلْدِي ثُمَّ قَالَ «دُرِينِي أَتُعْبُدُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» فَقَامَ إِلَى الْقُرْبَةِ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَبَكَى حَتَّى بَلَ لَحِيَّتِهِ، ثُمَّ سَجَدَ حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى جَنْبِهِ حَتَّى أَتَى بِلَالٌ يُؤْذَنُهُ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَبْكِيكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ؟ فَقَالَ «وَيَحْكَ يَا بِلَالُ وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَبْكِيَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ {إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} ثُمَّ قَالَ» ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»^(١)

قال: قيل للأوزاعي: ما غاية التفكير فيهن؟

قال: يقرؤهن وهو يعقلهن .

فهذا أثر القرآن على سيد ولد عدنان ﷺ ، فأين أثره عليك أيها الإنسان؟ أين أثر الدموع؟ بل أين علامات الخشوع، أم أنت دبت إليك آثار اللامبالاة فلم يعد يحرك فيك الوعد و الوعيد؟

* وها هي ثلة مباركة لعلك تتشبه بهم في خوفهم من ربهم :

٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَجُلًا يَقْرَأُ: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} [الطور: ٨] ، فَجَعَلَ يَبْكِي حَتَّى اشْتَدَّ بُكَاءُهُ. ثُمَّ خَرَّ يَضْطَرِبُ. فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «دَعُونِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ قَسَمَ حَقٍّ مِنْ رَبِّي»

٣- عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - :

وعن سمير الرياحي عن أبيه قال شرب عبد الله بن عمر ماء مبردا فبكي فاشتد بكاءه فقيل له ما يبكيك فقال ذكرت آية في كتاب الله عز و جل وحيل بينهم وبين ما يشتهون

^(١) أخرجه ابن حبان ٣٨٧ - ٣٨٦ / ٢ ، والطحاوي في مشكل الآثار ١٢ / ٣٣ - ٣٤ (٤٦١٨)، وابن المنذر ٢ / ٣٢٢ - ٣٣٣ (١٢٦١). وأورده الثعلبي ٣ / ٢٣٠. قال الألباني في الصحيحة ١ / ١٤٧ (٦٨): «إسناده جيد»

فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً شهوتهم الماء وقد قال الله عز و جل أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله.^(١)

٤- تميم الداري - رضي الله عنه - :

عن مسروق، قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح، أو كاد أن يصبح، يقرأ بآية يركع فيها ويسجد فيها، ويسجد ويبكي: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (سورة: الجاثية آية رقم: ٢١).^(٢)

٥- محمد بن المنكدر- رحمه الله- :

بينما هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى فكثر بكاءه حتى فزع له أهله فسألوه ما الذي أبكاك فاستعجم عليهم فتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبي حازم وأخبروه بأمره فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكي فقال يا أخي ما لذي أبكاك قد رعت أهلك فقال له إني مرت بي آية من كتاب الله عز وجل قال ماهي قال قول الله عز وجل {وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون} قال فبكى أبو حازم معه واشتد بكاءهما قال فقال بعض أهله لأبي حازم جئنا بك لتفرج عنه فزدته قال فأخبرهم ما الذي أبكاهما.^(٣)

٦-علي بن الفضيل بن عياض - رحمه الله: مات - رحمه اله من سماع آية وهي {وَلَوْ

تَرَىٰ إِذِ وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الانعام: ٢٧) لله درك من سيد ، بلغت من رقة القلب حتى تموت من جراء سماع أو قراءة آية ، و بالله ما أحلاه من نعت يطلقه عليك الفضيل (قتيل القرآن)

^(١) صفة الصفوة - المعرفة (١/ ٥٧٨)

^(٢) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا ت: الرقي (٢/ ٤٦)

^(٣) صفة الصفوة - المعرفة (٢/ ١٤١)

و هكذا بلغت الموعظة من القلوب مبلغها ، حتى بدى ذلك على جلوههم و قلوبهم ، و
عيونهم ، فما لقبلك تحجر حتى صارر أقسى من الحجر ؟

فمالك ليس ينفع فيك وعظ كأنك قد خلقت من الجمد

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد و أنت بغير زاد

فما الذي غرك بك الكريم؟

والذي جرأك على مولاك العظيم؟

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾

[الانفطار: ٦-٧]

عطاياه إليك نازل ... و خطاياك إليه صاعده!

يتحجب إليك بنعمه و تتبغض إليه بمعاصيك ؟

يمهلك فتغفل يحلم عليك فتجهل ... يلفظ بك فتستكبر!

يناديك إلى التوبة فتتمادى و يحذرك من العقوبة فتتمرد!

ألم تسمع إلى عتاب ربك إليك و هو يعتب عليك عدم الاعتبار و الاعتاظ ؟ أدب إليك

داء الأمم السالفة؟ أم أنه يعظ غيرك؟

يقول علام الغيوب ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ

وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]

أما آن لك يا من وعظت بعدم ترك الصلاة أن تصلي؟

أما آن لك يا من وعظت بترك الربا ألا تربو؟!

أما آن لك يا من فرطت في أم في جنب الله أن تسارع إلى رضوانه ؟

أما آن لك يا من وعظت بالحجاب والاحتجاب ألا تتبرجي ؟!

أما آن لك يا من وعظت بترك الدخان أن تسارع إلى تركه

أما آن أما آن أما آن ؟!

ذكرت القيامة رأي العين، فشاهدت أمورا تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد

وما زلت سادرا في غيك، رأيت الشمس قد كورت، والنجوم انكدرت، والجبال سيرت، والعشار عطلت، والأرض دكت، وما حرك ذلك فيك ساكنا؟

وعظت بالجنة ونعيمها، وما أعد الله لأهلها من قصور من ذهب، بانيها الرحمن، خازنها رضوان، المسك طينتها، والزعفران حشيش نابت فيها، الوجوه ناضرة، وإلى الرحمن ناظرة، وعظت بكل هذا، وما شمرت له عن ساعد الجد، فيا عجبا للجنة، كيف ينام طالبها فالباب مفتوح، ولكن من يلج! والحبل ممدود ولكن من يتشبث؟ والخير مبذول ولكن من يتعرض؟

ثم وعظت بالنار، وما أعد فيها من أغلال، فحرها شديد، وقعرها بعيد وسلاسلها من حديد، وطعامها من زقوم، وشرابها من الصديد، فيا عجبا لك يا ابن آدم، كيف لا تهرب؟ وياء عجبا لك كيف تنام؟ ويا عجبا كيف تعصي و تلهو؟

ثم ذكرك ربك بأثار الأمم وما أصابها من عذاب، وما حل بهم من نكال فقال ﴿وَذَكِّرْهُمْ يَأَيَّامَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] وقال ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: ٤-٥] ثم قال ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾ [القمر: ٥١-٥٢]

أما قرأت في ثنائها ما حل بقوم نوح؟ وما عاد على قوم عاد؟ وكيف كانت عاقبة
ثمود؟ وما نزل بقوم لوط؟ وما حاق بقوم فرعون؟ أما تخاف من العقاب أما قرأت قول
الديان ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]

أم حل عليك النكال فأعمى الله بصرك وأصم سمعك، وطبع على قلبك؟
يا ذا القلب القاسي، والعقل الناسي، أين المفر أذ شرك وحشرك؟ أين المفر إذا
استدعاك للحساب؟ فأين يكون المستقر؟ أفي جنة عالية، قطوفها دانية فنهنتك، أم في نار
حامية ... فنعزيك؟

مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في دار الأبرار؟ أم في دار الأشرار سكانها
الكفار والفجار والأشرار؟ أفي دار الخيبة والخسارة والبوار؟

غدا غد توفى الأنفس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

يقول ابن الجوزي - رحمه الله -: «الواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصي، فإن نارها
تحت الرماد. وربما تأخرت العقوبة، ثم فجأت، وربما جاءت مستعجلة. فيلبادر بإطفاء ما
أوقد من نيران الذنوب، ولا ماء يطفئ تلك النار إلا ما كان من عين العين، لعل خصم
الجزاء يرضى قبل أن يبيت الحاكم في حكمه»^(١)

القسم الثاني: الموعظة بالمشهود:

إليك يا من لا تبالي بالموعظة حالك إليك ... لعلك ترجع، و لعلك تخضع، و لعلك
تتوب و ترجع إلى علام الغيوب، إليك الموعظة بالمشهود بما تراه عينك و بما تشاهده من
أحوال الناس.

^(١) «صيد الخاطر» (ص ٢٠٩)

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو راءحاً إلى الله عز وجل وتضعونه في صدع من الأرض، قد توسد التراب وخلف الأحاب وقطع الأسباب.

ما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا، حتى يفارقها، ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، و إلى الخلق الباقي منكم لا يبقون، أولستم ترون أهل الدنيا يصبحون و يمسون على أحوال شتى، فميت معزى، وآخر يعزى، وعائد يعود و آخر بنفسه يجود وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافل و ليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي يمضي الباقي، ألا تذكرون هادم اللذات، و منغص الشهوات وقاطع الأمنيات؟

الموعظة بالموت ومشاهدة المحتضرين

الموت ادم اللذات ومفرق الجماعات، ومكدر الشهوات، ومسكت النجي، ومفرق الندي، ومعفي الآثار، ومخرب الأديار، زائر غير مر محبوب، وواتر غير مطلوب، عظمت سطوته، وتتابع عدوته، وقلت عنا نبوته .

أيها السادرون المغمورون الغافلون، أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال و الأولاد، وأعراض الحياة، و أنتم مفارقون، يامن ضلوا في متاهة الأمل و الغرور ، تنبهوا أفيقوا و اذكروا الموت .

يقهر الموت المستعلون بالعقيدة، ويموت المستذلون للعبيد، يموت ذووا الاهتمامات الكبيرة، والأهداف العالية، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص، الكل يموت.

فيا من لا تبالي بالموعظة، على أية حال تموت؟ وما أبقى الموت أميرا ولا وزيرا، يموت كل عزيز و حقير، يموت كل غني و فقير، يموت كل نبي وولي، يموت كل نجي و تقى، فالموت أكبر واعظ، و من لم يتعظ بالموت ولا بالقرآن، فلو تناطحت الجبال بين يديه ما اتعظ ، يا هذا رأيت الموتى على فراش الموت و عاينت سكراته و غصصه وما اتعظت ،

خذ العظة و العبرة قبل أن تكون عبرة و عظة . قال ابن مسعود- رضي الله عنه -
السعيد من وعظ بغيره

وهيا لترى أثر الموعظة بالمشهود على سيد الخلق ﷺ

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: عَلَامَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: عَلَى قَبْرِ يَحْفَرُونَهُ. قَالَ: فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ. قَالَ: فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا قَالَ: أَيُّ إِخْوَانِي لِمِثْلِ الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا؟^(١)

و اسمع إلى ثرها في الصالحين، وكيف أن قلوبهم تلين ؟

«وروى أبو نعمي الحافظ بإسناده أن عمر بن عبد العزيز شيع مرة جنازة من أهل ثم أقبل على أصحابه ووعظهم فذكر الدنيا فذمها وذكر أهلها وتنعمهم فيه وما صاروا إليه بعدها من القبور فكان من كلامه أنه قال: إذا مررت بهم فنادهم إن كنت مناديا وادعهم أن كنت داعيا ومر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم سل غنيهم: ما بقي من غناه؟ وسل فقيرهم: ما بقي من فقره؟ واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرنه وسلهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان تحت الأكفان وأكلت اللحان وغفرت الوجوه ومحت المحاسن وكسرت الفقاره وبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء وأين حجابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم؟ وجمعهم وكنوزهم؟ وكأنهم ما وطئوا فراشا ولا وضعوا هنا متكا ولا غرسوا شجرا ولا أنزلوهم من اللحد قرارا أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبة وكم من ناعم وناعمة أضحوا ووجوههم بالية وأجسادهم من أعناقهم بائنة أوصالهم ممزقة وقد سالت الحديق على الوجنات وامتلاأت الأفواه دما

^(١) «مسند أحمد» (٣٠/ ٥٦٣ ط الرسالة) «وأخرجه ابن أبي شيبة ٢٢٦/١٣-٢٢٧- ومن طريقه البيهقي في "السنن" ٣/ ٣٦٩، وفي "الشعب" (١٠٥٤٧)»

وصديدا ودبت دواب الأرض في أجسادهم ففرقت أعضاءهم ثم لم يلبثوا إلا يسيرا حتى عادت العظام وميما فقد فارقوا الحداثق وصاروا بعد السعة إلى المضائق قد تزوجت نساؤهم وترددت في الطرق أبناءؤهم وتوزعت القرابات ديارهم وقراهم فمنهم والله الموسع له في قبره الغض الناظر فيه المتنعم بلذته يا ساكن القبر غدا ما الذي غرك من الدنيا؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟ وأين ثمارك الينة؟ وأين رفاق ثيابك؟ وأين طيبك ونحورك؟ وأين كسوتك لصيفك لشتائك؟ أما رأيته قد زل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلا وهو يرشح عرقا ويتلمظ عطشا يتقلب في سكرات الموت وغمراته جاء الأمر من السماء وجاء غالب القدر والقضاء هيهات: يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله يا مكفن الميت ويا مدخله في القبر وراجعا عنه ليت شعري بأي خديك بدأ البلى يا مجاور الهلكات صرت في محله الموت ليت شعري بأي خديك بدأ البلى يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموت ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني بهمن رسالة ربي.

ثم انصرف فما عاس بعد ذلك إلا جمعة^(١)

و انظر إلى أثر الموعظة بالمشهود أيضا في مشهد نراه و نألفه و عندما نشيع جنازة ترى الناس يهرولون من الشمس المحرقة، و من الغبار و هم مع ذلك الهروب ما زلوا على غيهم سادرين و بغفلتهم راضين و لكن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لما شاهد هذا المشهد اخذ العظة و العبرة.

روى أنه كان في جنازة في مقبرة، فرأى قوماً يهربون من الشمس إلى الظل، فأنشدها وهي هذه:

من كانَ حينَ تُصيبُ الشمسُ جبهته أو الغبار يُخافُ الشين والشعثا

ويألفُ الظلَّ كي تبقى شبابته فسوفَ يسكنُ يوماَ راغما جدثا

^(١) «أحوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور» (ص ١٥٣)

في ظلّ مقبرة غرباء مُظلمة يُطيل تحت الزى في غمها اللبثا

تجهزي بجهاز تبلغين به يا نفسُ قبل الردى لم تُخلقي عبثاً^(١)

عن ميمون بن مهران قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة، فلما نظر إلى القبور بكى، ثم أقبل علي فقال: يا أبا أيوب، هذه قبور آبائي بني أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات، واستحكم فيهم البلاء، وأصاب الهوام في أبدانهم مقيلاً؟ ثم بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق فقال: انطلق بنا، فوالله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن عذاب الله.^(٢)

عن مطرف الهذلي قال: كانت عجوز متعبدة في عبد القيس فعوتبت في كثرة إتيانها فقالت: إن القلب القاسي إذا جفى لم يلينه إلا رسوم البلى وإني لآتي القبور وكأني أنظر إليهم قد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المعفرة وإلى تلك الأجسام البالية المقفرة وإلى تلك الأكفان الدلسة، فيا له من منظر.^(٣)

قال صدقة أبو محمد الزاهد: خرجنا في جنازة بالكوفة، وخرج فيها داود الطائي، فانتبذ مقعد ناحية وهي تدفن، فجئت قريباً منه، فتكلم، فقال: «من خاف الوعيد قصر عليه البعيد، ومن طال أمله ضعف عمله، وكل ما هو آت قريب، واعلم أي أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم. واعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور، إنما يندمون على ما يخلفون، ويفرحون بما يقدمون، مما عليه أهل القبور ندموا أهل الدنيا عليه يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاة يختصمون»^(٤)

و علم - علمني الله وإياك - أن الموعظة بالمشهود ما بثه الله في الكون من آيات و عبر ، و تر تغرب العبد و ترهبه ، تحدوه و تسوقه ، فكم يراه الغافل و لكن لا يتحرك قلبه ، لا يخشع بدنه ، و ما جعلها إلا آية دالة على قدرته و قوته ، و رحمته و غضبه ، و من هذه

^(١) البحور الزاخرة في علوم الآخرة (١/ ٤٠٣)

^(٢) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط السعادة» (٥/ ٢٦٩)

^(٣) «أحوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور» (ص١٤١)

^(٤) «قصر الأمل لابن أبي الدنيا» (ص٧٨)

الآيات المشهودة التي جعلها الله تذكراً لذوي القلوب و لألباب النار - يقول سبحانه -
**﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ
 جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَاحًا لِلْمُقْوِينَ﴾** [الواقعة: ٧١-٧٣]

قال مجاهد و غيره يعني أن نار الدنيا تذكر بنار الآخرة فإذا رأى تلك النار أعني نار الدنيا، تذكر نار الآخرة و أن نار الدنيا جزء من سبعين جزء من نار جهنم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ» ، قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»^(١)

وخرجه الإمام أحمد و زاد فيه «وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْفَعَةً لِأَحَدٍ»^(٢)

وهيا لنرى أحوال السلف عند مشاهدة نار الدنيا، وكيف كانت موعظة ما ابلغها:

وقال أبو حيان التيمي: سمعت منذ ثلاثين سنة أن عبد الله بن مسعود مر على الذين ينفخون على الكير فسقط، خرجه الإمام أحمد.

وخرج ابن أبي الدنيا من رواية سعد بن الأخرم، قال: كنت أمشي مع ابن مسعود فمر بالحدادين وقد أخرجوا حديداً من النار، فقام ينظر إليه ويبكي.

وعن عطاء الخراساني، كان أويس القرني يقف على موضع الحدادين فينظر إليهم كيف ينفخون الكير، ويسمع صوت النار، فيصرخ، ثم يسقط»

قال الأعمش: أخبرني من رأى الربيع بن خيثم مر بالحدادين، فنظر إلى الكير وما فيه، فخر

^(١) المسند ١٣/ ٤٧٩ (٨١٢٦)، ومسلم ٤/ ٢١٨٤ (٢٨٤٣). وأخرجه البخاري ٦/ ٣٣٠ (٣٢٦٥)

^(٢) «مسند أحمد» ١٢/ ٢٨٠ ط الرسالة) وأخرجه الحميدي (١١٢٩) ، وابن حبان (٧٤٦٣) ، والبيهقي في «البعث والنشور» (٥٠٠)

وعن العلاء بن محمد قال دخلت على عطاء السلمي فرأيت مغشياً عليه، فقلت لامرأته ما شأنه؟ قالت: سجرت جارة لنا التنور، فلما نظر إليه غشي عليه

وكان الأحنف بن قيس، يجيء إلى المصباح بالليل، فيضع أصبعه فيه، ثم يقول: حس حس، ثم يقول: يا حنيف، ما حملك على صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟

وقال البخاري بن حارثة: دخلت على عابد، فإذا بين يديه نار قد أججها، وهو يعاتب نفسه، ولم يزل يعاتبها حتى مات

وكان كثير من الصالحين يذكر النار وأنواع عذابها برؤية ما يشبهه بها في الدنيا، أو يذكره بها، كرؤية البحر وأمواجه، والرؤوس المشوية، وبكاء الأطفال، وفي الحر والبرد، وعند الطعام والشراب، وغير ذلك.

بل إن الواحد منهم إذا أصابه البرد تذكر زمهرير جهنم، ويقف متأملاً باكية خائفاً من عذاب الله .

وروي عن زبيد الياامي، أنه قام ليلة للتهجد، فعمد إلى مطهرة له، قد كان يتوضأ فيها، فغسل يده، ثم أدخلها في المطهرة، فوجد الماء الذي فيها بارداً برداً شديداً، قد كاد أن يجمد، فذكر الزمهرير، ويده في المطهرة فلم يخرج يده من المطهرة حتى أصبح، فجاءته الجارية، وهو على تلك الحال، فقالت: ما شأنك - يا سيدي - لم تصل الليلة، كما كنت تصلي؟ قال: ويحك، إني أدخلت يدي في هذه المطهرة، فاشتد علي برد الماء، فذكرت به الزمهرير، فوالله ما شعرت بشدة برده حتى وقفت علي، انظري لا تخبري بهذا أحداً ما دمت حياً، فما علم بذلك أحد حتى مات رحمه الله»^(١)

^(١) التخويف من النار (ص ٣٥)

واعلم - علمني الله وإياك- أن من الموعظة بالمشهود حلول فصل الصيف بما فيه من حر و عرق و حمى فكلها تعظ العبد و تذكره بآخرته ، و هيا لتقف مع ابن رجب - رحمه الله :يقول في ذكر فصل الصيف :

أخرجنا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا! فَأُذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِيرِ»^(١)

لا شك أن الله تعالى خلق لعباده دارين يجزيهم فيها بأعمالهم مع البقاء في الدارين من غير موت وخلق دارا معجلة للأعمال وجعل فيها موتا و حياة وابتلى عباده فيها بما أمرهم به ونهاهم عنه وكلفهم فيها الإيمان بالغيب ومنه: الإيمان بالجزاء والدارين المخلوقتين له وأنزل بذلك الكتب وأرسل به الرسل وأقام الأدلة الواضحة على الغيب الذي أمر بالإيمان به وأقام علامات وأمارات تدل على وجود داري الجزاء فإن إحدى الدارين المخلوقتين للجزاء دار نعيم محض لا يشوبه ألم والأخرى دار عذاب محض لا يشوبه راحة.

وهذه الدار الفانية ممزوجة بالنعيم والألم فما فيها من النعيم يذكر بنعيم الجنة وما فيها من الألم يذكر بألم النار وجعل الله تعالى في هذه الدار أشياء كثيرة تذكر بدار الغيب المؤجلة الباقية فمنها ما يذكر بالجنة من زمان ومكان أما الأماكن فخلق الله بعض البلدان كالشام وغيرها فيها من المطاعم والمشارب والملابس وغير ذلك من نعيم الدنيا ما يذكر بنعيم الجنة وأما الأزمان: فكزمن الربيع فإنه يذكر طيبه بنعيم الجنة وطيبها وكأوقات الأسحار فإن بردها يذكر ببرد الجنة وفي الحديث الذي أخرجه الطبراني: إن الجنة تفتح في كل ليلة في السحر فينظر الله إليها فيقول لها: ازدادي طيبا لأهلك فتزداد طيبا فذلك برد السحر الذي يجده الناس»

^(١) البخاري ٦/ ٣٣٠ (٣٢٦٠) مسلم ١/ ٤٣١ ، ٤٣٢ (٦١٧)

وروى سعيد الجريري عن سعيد بن أبي الحسن أن داود عليه السلام قال: يا جبريل أي الليل أفضل؟ قال: ما أدري غير أن العرش يهتز إذا كان من السحر ألا ترى أنه يفوح ريح كل الشجر.

ومنها ما يذكر بالنار فإن الله تعالى جعل في الدنيا أشياء كثيرة تذكر بالنار المعدة لمن عصاه وما فيها من الآلام والعقوبات من أماكن وأزمان وأجسام وغير ذلك أما الأماكن فكثير من البلدان مفرطة الحر أو البرد فبردها يذكر بزهرير جهنم وحرها يذكر بحر جهنم وسمومها وبعض البقاع يذكر بالنار

كالحمام قال أبو هريرة: نعم البيت الحمام يدخله المؤمن فيزيل به الدرن ويستعيز بالله فيه من النار كان السلف يذكرون النار بدخول الحمام فيحدث لهم ذلك عبادة دخل ابن وهب الحمام فسمع تاليا يتلو: {وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ} [غافر: ٤٧] فغشي عليه.

وتزوج صلة بن أشيم فدخل الحمام ثم دخل على زوجته تلك الليلة فقام يصلي حتى أصبح وقال: دخلت بالأمس بيتا أذكرني النار ودخلت الليلة بيتا ذكرت به الجنة فلم يزل فكري فيهما حتى أصبحت كان بعض السلف إذا أصابه كرب الحمام يقول: يا بر يا رحيم من علينا وقنا عذاب السموم صب بعض الصالحين على رأسه ماء من الحمام فوجده شديد الحر فبكى وقال: ذكرت قوله تعالى: {يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} [الحج: ١٩].

كل ما في الدنيا يدل على صانعه ويذكر به ويدل على صفاته فما فيها من نعيم وراحة يدل على كرم خالقه وفضله وإحسانه وجوده ولطفه وما فيها من نقمة وشدة وعذاب يدل على شدة بأسه وبطشه وقهره وانتقامه واختلاف أحوال الدنيا من حر وبرد وليل ونهار وغير ذلك يدل على انقضائها وزوالها قال الحسن: كانوا يعني الصحابة يقولون: الحمد لله الرفيق الذي لو جعل هذا الخلق خلقا دائما لا ينصرف لقال الشاك في الله: لو كان لهذا الخلق رب لحادثه وإن الله قد حادث بما ترون من الآيات

وأما الأزمان : فشدة الحر والبرد يذكر بما في جهنم من الحر والزمهرير وقد دل هذا الحديث الصحيح على: أن ذلك من تنفس النار في ذلك الوقت قال الحسن: كل برد أهلك شيئاً فهو من نفس جهنم وكل حر أهلك شيئاً فهو من نفس جهنم وفي الحديث الصحيح أيضاً عن النبي ﷺ قال: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ، فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»^(١)

وفي حديث مرفوع خرج عثمان الدارمي وغيره: «إِذَا كَانَ يَوْمٌ شَدِيدَ الْحَرِّ فَقَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَشَدَّ حَرُّ هَذَا الْيَوْمِ اللَّهُمَّ أَجْرَنِي مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ قَالَ اللَّهُ لْجَهَنَّمَ: إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي قَدْ اسْتَجَارَ بِي مِنْكَ وَقَدْ أَجْرَتْهُ وَإِذَا كَانَ يَوْمٌ شَدِيدَ الْبَرْدِ فَقَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَشَدَّ بَرْدُ هَذَا الْيَوْمِ اللَّهُمَّ أَجْرَنِي مِنْ زَمْهِيرِ جَهَنَّمَ قَالَ اللَّهُ لْجَهَنَّمَ: إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي قَدْ اسْتَجَارَ بِي مِنْ زَمْهِيرِكَ وَإِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ أَجْرْتَهُ قَالُوا وَمَا زَمْهِيرِ جَهَنَّمَ قَالَ: بَيْتٌ يَلْقَى فِيهِ الْكَافِرُ فَيَتَمِيزُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ»^(٢)

أبواب النار مغلقة وتفتح أحيانا فتفتح أبوابها كلها عند الظهيرة ولذلك يشتد الحر حيثئذ فيكون في ذلك تذكرة بنار جهنم.

وأما الأجسام المشاهدة في الدنيا المذكرة بالنار فكثيرة^(٣)

فيا من لا تبالي بالموعة و تهرب من الحر إلى المكيفات و المبردات هذا نفس جهنم فما بلك بنارها التي أوقد الله عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي الآن سوداء مظلمة لا يضيء شرارها ولا يطفئ لهيبها ، يا ابن آدم ما أضعفك ، فلماذا التجبر و التكبر ؟ غمسة في النار تنسيك كل نعيم في الدنيا ، فتقول (ما ما بي نعيم قط)

^(١) رواه البخاري (٢/ ١٥) فتح رقم ٥٣٣ و ٥٣٤، ومسلم (٦١٥)

^(٢) أخرجه ابن السني (ص ١٢٢، رقم ٣٠٧) وذكره ابن رجب الحنبلي في التخويف من النار (٤٤/١). قال العجلوني

(٤٦٦/٢) : رواه ابن السني وأبو نعيم بسند ضعيف، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات

^(٣) لطائف المعارف (ص: ٥٢٣-٥٢٦)

قال العلماء رحمة الله عليهم: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة إن كانت قاسية فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكر، والتخويف والترغيب، وأخبار الصالحين.

فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها.

الثاني: ذكر الموت من ذكر هادم اللذات: ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات كما تقدم في الباب قبل، يروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها. فقالت لها: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك.

ففعلت ذلك فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة

قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها.

الثالث: مشاهدة المحتضرين: فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته، ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرده عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب.

يروى أن الحسن البصري دخل على مريض يعود فوجده في سكرات الموت فنظر إلى كربه، وشدة ما نزل به، فرجع إلى أهله، بغير اللون الذي خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم.

فو الله لقد رأيت مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه، فإن انتفع بها فذاك، وإن عظم عليه ران

القلب، واستحكمت فيه دواعي الذنب، فزيارة قبور الموتى تبلغ في دفع ذلك مالا يبلغه الأول، والثاني، والثالث.

ولذلك قال عليه السلام «زوروا القبور فإنها تذكركم الموت والآخرة، وتزهد في الدنيا»
 فالأول: سماع بالأذن، والثاني: إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف
 والتحذير في مشاهدة من احتضر، وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة، فلذلك كانا
 أبلغ من الأول والثاني.

قال عليه السلام: «ليس الخبر كالمعاينة»^(١)

إلا أن الاعتبار بحال المحتضرين غير ممكن في كل الأوقات.

وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات، وأما زيارة القبور: فوجودها
 أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدر، فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها، ويحضر
 قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها الطواف على الأجداد فقط، فإن هذه حالة تشاركه
 فيها بهيمة ونعوذ بالله من ذلك.

بل يقصد بزيارته: وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت مما يتلوه عنده من
 القرآن.

ويجتنب المشي على المقابر، والجلوس عليها إذا دخل المقابر، ويخلع نعليه.

كما جاء في أحاديث، ويسلم إذا دخل المقابر، ويخاطبهم خطاب الحاضرين.

فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»، كذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول،
 وكنى بالدار عن عمارها وسكانها.

ولذلك خاطبهم بالكاف والميم لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله.

^(١) رواه أحمد في مسنده (٢٧١/١)

وإذا وصل إلى قبر ميتة الذي يعرف سلم عليه أيضاً فيقول: عليك السلام روى الترمذي في جامعه: «أن رجلاً دخل عبي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: عليك السلام، فقال ﷺ: لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت» وليأته من تلقاء وجهه في زيارته كمخاطبته حياً، ولو خاطبة حياً لكان الأدب استقباله بوجهه. فكذاك ههنا.

ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت على وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه.

فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه، الذين بلغوا الآمال وجمعوا الأموال.

كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاءهم، وترمل بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتيم أولادهم، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم.

وليتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمؤاتاة الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان متردداً في أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه.

وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه، وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمؤاتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كماله، وعند هذا التذكر والاعتبار، يزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على

الأعمار الأخروية، فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، ويخشع
جوارحه. والله أعلم^(١)

^(١) التذكرة (ص: ١٣-١٥)

الباب السادس

اللامبالاة بأكل الحرام

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ.»^(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ مَا يُبَالِي الرَّجُلُ مِنْ أَيْنَ أَصَابَ الْمَالَ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ»^(٢)

^(١) أخرجه البخاري (٢٠٥٩)، والدارمي (٢٥٣٩)

^(٢) أخرجه النسائي (٢٤٣/٧، رقم ٤٤٥٤) (صحيح) انظر حديث رقم: ٨٠٠٣ في صحيح الجامع

الباب السادس

اللامبالاة بأكل الحرام

في هذا الباب نقف مع ظاهرة وصورة من صور اللامبالاة، وهي من دلائل النبوة حيث أخبر بها النبي ﷺ ألا وهي اللامبالاة بأكل الحرام، وطلب الرزق من وجوه محرمة) ففي الحديث الذي أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنْ الْحَرَامِ»^(١)

فهذا إشارة نبوية إلى ما آل إليه حال كثير من الناس في زمن اللامبالاة، حيث أصبح جمع المال هدف كثير منهم ولا يبال أجمعه من الحلال أم جمعه من الحرام؟

وفي هذا الباب سنقف على عدة مباحث:

المبحث الأول: المال في القرآن والسنة.

المبحث الثاني آثار أكل الحرام على الفرد والمجتمع.

المبحث الثالث: صور من اللامبالاة في طلب الرزق.

^(١) أخرجه البخاري (٢٠٥٩)، والدارمي (٢٥٣٩)

المبحث الأول

المال في القرآن والسنة

ذكر الله - سبحانه وتعالى - المال في القرآن في مقام المدح تارة وفي مقام الذم تارة أخرى فذكره في مقام المدح:

فسماه خيراً: فقال - سبحانه ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] أي ترك مالا.

و قال سبحانه ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْهِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص: ٣١-٣٢] و المراد به: الخيل و المال .

و يقول سبحانه: ﴿ لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت: ٤٩] أي : لا يمل و لا يكل من سؤال طلب المال ، و الصحة و العافية ، و في الحديث « لَوْ أَنَّ لِبْنِ آدَمَ وَادِيَيْنِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ »^(١)

ويقول - سبحانه وتعالى- ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨]

يقول ابن كثير - رحمه الله - : أي أنه لحب الخير، وهو المال الكثير وفيه مذهبان:

أحدهم: أن المعنى: إنه لشديد لمحبة المال.

الثاني: أنه لحريص بخيل من محبة المال، وكلاهما صحيح.

ثانيا سماه الله فضلاً: يقول - سبحانه و تعالى - ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴾ [البقرة: ١٩٨] و يقول سبحانه - ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ

يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] أي : لا يحسب البخيل أن جمع المال ينفعه ، بل هو مضرة عليه في دينه و يقول - سبحانه

^(١) أخرجه أحمد ٣ / ٣٤٠ (١٤٧١٢)

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧] ويقول - سبحانه ﴿وَأَخْرُؤْنَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]

ثالثا - وسماه حسنة: فقال - سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]

يقول ابن كثير - رحمه الله - «فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا»

و يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٥]

يقول ابن كثير: أي: حولنا الحال من شدة إلى رخاء، ومن مرض وسقم إلى صحة وعافية، ومن فقر إلى غنى، ليشكروا على ذلك، فما فعلوا^(١)

رابعا: وسماه الله (رحمة): فقال سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠] و يقول سبحانه ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦]

خامسا - وسماه الله (نعمة): فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٤٩]

^(١) تفسير ابن كثير (ج ٢ ص ٢٣٣)

أي : إذا خولناه أي أعطيناه منا صحة ومالا أو غيرهما قال -أي ذلك الكافر- إنما أوتيت ذلك العطاء على علم من الله بأني أستحقه.

سادسا: وسماه زينة: فقال سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] وقال ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]

سابعا: و أضافه إلى نفسه -سبحانه وتعالى- وأتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ [النور: ٣٣]

ثانيا المال في مقام الذم:

بقول - سبحانه وتعالى- : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٥-١٦] فسماه فتنة و حذر عباده منه ، وأخبرهم أن ما عنده خير لهم .

عَنْ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ذُبَّانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»^(١)

و قيل لبعض الحكماء: إن فلان جمع مالا، قال: فهل جمع أياما ينفقه فيها؟

قيل: لا ، قال ما جمع شيئا.

و المال طريق الروح و الريحان أو طريق إلى رب على صاحبه غضبان، بالمال يدخل الإنسان نفسه الجنة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ..... اللَّهُ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»^(٢)

^(١) أخرجه أحمد (١٥٧٨٤)، والترمذي (٢٣٧٦)، وابن حبان (٣٢٢٨)، والطبراني في الكبير ١٩/ (١٨٩)، والدارمي ٢/ ٣٠٤، والبيهقي في الآداب

(٩٧٤)، والبيهقي (٤٠٥٤)، وابن المبارك في الزهد (١٨١)

^(٢) -أخرجه البخاري (٦٦٠) و (١٤٢٣) و (٦٤٧٩)، ومسلم (١٠٣١) (٩١)، والترمذي (٢٣٩١)

وبالمال يؤمن الإنسان مستقبله وحاضره يقول سبحانه ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]

و بالمال يطهر المسلم نفسه من الشح و البخل يقول سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً
تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:
١٠٣]

و بالمال يدخل الإنسان نفسه جهنم و بئس القرار يقول سبحانه ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا
بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

و بالمال يدخل الإنسان نفسه في جملة البخلاء التعساء يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾
[النساء: ٣٧]

و بالمال يتكبر المتكبرون كقارون - لعنه الله- ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ
يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ
عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]

المبحث الثاني

آثار أكل الحرام على الفرد والمجتمع

وهي لنقف مع آثار اكل الحرام واللامبالاة بها على الفرد في نفسه والمجتمع.

اعلم -علمني الله و إياك- أن الله - سبحانه أحل لنا الطيبات ورتب عليها الأجر و الثواب، وحرّم علينا الخبائث، ورتب عليها الوزر و العقاب ، وأن لأكل الحرام آثارا عظيمة ، وهاك بيان ذلك من القرآن و السنة.

أولاً: أن الله لا يقبل له عملاً: يا من لا تبالي باللحمة تأكلها من حرام اسمع إلى تلك العقوبة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون: ٥١] ثُمَّ قَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} قَالَ: [البقرة: ١٧٢] ﴿قَالَ: «ثُمَّ ذَكَرَ رَجُلًا يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْنَعَتْ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَطَعَامُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغَدَا فِي الْحَرَامِ أَنِّي يَسْتَجِيبُ لَهُ»^(١)

فهي دعوة عامة شملت المؤمنين والأنبياء الذين هم أخص أولياء الله تبارك وتعالى، بأن يتحروا أكل الحلال الطيب الذي لا شبه فيه، وأوضح النبي ﷺ إن الله طيب لا يقبل من العمل إلا ما هو طيب لا شبهة ولا حرام فيه، فالذي يأكل الحرام مردود عليه عمله، حاله كما قال الشاعر:

وأشبهه من يتوب على حرام كبيض فاسد تحت الحمام

يطول عناؤه في غير شغل وآخره يقوم بلا تمام

إذا كان المقام على حرام فلا معنى لتطويل القيام

^(١) أخرجه الدارمي (٢٧١٧) ، والبخاري في "رفع اليدين" (٩٤) ، والترمذي (٢٩٨٩) ، والبيهقي (٣٤٦/٣)

ثانيا: أنه لا يقبل له دعاء : يرفع يديه إلى السماء و يجيء راليه بالدعاء يدعو لنفسه فلا يستجاب له ، تدعو الأمة لكشف الكرب و الغمة ، ولكن لا يسمع دعاؤها ولا يرفع رجاؤها ، لأنها لم تبال بأكل الحرام ، فيا هذا أكلك للحرام من اكبر أسباب تسلط الأعداء على أمة الإسلام ، إذ لو كنت آكلا للحلال لاستجاب الله دعائك و لنصرنا على اليهود ومن عاونهم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثُمَّ ذَكَرَ رَجُلًا يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَطَعَامُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغَدَا فِي الْحَرَامِ أَنِّي يَسْتَجِيبُ لَهُ»

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا سَعْدُ أَطِيبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ»^(١)

ثالثا: فساد القلب: فأكل الحرام يفسد على العبد قلبه الذي هو محل نظر ربه - جل جلاله - فيصبح الحق في ميزان ذلك القلب الفاسد باطلا والباطل حقا، والحرام حلالا والحلال حراما يقول النبي ﷺ :- ((... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ))^(٢).

رابعا: أنه متوعد بنار جهنم: فالله طيب لا يقبل إلا طيبا والجنة هي غرسه وخلقه و طيبة لا يدخلها جسم نبت من حرام ، يقول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «إِنَّمَا لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ، أَوْ جَسَدٌ غُذِيَ بِحَرَامٍ؛ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(٣)

ويقول سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]

أقوال السلف في التحذير من أكل الحرام^(٤)

^(١) المعجم الأوسط للطبراني برقم (٥٠٢٦)

^(٢) البخاري (٥٢، ٢٠٥)، ومسلم (١٥٩٩)

^(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٦/٥، رقم ٥٧٥٩)

^(٤) راجع كتاب الحلال و الحرام لابي حامد الغزالي (ص: ٢٠/١٧)

وهيا لنعيش مع سلف هذه الأمة واعلمها بالحلأ والحرام، وأبعدهم عن الحرام والشبهات، من تربوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهم يحذرون من أكل الحرام، ويبنوا لنا أثره على جوارح العبد:

قال سفيان الثوري -رضي الله عنه- من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفره إلا الحلال وقال يحيى بن معاذ الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسنانها لقم الحلال

وقال يحيى بن معاذ-رحمه الله- الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء وأسنانها لقم الحلال

وقال عبد الله بن عمر-رضي الله عنه- لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز

وقال سهل التستري-رحمه الله- لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال ١-أداء الفرائض بالسنة.

٢-وأكل الحلال بالورع.

٣-واجتناب النهي من الظاهر والباطن.

٤-والصبر على ذلك إلى الموت.

وقال سهل -رحمه الله-من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى علم أو لم يعلم

قال ابن المبارك -رحمه الله- رد درهم من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف حتى بلغ إلى ستمائة ألف

-وجاء في التوراة -من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله - رحمه الله - ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه

وقال الفضيل - رحمه الله - من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله لم لا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي دلو شربت منه

وروي في آثار السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلاثا فإن كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق وإن كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه عن علي - رضي الله عنه - وغيره إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب.

صور من الورع والخوف من أكل الحرام

واسمع إلى أخبار الأخيار يا من لم تبال بأكل الحرام، وظننت أن الأمر هين وهو عند الله عظيم. ورع النبي ﷺ:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ تَحْتَ جَنْبِهِ ثَمْرَةً مِنْ اللَّيْلِ، فَأَكَلَهَا، فَلَمْ يَمُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ بَعْضُ نِسَائِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرِقتَ الْبَارِحَةَ؟ قَالَ: «إِنِّي وَجَدْتُ تَحْتَ جَنْبِي ثَمْرَةً، فَأَكَلْتُهَا، وَكَانَ عِنْدَنَا ثَمْرٌ مِنْ ثَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ» (١)

أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -:

عن محمد بن سيرين قال: لم أعلم أحدا استقواء من طعام أكله غير أبي بكر فإنه أتى بالطعام فأكله ثم قيل له جاء به ابن النعمان قال فأطعمتموني كهانة ابن النعمان ثم استقواء. (٢)

(١) مسند أحمد (٩/١١، ٦٤)، ورواه مختصراً (١٠/١٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رجاله موثقون (٣/٨٩)، ولم يعزه بغيره

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (١١٠/١)

عن زيد بن أرقم، قال: « كان لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مملوك يغل عليه ، فأثاء ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع ، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني ، فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني ، قال: إن كدت أن تهلكني ، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ ، وجعلت لا تخرج ، فقليل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها ، فقليل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ، قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» ، فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة »^(١)

عمر بن الخطاب _ رضي الله عنه -:

مالك، عن زيد بن أسلم ، أنه قال: شرب عمر بن الخطاب لبنا ، فأعجبه، فسأل الذي سقاه، من أين لك هذا اللبن؟ فأخبره أنه ورد على ماء، قد سماه، فإذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون، فحلبوا لي من ألبانها، في سقائي هذا، فأدخل عمر إصبعه ، فاستقاه.^(٢)

و قبل أن نقف مع صور من اللامبالاة في طلب المال و أكل الحرام نقف مع قاعدة عامة يجب على المسلم ان يضعها نصب عينيه إذا أراد الاكتساب وفق ما شرع الله تعالى .

قاعدة عامة في مسائل الكسب:

يقول القرضاوي - حفظه الله - قاعدة عامة في مسائل الكسب:

إن الإسلام لا يبيح لأبنائه أن يكتسبوا المال كيفما شاءوا وبأي طرق أرادوا بل هو يفرق لهم بين الطرق المشروعة وغير المشروعة لاكتساب المعاش، نظرا إلى المصلحة الجماعية وهذا التفريق يقوم على المبدأ الكلي القائل بأن جميع الطرق لاكتساب المال التي لا

^(١) أخرجه أبو نعيم (٣١/١)

^(٢) مالك (٢٦٩/١) ، والبيهقي (١٤/٧)

يحصل المنفعة فيها لفرد إلا بخسارة غيره؛ غير مشروعة، وأن الطرق التي يتبادل فيها الأفراد المنفعة فيما بينهم بالتراضي والعدل مشروعة.

وهذا المبدأ يبينه قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا} (النساء: ٢٩-٣٠)، فقد شرطت هذه الآية مشروعة التجارة بأمرين:

الأول: أن تكون هذه التجارة عن تراض بين الفريقين.

الثاني: ألا تكون منفعة فريق قائمة على خسارة الفريق الثاني.

وذلك ما يوضحه {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} من هذه الآية، وقد فسره المفسرون على معنيين ينطبق كل منهما على هذا المقام. فالمعنى الأول: أن لا يقتل بعضكم بعضاً. والمعنى الثاني: أن لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم. فمؤدى هذه الآية على كل حال: أن كل من يضر غيره لمنفعته الشخصية فكأنه ينزف دمه ولا يفتح طريق الهلاك إلا على نفسه في نهاية الأمر. فالسرقة، والارتشاء، والقمار، والغرر، والخديعة، والتدليس، والربا، وكثير غيرها من طرق الكسب يوجد فيها كل من هذين السببين لعدم المشروعية. وإذا كان يوجد في بعضها شرط التراضي، فإنه يعوزه الشرط الذي يتضمنه قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}.

والقاعدة الثانية - التحايل على الحرام حرام:

وكما حرم الإسلام كل ما يفضي إلى المحرمات من وسائل ظاهرة، حرم التحايل على ارتكابها بالوسائل الخفية، والحيل الشيطانية، وقد نعى على اليهود ما صنعوا من استباحة ما حرم الله بالحيل وقال النبي ﷺ «لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ بِأَدْنَى الْحِيلِ»^(١)

^(١) جزء الخلع وإبطال الحيل لابن بطة (ص ٢٤)

وذلك أن اليهود حرم الله عليهم الصيد في يوم السبت، فاحتالوا على هذا المحرم بأن حفروا الخنادق يوم الجمع لتقع فيها الحيتان يوم السبت 'فيأخذوها يوم الأحد، وهذا عند المحتالين جائز، و عند فقهاء الإسلام حرام، لأن المقصود الكف عن عما ينال الصيد بطريق التسبب أو المباشرة.

ومن الحيل الآثمة تسمية الأشياء الحرام بغير أسمه و تغيير صورته مع بقاء حقيقته، ولا ريب أنه لا عبرة بتغيير الاسم إذا بقي المسمى ولا بتغيير الصورة إذا بقيت الحقيقة، فإذا اخترع الناس صوراً يتحايلون بها على أكل الربا الخبيث أو استحدثوا أسماء للخمر، يستحلون بها شربها، فإن الإثم في الربا و الخمر باق لازم و في الحديث «لَيْسَتْ حِلٌّ آخِرُ أُمَّتِي الْخَمْرُ، تُسَمِّيْهَا بِأَسْمِهَا»^(١)

يأتي على الناس زمان يستحلون الربا باسم البيع ومن غرائب عصرنا أن يسمى الرقص الخليع (فنا) والخمر (مشروبات روحية) والربا (فائدة) وهكذا.

^(١) خرجه ابن أبي شيبة ١٠٨/٨، وابن ماجه (٣٣٨٥)

المبحث الثالث

صور من اللامبالاة في طلب الرزق

بعد أن عشنا مع سلف الأمة ورأينا كيف كان ورعهم في ترك المحرمات حتى رأينا الواحد يخرج اللقمة التي أكلها وهو لا يعلم أنها حرام ويقول لو لم تخرج إلا مع روحي لأخرجتها، هيا لنرى قوما آخرين استحوذ الشيطان على قلوبهم فأصبحوا يرون الحرام عيانا فيجتروون عليه ويأكلونه لا يبالون من أين أخذوا المال؟ أمن حلال أم من حرام فالحلال ما حل في أيديهم والطريقة المباحة للكسب ما أملت عليهم أهواؤهم و شهواتهم سواء وافق ما في كتاب الله و سنة رسوله أم خالفه، وهذا هو الذي أشار إليه النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري

الصورة الأولى - التعامل بالربا والتحايل على ذلك:

اعلم - علمني الله وإياك- أن من صور اللامبالاة التي أزكمت الأنوف في ذلك العصر: التعامل بالربا في صور عصرية حيث أضحي التعامل بالربا ضرورة من ضرورات هؤلاء الذين لا يبالون بما حرم تعالى فتحايلوا عليه وسموه بغير اسمه فهذا يقول: إنه لا ربا بين الدولة و آخر يحرمه تارة و يحله تارة أخرى، وأصبح الدين كلاً مباحاً لكل من أراد أن يرتع و يخرج علينا بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان، وقبل أن أتكلم عن حرمة الربا أضع بين يدي القارئ بعض صور التحايل على الربا و اللامبالاة بذلك:

يقول العلامة ابن عثيمين-رحمه الله- إن للتحايل على الربا صوراً كثيرة أكثرها شيوعاً بيننا طريقة المداينة التي يستعملها كثير من الناس، وهي أن يتفق الدائن والمدين أولاً على المعاشرة يتفق معه على الدراهم يقول أريد عشرة آلاف ريال العشرة بعشرة ونصف مثلاً، ثم يذهب الدائن والمدين إلى صاحب دكان عنده أموال مكدسة إما سكر أو ربطات خام أو غيرها فيشتريها الدائن شراء صورياً ليس له بها غرض سوى الوصول إلى بيع العشرة بعشرة ونصف.

والدليل أنه شراء صوري أنه لا يكاسر بالثمن ولا يقلب السلعة ولا يفتشها كما يفعل المشتري حقيقة، وربما كانت هذه الأموال أفسدها طول الزمن أو أكلتها الأرض لأنها لم تنقل ولم تقلب ولم تفتش، وبعد هذا الشراء الصوري يبيع الدائن هذه السلع على المدين بما اتفقا عليه من الربح، ثم يعود المدين فيبيعها على صاحب الدكان ويخرج بدراهم. وهذا العمل بعينه هو ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب إبطال التحليل من جملة صور الحيل، حيث قال - رحمه الله - : وكذلك بلغني أن من الباعة من قد أعد بزا لتحليل الربا، فإذا جاء إلى من يريد أن يأخذ منه ألفا بألف ومائتين، ذهباً إلى ذلك المحلل فاشترى منه المعطى ذلك البز ثم يعيده للآخذ، ثم يعيده الآخذ إلى صاحبه وقد عرف الرجل بذلك بحيث إن هذا البز الذي يحلل به الربا لا يكاد يبيعه البيع البات، انتهى.

وقد قال قبل ذلك سبحانه الله العظيم أن يعود الربا الذي عظم الله شأنه في القرآن وأوجب محاربة مستحله ولعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه وجاء فيه من الوعيد ما لم يحى في غيره، إلى أن يستحل بأدنى سعي من غير كلفة أصلاً إلا بصورة عقد هي عبث ولعب، وقال في الفتاوى أيضاً: وكذلك إذا اتفقا على المعاملة الربوية ثم أتيا إلى صاحب حانوت يطلبان منه متاعاً بقدر المال فاشتراه المعطى ثم باعه على الآخذ إلى أجل، ثم أعاده إلى صاحب الحانوت بأقل من ذلك فيكون صاحب الحانوت واسطة بينهما يجعل، فهذا من الربا الذي لا ريب فيه، انتهى

الله شأنه في القرآن وأوجب محاربة مستحله ولعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه وجاء فيه من الوعيد ما لم يحى في غيره، إلى أن يستحل بأدنى سعي من غير كلفة أصلاً إلا بصورة عقد هي عبث ولعب، وقال في الفتاوى أيضاً: وكذلك إذا اتفقا على المعاملة الربوية ثم أتيا إلى صاحب حانوت يطلبان منه متاعاً بقدر المال فاشتراه المعطى ثم باعه على الآخذ إلى أجل، ثم أعاده إلى صاحب الحانوت بأقل من ذلك فيكون صاحب الحانوت واسطة بينهما يجعل، فهذا من الربا الذي لا ريب فيه، انتهى.

أيها المسلمون، إن المداينة بهذا البيع الصوري الذي يعلم الله جل وعلا ويعلم المتعاقدان أنفسهما أنهما لم يريدوا حقيقة البيع وإنما أرادوا دراهم بدراهم، فالدائن أراد الربح والمدين

أراد الدراهم، وأدخلا هذا العقد الصوري بينهما، أقول إن هذه المداينة تشتمل على عدة محاذير:

الأول أنها تحايل على المحرم وخداع لله ورسوله، ونحن نقول لهذا المتحايل إن حيلتك لن تغني عنك من الله شيئا، ألم تعلم بأن الله يرى؟

ألم تعلم بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ ألم تعلم بأن الحساب يوم القيامة على ما في قلبك **{أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ - وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}** [العاديات: ٩ - ١٠] **{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ - فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ}** [الطارق: ٩ - ١٠]

المحذور الثاني أن هذه المعاملة توجب قسوة القلب والتمادي في الباطل، فإن صاحبها يظن أنه على حق، فلو أتته بكل دليل ما سمع منك لأن قلبه مغمور بمحبة هذه المعاملة السيئة لسهولتها، والنفس إذا اعتادت على الربح المحرم بهذه الطريقة السهلة صعب عليها تركها إلا أن يعينها الله بمدد منه وتعرف حقيقة واقعها وشؤم عاقبة معاصيها، وأن هذه الأرباح التي تحصل لها بطريق التحايل على محارم الله ليس منها إلا الغرم والإثم.

المحذور الثالث: إن في هذه المعاملة السيئة معصية لله ولرسوله فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع السلع حتى تنقل. قال ابن عمر - رضي الله عنهما -: «كان الناس يتبايعون الطعام جزافا بأعلى السوق، فنهاهم النبي ﷺ أن يبيعوه حتى ينقلوه»، رواه البخاري، وعن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - «أن النبي ﷺ نهى أن تباع السلع حيث تتباع حتى يحوزها التجار إلى رحالهم» رواه أبو داود، فكيف ترضى لنفسك أيها المسلم أن تتعامل بمعاملة يكون فيها معصية الله ورسوله والوقوع فيما حذر الله ورسوله منه من أجل كسب لا يعود عليك بالخير والبركة. ^(١)

ويقول ابن القيم رحمه الله:- وقد أخبر ﷺ أن طائفة من أمته تستحلّ الربا باسم البيع، كما أخبر عن استحلال الخمر باسم آخر.

^(١) الضياء اللامع (ص ٢٣٨-٢٣٩)

فروى ابن بطة بإسناده عن الأوزاعي، عن النبي ﷺ «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَسْتَحِلُّونَ الرَّبَّاءَ بِالْبَيْعِ»، يعني العينة.

وهذا وإن كان مرسلًا فإنه صالح للاعتضاد به بالاتفاق، وله من المسندات ما يشهد له، وهي الأحاديث الدالة على تحريم العينة.

فإنه من المعلوم أن العينة عند مُسْتَحِلِّهَا إنما يسميها بيعًا، وفي هذا الحديث بيان أنها ربًا لا بيع؛ فإن الأمة لم يستحلَّ أحد منها الربا الصريح، وإنما استحلَّ باسم البيع وصورته، فصوّروه بصورة البيع، وأعاروه لفظه.

ومن المعلوم أن الربا لم يُحَرِّمَ لمجرد صورته ولفظه، وإنما حُرِّمَ لحقيقته ومعناه ومقصوده، وتلك الحقيقة والمعنى والمقصود قائمة في الحِيلِ الربوية، كقيامها في صريحه سواء، والمتعاقدان يعلمان ذلك من أنفسهما، ويعلمه من يشاهد حالهما، والله يعلم أن قصدهما نفسُ الربا، وإنما توسّلا إليه بعقدٍ غير مقصود، وسمّياه باسم مستعار غير اسمه.

ومعلوم أن هذا لا يرفع التحريم، ولا يرفع المفسدة التي حُرِّمَ الربا لأجلها، بل يزيدها قوة وتأكيّدًا من وجوه عديدة:

منها: أنه يُقدِّم على مُطالبة الغريم المحتاج بقوة، لا يقدم بمثلها المُربي صريحًا؛ لأنه واثق بصورة العقد واسمه.

ومنها: أنه يطالبه مطالبةً من يعتقد حلَّ تلك الزيادة وطبيها، بخلاف مطالبة المُربي صريحًا.

ومنها: اعتقاده أن ذلك تجارة حاضرة مُدارة، والنفوس أرغبُ شيء في التجارة، فهو في ذلك بمنزلة من أحبَّ امرأة حبًّا شديدًا، ويمنعه من وصاها كونها مُحَرَّمَةً عليه، فاحتال إلى أن أوقع بينه وبينها صورة عقد لا حقيقة له، يأمن به من بشاعة الحرام وشناعته، فصار يأتيها آمنًا، وهما يعلمان في الباطن أنها ليست زوجته، وإنما أظهرها صورة عقد يتوصّلان به إلى الغرض.

ومن المعلوم أن هذا يزيد المفسدة التي حرّم الحكيمُ الخيرَ لأجلها الزنى والربا قوة؛ فإن الله سبحانه وتعالى حرّم الربا لما فيه من ضرر المحتاج، وتعريضه للفقر الدائم، والدين اللازم الذي لا يَنفَك عنه، وتولّد ذلك زيادته إلى غاية تجتاحه، وتسلّبه متاعه وأثائه وداره، كما هو الواقع في الواقع.

فالربا أخو القمار الذي يجعل المقمور سلبياً حزيناً محسوراً.

فمن تمام حكمة الشريعة الكاملة المنتظمة لمصالح العباد: تحريمه وتحريم الذريعة الموصلة إليه، كما حرّم التفرّق في الصرف قبل القبض، وأن يبيعه درهماً بدرهم إلى أجل، وإن لم يكن هناك زيادة، فكيف يُظنّ بالشارع مع كمال حكمته أن يُبيح التحيل والمكر على حصول هذه المفسدة، ووقوعها زائدة متضاعفة بأكل المحتال فيها مال المحتاج أضعافاً مضاعفة؟

ولو سلك مثل هذا بعض الأطباء مع المرضى لأهلكهم؛ فإن ما حرّم الله تعالى ورسوله ﷺ من المحرمات؛ إنما هو حِمْيَةٌ لحفظ صحة القلب، وقوة الإيمان، كما أن ما يمنع منه الطبيب مما يضرّ المريض حِمْيَةٌ له، فإذا احتال المريض أو الطبيب على تناول ذلك المؤذي بتغيير صورته مع بقاء حقيقته وطبعه، أو تغيير اسمه مع بقاء مسماه، ازداد المريض بتناوله مرضاً إلى مرضه، وتراعى به إلى الهلاك، ولم ينفعه تغيير صورته، ولا تبدّل اسمه.

وأنت إذا تأملتَ الحيلَ المتضمنة لتحليل ما حرّم الله سبحانه وتعالى، وإسقاط ما أوجب، وحلّ ما عقّد وجدت الأمر فيها كذلك، ووجدت المفسدة الناشئة منها أعظم من المفسدة الناشئة من المحرمات الباقية على صورها وأسمائها، والوجدان شاهدٌ بذلك.

فالله سبحانه إنما حرّم هذه المحرمات وغيرها لما اشتملت عليه من المفاصد المضرّة بالدنيا والدين، ولم يحرمها لأجل أسمائها وصورها، ومعلوم أن تلك المفاصد تابعة لحقائقها، لا تزول بتبدّل أسمائها وتغيّر صورها، ولو زالت تلك المفاصد بتغيير الصورة والأسماء لما لعن الله سبحانه اليهود على تغيير صورة الشّحم واسمه بإذايته، حتى استحدث اسم

الودك وصورته، ثم أكلوا ثمنه، وقالوا: لم نأكله، وكذلك تغيير صورة الصيد يوم السبت بالصيد يوم الأحد.

فتغيير صور المحرمات وأسمائها مع بقاء مقاصدها وحقائقها زيادة في المفسدة التي حُرمت لأجلها، مع تضمنه لمخادعة الله تعالى ورسوله، ونسبة المكر والخداع والغش والنفاق إلى شرعه ودينه، وأنه يُحرّم الشيء لمفسدة، ويبيح له لأعظم منها.

ولهذا قال أيوب السخيتاني: يخادعون الله كما يخادعون الصبيان، لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون.^(١)

ومن صور اللامبالاة بأكل الحرام الربا:

تلك الصورة التي أضحت أمرا عاديا بين المسلمين إلا من رحم ربك بيع الذهب بالذهب متفاضلا، وصورته بيع الذهب القديم بذهب جديد، و دفع فرق الوزن و الصنعة، وهذه صورة من صور الربا المحرم، و حتى يخرج المسلم من تلك الصورة المحرمة التي لا يكاد يخلو منها محل من محلات الصاغة إلا من رحم ربك وهو أن يبيع الذهب الذي معه سواء كان سليما أو مكسورا، ثم يقبض ثمنه أولا، ثم أن شئت بعد ذلك اشترت ذهبا جديدا و بهذا العمل الذي لم يكلفك مشقة ولا عناء قد استبرئت لدينك و اتبعت قول النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ وَلَا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَا تَبِيعُوا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلَا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَا تَبِيعُوا مِنْهَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ.»^(٢)، أي حاضر، و في الحديث قال: «لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، وَلَا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ، إِلَّا وَزْنًا بِوَزْنٍ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ»^(٣)

^(١) إغاثة اللهفان (ص: ٣٣٤-٣٣٦)

^(٢) أخرجه مالك (٦٣٢/٢، رقم ١٢٩٩)، وعبد الرزاق (١٢١/٨، رقم ١٤٥٦٣)، وأحمد (٦٦/٣، رقم ١١٦٥٣)، والبخاري (٧٦١/٢، رقم ٢٠٦٨)

^(٣) أخرجه الطيالسي (ص ٢٩٠، رقم ٢١٨١)، وأحمد (٩/٣، رقم ١١٠٧٧)، ومسلم (١٢٠٩/٣، رقم ١٥٨٤)

قال البغوي - رحمه الله - : «في الحديث دليل على أنه لو باع حليا من ذهب بذهب لا يجوز إلا متساويين في الوزن، ولا يجوز طلب الفضل للصنعة، لأنه يكون بيع ذهب بذهب مع الفضل»^(١)

قال النووي - رحمه الله - : «قال العلماء هذا يتناول جميع أنواع الذهب والورق من جيد ورديء وصحيح ومكسور وحلي وتبر وغير ذلك وسواء الخالص والمخلوط بغيره»^(٢)

إلى غير ذلك من صور اللامبالاة بأكل الح الربا، سواء أكان الأكل جلي ظاهر لكل ذي عينين أو كان خفيا أمثال تلك الحيل الربوية التي ذكرها العلماء ، و بعد ذلك أقول لهؤلاء : أفيقوا و اسموا إلى حرمة الربا ، و جزاء آكله في الدنيا و الآخرة ، لعل ذلك يكون سببا من أسباب التوبة ، و ترك السلبية و اللامبالاة التي اجتاحت الأمة يقول سبحانه ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]

يقول ابن كثير - رحمه الله - : «شرع في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات، فأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم، فقال: {الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس} أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له؛ وذلك أنه يقوم قياما منكرا. وقال ابن عباس: أكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا يخنق»

وحكي عن عبد الله بن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، ومقاتل بن حيان أنهم قالوا في قوله: {الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس} يعني: لا يقومون يوم القيامة. وكذا قال ابن أبي نجيح^(٣)

^(١) «شرح السنة للبغوي» (٨ / ٦٥)

^(٢) «شرح النووي على مسلم» (١١ / ١٠)

^(٣) تفسير ابن كثير (ج ١ ص ٤٨٢)

واسمع إلى النبي ﷺ وهو يوضح لنا عقوبة أكل الربا عن جابر، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكِلَ الرَّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدِيهِ، وَكَاتِبَهُ»^(١)

عن وعبد الله بن سلام-رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَبْوَابَ الرَّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ حُوبًا ، أَذْنَاهُ كَالَّذِي يَأْتِي أُمَّهُ فِي الْإِسْلَامِ»^(٢)

عن أبي هريرة -رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «أَهْوَنُ الرَّبَا كَالَّذِي يَنْكِحُ أُمَّهُ وَإِنَّ أَرْبَى الرَّبَا اسْتِطَالَةُ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ»^(٣)

واسمع يا من لا تبالي بأكل الربا و تظنه هينا و هو عد الله عظيم ، اسمع يا من أكله و مشربه و ملبسه و مركبه و مسكنه من الربا إلى فظاعة ذلك الأمر: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الْمَلَأَيْكَةِ،-رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دِرْهَمٌ رَبًّا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَيْتَةً»^(٤)

وهل ما حل بالأمة الإسلامية من ذل وهوان وضعف وافتقار وما حل بها من أزمات اقتصادية وتسلبت أحفاد القردة والخنازير، إلا بسبب اللامبالاة بتك القضية قضية أكل الربا؟!

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الزُّنَا وَالرَّبَا إِلَّا أَحَلُّوا بَأْنَفُسِهِمْ عِقَابَ اللَّهِ جَلًّا وَعَلَا»^(٥)

أيا الذي قلبه ميت بأكل الربا ازدجر وانتبه

فكم نائم نام في غبطة أتمته المنيّة في نومته

وكم من مقيم على لذة دهته الحوادث في لذته

^(١) أخرجه أحمد (٣/٣٠٤، رقم ١٤٣٠٢)، ومسلم (٣/١٢١٩، رقم ١٥٩٨)

^(٢) أخرجه عبد الرزاق عن معمر في الجامع (١٠/٤٦١، رقم ١٩٧٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٣٩٢، رقم ٥٥١٤)

^(٣) (حسن) انظر حديث رقم: ٢٥٣١ في صحيح الجامع

^(٤) أخرجه أحمد ٥/ ٢٢٥ (٢٢٣٧٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧٥٩)، والبخاري (٣٣٨١)، والبيهقي في معجم الصحابة (١٦٢٩)، وابن قانع

في معجم الصحابة (٩١/ ٢)، تعليق الألباني "صحيح"، صحيح الجامع (٣٣٧٥)، الترغيب والترهيب (١٨٥٥)

^(٥) أخرجه أحمد (١/٤٠٢، رقم ٣٨٠٩). وأخرجه أيضاً: أبو يعلى (٨/٣٩٦، رقم ٤٩٨١). قال الهيثمي (٤/١١٨): إسناده جيد

وكم من جديد على ظهرها سيأتي الزمان على جدته

يقول سيد قطب - رحمه الله -: إنهم لا يقومون في الحياة ولا يتحركون إلا حركة الممسوس المضطرب القلق المتخبط الذي لا ينال استقراراً ولا طمأنينة ولا راحة.. وإذا كان هناك شك في الماضي أيام نشأة النظام الرأسمالي الحديث في القرون الأربعة الماضية، فإن تجربة هذه القرون لا تبقي مجالاً للشك أبداً.

إن العالم الذي نعيش فيه اليوم - في أنحاء الأرض - هو عالم القلق والاضطراب والخوف والأمراض العصبية والنفسية - باعتراف عقلاء أهله ومفكره وعلمائه ودارسيه، وبمشاهدات المراقبين والزائرين العابرين لأقطار الحضارة الغربية.. وذلك على الرغم من كل ما بلغت الحضارة المادية، والإنتاج الصناعي في مجموعه من الضخامة في هذه الأقطار. وعلى الرغم من كل مظاهر الرخاء المادي التي تأخذ بالآبصار.. ثم هو عالم الحروب الشاملة والتهديد الدائم بالحروب المبيدة، وحرب الأعصاب، والاضطرابات التي لا تنقطع هنا وهناك! إنها الشقوة البائسة المنكودة، التي لا تزيلها الحضارة المادية، ولا الرخاء المادي، ولا يسر الحياة المادية وخفضها ولينها في بقاع كثيرة. وما قيمة هذا كله إذا لم ينشئ في النفوس السعادة والرضى والاستقرار والطمأنينة؟

إنها حقيقة تواجه من يريد أن يرى ولا يضع على عينيه غشاوة من صنع نفسه كي لا يرى! حقيقة أن الناس في أكثر بلاد الأرض رخاء عاماً.. في أمريكا، وفي السويد، وفي غيرهما من الأقطار التي تفيض رخاء مادياً.. أن الناس ليسوا سعداء.. أنهم قلقون يطل القلق من عيونهم وهم أغنياء! وأن الملل يأكل حياتهم وهم مستغرقون في الإنتاج! وأنهم يغرقون هذا الملل في العريضة والصخب تارة. وفي «التقاليع» الغربية الشاذة تارة. وفي الشذوذ الجنسي والنفسي تارة. ثم يحسون بالحاجة إلى الهرب. الهرب من أنفسهم. ومن الخواء الذي يعيش فيها! ومن الشقاء الذي ليس له سبب ظاهر من مرافق الحياة وجريانها. فيهربون بالانتحار.

ويهربون بالجنون. ويهربون بالشذوذ! ثم يطاردهم شبح القلق والخواء والفراغ ولا يدعهم يستريحون أبداً! لماذا؟

السبب الرئيسي طبعاً هو خواء هذه الأرواح البشرية الهائمة المعذبة الضالة المنكودة - على كل ما لديها من الرخاء المادي - من زاد الروح.. من الإيمان.. من الاطمئنان إلى الله... وخواؤها من الأهداف الإنسانية الكبيرة التي ينشئها ويرسمها الإيمان بالله، وخلافة الأرض وفق عهده وشرطه.

ويتفرع من ذلك السبب الرئيسي الكبير... بلاء الربا... بلاء الاقتصاد الذي ينمو ولكنه لا ينمو سوياً معتدلاً بحيث تتوزع خيرات نموه وبركاتها على البشرية كلها. إنما ينمو مائلاً جانحاً إلى حفنة الممولين المرابين، القابعين وراء المكاتب الضخمة في المصارف، يقرضون الصناعة والتجارة بالفائدة المحددة المضمونة ويجبرون الصناعة والتجارة على أن تسير في طريق معين ليس هدفه الأول سد مصالح البشر وحاجاتهم التي يسعد بها الجميع والتي تكفل عملاً منتظماً ورزقاً مضموناً للجميع والتي تهيم طمأنينة نفسية و ضمانات اجتماعية للجميع.. ولكن هدفه هو إنتاج ما يحقق أعلى قدر من الربح - ولو حطم الملايين وحرّم الملايين وأفسد حياة الملايين، وزرع الشك والقلق والخوف في حياة البشرية جميعاً! وصدق الله العظيم: **«الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ»**.. (١)

إن السماحة الندية التي يحملها الإسلام للبشرية ، وظله الذي تأوي إليه البشرية المتعبة في هجير الأثرة و الشح و الطمع ، لا يعرفها المناكيد الناشئون في هجير الجاهلية المادية المعاصرة ، ولا مذاق ولا طعم له في حسهم المتحجر البليد ، إن وحوش المرابين القابعين في زوايا يتلمظون للفرائس من المحاويج و المنكوبين الذي تحل بهم المصائب فيحتاجون للمال :للطعام و الكساء و الدواء أو لدفن موتاهم فلا يجدون في هذا العالم المادي الكز الضنين الشحيح من يمد لهم يد المعونة البيضاء ، فيلجئون إلى أوكار الوحوش فرائس سهلة تسعى إلى الفخاخ بأقدامهما تدفعها الحاجة و تزجها الضرورة ، هؤلاء الذين كانوا حرباً على الناس ماذا يكون جزؤهم ؟

(١) ظلال القرآن (ج ١) (ص: ٣٢٦-٣٢٧)

حرب معلنه من الله وسوله في صورة شاملة داهمة غامرة ، حرب على الأعصاب و القلوب ، حرب على البركة و الرخاء حرب على السعادة و الطمأنينة ، حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه و منهجه على بعض ، حرب على القلق و الخوف ، و أخيرا حرب على السلاح بين الأمم و الجيوش و الدول ، و الحرب الساحقة الماح التي تأكل الأخضر و اليابس جزاء وفاقا بما اثقلوا كاهل الناس بالضرائب و التكاليف لسداد فوائد ديونهم فعم الفقر و السخط فيفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة فتقوم الحرب و ايسر ما يقع إن لم يقع هذا كله هو خراب النفوس ، و انهيار الأخلاق ، و انطلاق شعار الشهوات ، و تحطم و تحطيم الكيان البشري من أساسه و تدميره بما لا تبلغه افظع الحروب الذرية الرهيبة أبعد هذا الإنذار الإلهي و بعد ذلك البيان النبوي يليق بعد ذلك أن تتعامل بالربا ؟! أبعد هذا يليق بك أن تظلم الناس

يا من تتعامل بالربا، ألا أدلك على أبواب الخير؟ ألا أدلك على أبواب الخير؟ ألا أخبرك بأبواب السعادة ألا أسرك بما يسرك؟ إذا أردت السعادة والهناء والمحبة والرخاء فاسمع إلى ذلك الحديث واعمل به لعلك تنجو من عقاب الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»^(١)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِمًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خَضِرِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَحِيقِ الْمَخْتُومِ.»^(٢)

إنها التجارة الراجعة مع - عز وجل - وصدق الله جل جلاله _ إذ يقول

^(١) وأخرجه مطولا ومختصرا أبو خيثمة في "العلم" (٢٥) ، وابن أبي شيبة ٧٢٩/٨ و٨٥/٨٦-٨٦ ، ومسلم (٢٦٩٩) ، وأبو داود (١٤٥٥) و (٤٩٤٦) ،

وابن ماجه (٢٢٥)

^(٢) "مسند أحمد" (١١١٠١) أخرجه أبو داود (١٦٨٢) ، والترمذي (٢٤٤٩)

الصورة الثانية – من صور اللامبالاة في طلب الرزق في طلب الرزق (الغش):

وضعف المراقبة في قلوب هؤلاء:

- ١- غش الراعية لرعيته
- ٢- الغش في البيع والشراء
- ٣- الغش في الامتحانات
- ٤- الغش في الحياة الزوجية

وهكذا عن شئت أن ترى أي صورة من هذه الصورة في أي وقت لوجدتها ماثلة أمام عينيك فمن هذه الصورة

الغش في البيع والشراء: وهذا الغش يأخذ صوراً عدة منها:

بيع المصرة: فما إن تدخل أسواق الموشى إلا وقعت عينك على تلك الصورة من صور الغش: غش المصرة: وهو أن يترك البائع البقرة أو الإبل أو الغنم بدون حلب يوم أو يومين حتى يجتمع اللبن ، فيظن المشتري أن هذا اللبن عاديها كل يوم ، فيشتريها ويقع في فخ ذلك الغشاش الذي غشه في تلك السلعة ، وهذا الفعل حرام منهي عنه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُصَرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ، فَمَنْ ابْتِاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلُبَهَا، إِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ»^(١)

خلط اللبن بالماء: في زمن قل فيه وازع الإيمان ، وفي زمن قل فيه أهل الخير والإحسان ، في زمن الجشع والطمع ، وفي زمن اللامبالاة ، رأينا وسمعنا أحوال هؤلاء الذين يبيعون اللبن وقد أصابهم الطمع، والجشع ، فاصبحوا يخلطون اللبن بالماء من أجل الغنى والمال

و لقد جلست مع أحد هؤلاء الذين يقومون بجمع اللبن بعد أن تاب ورجع إلى الله ، وهو يحدث عن أحوال الناس فيقول : إن هناك أكثر من ٩٠ ٪ من الذين يبيعون اللبن يقومون بغشه و خلطه بالماء ، والذي يجمع اللبن يعرف ذلك فإن صادف أن البعض لم

^(١) البخاري (٢١٤٨) ، ومسلم (١٥١٥) . (١٠٨١٥)

يغش يقوم الجامع بمزجه بالماء ، وما سمع هؤلاء قول النبي ﷺ ، كما ورد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» فَقَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ» ثُمَّ قَالَ: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا»^(١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٢)

قال ابن الجوزي : كَانَ لِبَانٍ يَخْلُطُ الْمَاءَ بِاللَّبَنِ فَجَاءَ سَيْلٌ فَذَهَبَ بِالْغَنَمِ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَقُولُ اجْتَمَعَتْ تِلْكَ الْقَطَرَاتُ فَصَارَتْ سَيْلًا وَلِسَانُ الْجَزَاءِ يُنَادِيهِ يَدَاكَ أَوْكُنَا وَفُوكَ نَفَخَ.^(٣)

ومن صور الغش و الخداع التي لا يبالي بها التجار (إخفاء عيوب السلعة)

يبيع سلعته و يعلم أن بها عيوب تنقص من ثمنها ، ولكنه لا يخبر بها سعيا للحصول على الربح و هذا مخالف لشرع الله تعالى .

عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ، حَدَّثَنَا أَبُو سَبْعٍ، قَالَ: اشْتَرَيْتُ نَاقَةً مِنْ دَارٍ وَائِلَةٍ بْنِ الْأَسْقَعِ فَلَمَّا خَرَجْتُ بِهَا أَذْرَكَنِي وَائِلَةُ وَهُوَ يَجْرُ إِزَارُهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اشْتَرَيْتُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: بَيْنَ لَكَ مَا فِيهَا؟ قُلْتُ: وَمَا فِيهَا، إِنَّهَا لَسَمِينَةٌ ظَاهِرَةُ الصَّحَّةِ؟ قَالَ: أَرَدْتَ بِهَا سَفَرًا أَوْ أَرَدْتَ بِهَا لَحْمًا؟ قُلْتُ: أَرَدْتُ بِهَا الْحَجَّ. قَالَ: فَارْتَجِعْهَا. فَقَالَ صَاحِبُهَا: مَا أَرَدْتَ إِلَّا هَذَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ تُفْسِدُ عَلَيَّ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبِيعَ شَيْئًا، إِلَّا بَيَّنَّ مَا فِيهِ، وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ إِلَّا بَيَّنَّهُ»^(٤)

ومن صور الغش تلك الصورة التي شاهدها النبي ﷺ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السُّوقِ، فَرَأَى طَعَامًا مُصْبَرًا، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ، فَأَخْرَجَ طَعَامًا رَطْبًا قَدْ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟»

^(١) صحيح مسلم (١/ ٩٩ رقم ١٠١)

^(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٢٣٤) ، و «الصغير» (٧٣٨) ، وابن حبان (٥٦٧) (٥٥٥٩)

^(٣) المدهش (ص: ٣٨٩)

^(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٢ / (٢١٧) مختصراً، والحاكم ٩/ ١٠ ، والبيهقي في «السنن» ٣٢٠/٥ ، والخطيب في «تاريخه»، ١١/ ١٤٤

قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنَّهُ لَطَعَامٌ وَاحِدٌ قَالَ: «أَفَلَا عَزَلْتَ الرُّطْبَ عَلَى حِدَةٍ،
وَالْيَاسَ عَلَى حِدَةٍ، فَيَبْتَاعُونَ مَا يَعْرِفُونَ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(١)

وهناك صور كثيرة غير تلك التي ذكرتها، وهيا لنرى أثر الإيمان في قلوب الصحابة و
التابعين ، وكيف أنهم راقبوا الله في بيعهم و شرائهم فضربوا لنا أروع الأمثلة في محبة
الخير للآخرين

جرير بن عبد الله - رضي الله عنه -:

«وروى الطبراني في ترجمته -يعني جريراً - أن غلامه اشترى له فرساً بثلاثمائة، فلما رآه
جاء إلى صاحبه فقال: إن فرسك خير من ثلاثمائة، فلم يزل يزيده حتى أعطاه
ثمانمائة!!»

يونس بن عبيد - رحمه الله -:

يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها
أربعمائة وضرب كل حلة قيمتها مائتان فمر إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان
فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها
فاشترها فمضى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته فقال للأعرابي بكم
اشتريت فقال بأربعمائة فقال لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه
تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها فقال له يونس انصرف فإن النصح في الدين خير
من الدنيا بما فيها ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن أخيه في ذلك
وقاتله وقال أما استحييت أما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال
والله ما أخذها إلا وهو راض بها .

قال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك^(٢)

الحسن بن صالح - رحمه الله -:

^(١) أخرجه مسلم في كتاب "الإيمان"، باب "قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "من غشنا فليس منا" (١٦٤) (١٠٢)

^(٢) إحياء علوم الدين (٧٩ / ٢)

وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري إنها قد تنخمت مرة عندنا دماً،

ابن سيرين - رحمه الله - :

باع ابن سيرين شاة له فقال للمشتري: أبرأ إليك من عيب فيها قال: وما هو: قال:
تقلب العلف برجلها، وباع

عمر بن الخطاب رضي الله عنه- وابنة بائعة اللبن :

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أسلم قال بينا أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس المدينة إذ أعيأ واتكأ على جانب جدار في جوف الليل وإذا امرأة تقول لابتها يا ابتناه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء فقالت لها يا أمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم قالت وما كان من عزمته يا بنية قالت انه أمر مناديا فنادى ألا يشاب اللبن بالماء فقالت لها يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فانك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر فقالت الصبية لامها يا أمتاه ما كنت لأطيعه في الملاء واعصيه في الخلاء.

وعمر يسمع كل ذلك فقال يا أسلم علم الباب واعرف الموضع ثم مضى في عسسه حتى أصبح فلما أصبح قال يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها وهل لهم من بعل فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا يعمل لها وإذا تيك أمها وإذا ليس لهم رجل.

فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته فدعا عمر ولده فجمعهم فقال هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه ولو كان بابيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه المرأة فقال عبد الله لي زوجة وقال عبد الرحمن لي زوجة وقال عاصم يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتا وولدت البنت وولدت الابنة عمر بن عبد العزيز.

و أخيرا ... اسمع - يامن لا تبالي بغش المسلمين - إلى هذه الكلمات لعلها تكون زاجرا لك عن ذلك الذنب العظيم، يقول الشيخ على محفوظ - رحمه الله- إن الأرزاق لا تكون بالخداع و لا بالمقدرة ، وإنما هي كالأجال مقررة عند الله مقدره ، فلا يفوت

العاجز رزقه ولا يحصل فوق ما قسم له القادر القوي ، يا أيها الغاش : هل يأتيك الغش بشيء سوى ما أراده لك القيوم ؟

كلا والله لا يصيبك في الدنيا إلا ما قضاه الله عليك ، ولا ينالك منها إلا ما قسمه الله لك ، فما هذا التدليس الذي لا يكسبك إلا شكا في قضاء الله تعالى وما ذاك الغش الذي لا يفيد كالا الوزر و الخزي و العار ، وما عاقبة ذلك كله إلا ضياع الثقة و غم المصائب و هم الخسائر فوالله ما تقدم عامل خان في عمله و لا نجح صانع دلس في صناعته ، ولا ربح تاجر غش في تجارته ، وما هي إلا أيام معدودة وربما دارت عليه أو على ذريته الدوائر .

أيها الناس إن الغش لذنوب كبير ولا يكون إلا من نفوس خبيثة طاغية وإن الأيمان الكذبة لا تصدر إلا عن قلوب مظلمة قاسية ، وكلاهما تغيرير بالناس و تلاعب بالدين و خسران مبین ، و لقد أغضبت ربك أيها الخالف كذبا لترويج الصنعة أو البيع و الشراء ، وأما أنت أيها الغاش فقد تبرأ منك الحبيب المصطفى لأكلك أموال الناس بالباطل ، وإهمالك لدينه ، وخروجك على ملته ، برعت في ضروب النصب و الاحتيال و تفننت في أنواع الغش و الخداع لا تراعي مخلوقا ولا تحشى خالقا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، يدخل الإنسان على الصانع أو يقف المشتري أمام البائع فيسمع من الأيمان الكذابة ما يخدعه به و يوهمه أن هذا الشيء لا نظير له ، أجود صناعة أو بضاعة فلان و فلان ، وأرخص مما يباع في جميع الحوانيت و الله يعلم أنه لكاذب ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[المجادلة: ١٤-١٥]

ولقد صار الغش في كل شيء حتى اللين في الحيوان ولو أمكنهم أن يبيعوا التراب ذهباً لفعلوا بلا مبالاة ولا حياء ألا فليعلم الغاش أن كسبه سحت وحرام وأن كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به.^(١)

^(١) هداية المرشدين (ص ٤٩١-٤٩٢)

الصورة الثالثة – من اللامبالاة بكل الحرام (الرشوة) :

ومن صور اللامبالاة التي انتشرت و استشرى خطرها تلك الصورة التي نراها إذا وطأة قدميك أي مصلحة من المصالح أو أي جهة من جهات العمل، فإذا أردت أن تقضي دفعت تلك الرشوة المحرم ، وهم لا يسمونها رشوة ، ولكنهم يسمونها بغير اسمها تحايلا على شرع الله ، و تحليلا لما حرم الله تعالى من وسائل أكل أموال الناس بالباطل و قد ظهرت الرشوة في صورة متغايرة ، و إليك بعض صورها :

أولا المصانعة: وهي أن تصنع لغيرك شيئا ليصنع لك مقابلا له، ويكون الشيء في الحالتين متعلقا بإحقاق باطل أو إبطال حق، وهذه رشوة فيها إضاعة الحق وأكل أموال الناس بالباطل.

ثانيا: العمولة: و فريقا آخر لم يسميها رشوة و إنما ألبسها ثوب جديدا و سماها العمولة و هي التي تكون لمن يتولى عقد الصفقات و الاتفاقات على المشاريع، فإن تسبب في ضياع حق للمجتمع كان قدمت الأنواع الأقل جودة و الأكثر سعرا كانت في هذه الحالة لا تخرج عن كونها رشوة يجرمها الشرع و يجرمها القانون.

ثالثا – القهوة أو دخانه: فهو لا ينجز لك العمل و تقضى مصلحتك إلا إذا دفعت له قهوته أو دخانه، و من لم يدفع يتردد على المصلحة الأيام و الشهور ولا تقضى حاجته ، لأن المسكين يأبى أن يتعامل مع هؤلاء الأوغاد بما حرم الله تعالى فاذا وعظته قال لك بملاً فيه (أعلى ما في خيلك اركبه ، يا عم إحنا بنقبض قروش) و من هذا الباب استحل ما حرم الله تعالى ، فإلى هؤلاء و من سار على دربهم هذا البيان من القرآن و سنة النبي العدنان ﷺ

اعلم علمني الله وإياك: أن الإسلام قد حرم على أتباعه الرشوة بجميع صورها قال سبحانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]

يقول القرطبي - رحمه الله -: لا تصانعوا بأموالكم الحكام و ترشوهم ليقضوا لكم على أكثر منها.

ويقول القرضاوي - حفظه الله -: ومن أكل أموال الناس بالباطل الرشوة وهي ما يدفع من مال إلى ذي سلطان أو وظيفة عامة ليحكم لهم على خصمه بما يريد هو أو ينجز له أو يؤخر لغريمه عملاً، وهلم جرا.

ويقول أيضاً: وقد حرم الإسلام على المسلم أن يسلك طريق الرشوة للحكام وأعوانهم، كما حرم على هؤلاء أن يقبلوا إذا بذلت لهم، وحذر على غيرهم أن يتوسطوا بين الآخرين والدافعين إذرّيس، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ وَالرَّائِثَ، يَعْنِي الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا»^(١)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ :
«لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ»^(٢)

و الرشو من صفات المخالفين لأمر الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]

قال سعيد بن جبیر: السحت: الرشوة.

واعلم علمني الله وإياك: أن اللامبالاة بالرشوة لها أثر خطير على الأمة الإسلامية في دينها ودنياها منها:

أولاً: توسيد الأمر إلى غير أهله: فكم وكم رأينا أناسا يعملون في وظائف هم ليسوا لها أهلاً و ليس لديهم علم أو دراية و خبره بتلك الوظيفة، وما توصلوا إليها إلا عن طريق الرشوة، وإذا عملوا وضعوا في المكان غير المناسب لهم فكان من أثر ذلك ضياع الحقوق

^(١) أخرجه أحمد (٢٧٩/٥)، رقم (٢٢٤٥٢)، والطبراني (٩٣/٢)، رقم (١٤١٥)، قال الهيثمي (١٩٨/٤) : رواه أحمد، والبيهقي، والطبراني في الكبير، وفيه أبو الخطاب، وهو مجهول. والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٠/٤) (ضعيف) انظر حديث رقم: ٤٦٨٤ في ضعيف الجامع

^(٢) المستدرک ٤/ ١٠٢، ١٠٣، والمسند ٢/ ١٦٤ و ١٩٠ و ١٩٤ و ٣٨٧، و ٢٨٨ والسنن الكبرى ١١/ ٣٩٠ الترمذي رقم ١٣٣٦ و ١٣٣٧ والفاائق ٢/ ٦٠، وابن الجوزي ١/ ٣٩٥ والنهاية ٢/ ٢٢٦، وانظر أيضاً المقاصد الحسنة ٥٣٣، وكشف الخفاء ٢/ ١٤٢، وصحيح الجامع الصغير ٤٩٦٩

و تخلف الأمة عن ركب الحضارة العصرية، وهذا الأمور التي أخبر بها النبي ﷺ

قال: إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ^(١)

يقول ابن عثيمين -رحمه الله-: أيها المسلمون إن لعنة الله ورسوله لا تكون إلا على أمر عظيم ومنكر كبير وإن الرشوة لمن أكبر الفساد في الأرض، لأنها بها تغيير حكم الله وتضييع حقوق عباد الله وإثبات ما هو باطل ونفي ما هو حق. إن الرشوة فساد في المجتمع وتضييع للأمانة، وظلم للنفس يظلم الراشي نفسه ببذل المال لنيل الباطل ويظلم المرتشي نفسه بالمحاباة في أحكام الله يأكل كل منهما ما ليس من حقه ويكتسب حراما لا ينفعه بل يضره ويسحت ماله أو بركة ماله إن بقي المال.

إن الرشوة تكون في الحكم فيقضى من أجلها لمن لا يستحق، أو يمنع من يستحق أو يقدم من غيره أحق بالتقديم، وتكون الرشوة في تنفيذ الحكم فيتهاون من عليه تنفيذه بتنفيذه من أجل الرشوة، سواء كان ذلك بالتراخي في التنفيذ، أو بعمل ما يحول بين المحكوم عليه وألم العقوبة إن كان الحكم عقوبة.

إن الرشوة تكون في الوظائف والمسابقة فيها، فيقدم من أجلها من لا ينجح أو تعطى له أسئلة المسابقة قبل الامتحان فيولى الوظيفة من غيره أحق منه، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال «مَنْ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا عَلَى قَوْمٍ، وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ، وَخَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَخَانَ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ» (رواه الحاكم وصححه إسناده)^(٢). وإن الرشوة تكون في تنفيذ المشاريع ينزل مشروع عمل في المناقصة فيبذل أحد المتقدمين رشوة، فيرسو المشروع عليه مع أن غيره أنصح قصدا وأنقن عملا ولكن الرشوة عملت عملها. وإن الرشوة تكون في التحقيقات الجنائية أو الحوادث أو غيرها، فيتساهل المحققون في التحقيق من أجل الرشوة، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول (رواه أبو داود

^(١) أخرجه البخاري (٣٣/١) رقم ٥٩ أ

^(٢) رواه ابن عدي في "الكامل في الضعفاء" (٣٥٢ / ٢)، والعقيلي في "الضعفاء" (٢٤٧ / ١)، والحاكم في "المستدرک" (٧٠٢٣)، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٤٦٢)، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (ضعيف) انظر حديث رقم: ٥٤٠١ في ضعيف الجامع

ومن حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه) والغلول إثم عظيم، فقد «قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَشْهِدْ مَوْلَاكَ فُلَانًا. قَالَ: كُلَّا إِنِّي رَأَيْتُ عَلَيْهِ عِبَاءَةً غَلَّهَا»^(١)

و أغرب من ذلك أن تدخل الرشوة في التعليم و الثقافة فينجح من احجلها من لا يستحق النجاح أو تقدم له أسئلة الامتحان، أو يشار إلى أماكنها في المقررات أو يتساهل المراقب في مراقبته الطالب من أجلها ،فيتقدم هذا الطالب مع ضعف مستواه ، و يتأخر من هو احق منه لقوة مستواه العلمي .

ومن أثر الرشوة خيانة الأمانة، وخيانة الأمة، والله نهانا عن خيانة الأمانة فقال
ومن أثر الرشوة أيضا: الفساد الذي يحل بالأمة من أثر هؤلاء المرتشين الذين لم يراقبوا
الله تعالى في أعمالهم

وهيا - يا من لا تبالي بالرشوة لترى هاتين السورتين من الصحابة والتابعين وكيف أنهم
رفضوا الرشوة وحاربوها لعلك تقتدي بهم فتفوز برضا الله تعالى و محبته:

أولا عبد الله بن رواحة-رضي الله عنه-

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى خَيْبَرَ.
فَيَخْرُصُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَهُودِ خَيْبَرَ. قَالَ، فَجَمَعُوا لَهُ حُلِيًّا مِنْ حُلِيِّ نِسَائِهِمْ. فَقَالُوا: هَذَا لَكَ.
وَحَقَفَ عَنَّا. وَتَجَاوَزَ فِي الْقَسَمِ.

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَمِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ وَمَا ذَاكَ
بِحَامِلِي عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ. فَأَمَّا مَا عَرَضْتُمْ مِنَ الرُّشُوءِ فَإِنَّهَا سُحْتٌ. وَإِنَّا لَا نَأْكُلُهَا.
فَقَالُوا: بِهِذَا قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ^(٢)

ثانيا عمر بن عبد العزيز - رحمه الله:-

^(١) مسلم (١١٤) ، وقد سلف برقم (٢٠٣)

^(٢) «موطأ مالك - رواية يحيى» (٤/ ١٠١٦ ت الأعظمي) أخرجه أبو مصعب الزهري، ٢٣٩٨ في الشفعة؛ والشيباني، ٨٣٢ في الصرف وأبواب الربا؛ والشافعي، ٤٢٨

اهدي الى عمر بن عبد العزيز هدية وهو خليفة فردها ، فقبل له : كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ، فقال كان ذلك له هدية و لنا رشوة .

مسألة حكم دفع الرشوة لدفع الظلم؟

و هذه مسألة يسأل فيها كثير من الناس ممن ضاعت حقوقهم ولا يجدون إليها سبيلا إلا بالرشوة أو من وقع عليه ظلم ، ولا يستطيع دفعه إلا بالرشوة فهيا لنرى رأي العلماء في تلك المسألة :

يقول ابن تيمية - رحمه الله - ولهذا قال العلماء: يجوز رشوة العامل لدفع الظلم لا لمنع الحق وإرشاؤه حرام فيهما وكذلك الأسير والعبد المعتق. إذا أنكر سيده عتقه له أن يفندي نفسه بماله يبذله يجوز له بذله وإن لم يجز للمستولي عليه بغير حق أخذه. وكذلك المرأة المطلقة ثلاثا إذا جحد الزوج طلاقها فافتدت منه بطريق الخلع في الظاهر كان حراما عليه ما بذلته ويخلصها من رق استيلائه؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم {إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتلظاها نارا قالوا: يا رسول الله فلم تعطهم؟ قال: يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل} .

ومن ذلك قوله: {ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة} . فلو أعطى الرجل شاعرا أو غير شاعر؛ لئلا يكذب عليه بهجو أو غيره أو لئلا يقول في عرضه ما يحرم عليه قوله كان بذله لذلك جائزا وكان ما أخذه ذلك لئلا يظلمه حراما عليه؛ لأنه يجب عليه ترك ظلمه. والكذب عليه بالهجو من جنس تسمية العامة: (قطع مصانعه) وهو الذي يتعرض للناس وإن لم يعطوه اعتدى عليهم بأن يكون عوناً عليهم في الإثم والعدوان أو بأن يكذب عليهم وأمثال ذلك. فكل من أخذ المال لئلا يكذب على الناس أو لئلا يظلمهم كان ذلك خبيثا سحتا؛ لأن الظلم والكذب حرام عليه فعليه أن يتركه بلا عوض يأخذه من المظلوم فإذا لم يتركه إلا بالعوض كان سحتا.^(١)

وقال في (الفتاوى الكبرى) :

^(١) مجموع الفتاوى (٢٩ ص ٢٥٩)

عن رجل أهدى الأمير هدية لطلب حاجة؛ أو التقرب أو للاشتغال بالخدمة عنده أو ما أشبه ذلك: فهل يجوز أخذ هذه الهدية على هذه الصورة أم لا؟ وإن أخذ الهدية انبعثت النفس إلى قضاء الشغل وإن لم يأخذ لم تنبعث النفس في قضاء الشغل: فهل يجوز أخذها وقضاء شغله أو لا يأخذ ولا يقضي؟

ورجل مسموع القول عند مخدمه إذا أعطوه شيئاً للأكل أو هدية لغير قضاء حاجة: فهل يجوز أخذها؟ وإن ردها على المهدي انكسر خاطره: فهل يحل أخذ هذا أم لا؟

فأجاب:

الحمد لله، في سنن أبي داود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال {من شفع لأخيه شفاعاً فأهدى له هدية فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا} وسئل ابن مسعود عن السحت؟ فقال: هو أن تشفع لأخيك شفاعاً فيهدي لك هدية فتقبلها. فقال له: أرايت إن كانت هدية في باطل؟ فقال ذلك كفر ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ﴾

بِمَا أُنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة: ٤٤] ولهذا قال العلماء: إن من أهدى هدية لولي أمر ليفعل معه ما لا يجوز كان حراماً على المهدي والمهدي إليه. وهذه من الرشوة التي قال فيها النبي ﷺ {لعن الله الراشي والمرتشي} والرشوة تسمى (البرطيل). (والبرطيل) في اللغة: هو الحجر المستطيل فاه. فأما إذا أهدى له هدية ليكف ظلمه

عنه أو ليعطيه حقه الواجب: كانت هذه الهدية حراماً على الآخذ وجاز للدافع أن يدفعها إليه كما {كان النبي ﷺ يقول: إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارا قيل يا رسول الله فلم تعطيهم قال؟ يابون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل} ومثل ذلك إعطاء من أعتق وكتم عتقه أو أسر خبراً أو كان ظالماً للناس فأعطاء هؤلاء: جائز للمعطي حرام عليهم أخذه. وأما الهدية في الشفاعه: مثل أن يشفع لرجل عند ولي أمر ليرفع عنه مظلمة أو يوصل إليه حقه أو يوليه ولاية يستحقها أو يستخدمه في الجند المقاتلة - وهو مستحق لذلك - أو يعطيه من المال الموقوف على الفقراء أو الفقهاء أو القراء أو النساك أو غيرهم - وهو من أهل الاستحقاق. ونحو هذه الشفاعه التي فيها إعانة على فعل واجب أو ترك محرم: فهذه أيضاً لا يجوز فيها قبول الهدية ويجوز

للمهدي أن يبذل في ذلك ما يتوصل به إلى أخذ حقه أو دفع الظلم عنه. هذا هو المنقول عن السلف والأئمة الأكابر. وقد رخص بعض المتأخرين من الفقهاء في ذلك وجعل هذا من (باب الجعالة) وهذا مخالف للسنة وأقوال الصحابة والأئمة: فهو غلط؛ لأن مثل هذا العمل هو من المصالح العامة التي يكون القيام بها فرضاً؛ إما على الأعيان؛ وإما على الكفاية ومتى شرع أخذ الجعل على مثل هذا لزم أن يكون الولاية وإعطاء أموال الفيء والصدقات وغيرها لمن يبذل في ذلك ولزم أن يكون كف الظلم عمن يبذل في ذلك والذي لا يبذل لا يولى ولا يعطى ولا يكف عنه الظلم وإن كان أحق وأنفع للمسلمين من هذا. والمنفعة في هذا ليست لهذا الباذل حتى يؤخذ منه الجعل على الآبق والشارد. وإنما المنفعة لعموم الناس: أعني المسلمين؛ فإنه يجب أن يولى في كل مرتبة أصلح من يقدر عليها وأن يرزق من رزق المقاتلة والأئمة والمؤذنين وأهل العلم الذين هم أحق الناس وأنفعهم للمسلمين. وهذا واجب على الإمام وعلى الأمة أن يعاونوه على ذلك.^(١)

الصورة الرابعة - من صور اللامبالاة بأكل الحرام العمل في الوظائف المحرمة:

ومن صور اللامبالاة التي نراها أننا نجد البعض يعمل في الوظائف المحرم التي حرمها الله تعالى كالعمل في البنوك الربوية لان النبي ﷺ لعن كل من شارك في ذلك العمل الجريمة حتى ولو بشهادة فهو ملعون مطرود من رحمة الله، وكذلك العمل في المحلات التي تباع الخمر والدخان و لحم الخنزير فإنها محرمة و بعض الشباب يحتج بأنه لا يجد عملاً إلا في تلك الأماكن.

س: نحن هنا في هولندا شباب مسلم، متمسك والحمد لله بدينه، ولكن الأعمال المتوافرة هنا كلها في الخمر والمطاعم التي تقدم لحوم الخنزير، إلى جانب اللحوم الأخرى، هل يجوز العمل في غسل الأواني التي يعد فيها لحم الخنزير، كعمل لكسب الرزق؟ أفيدونا أفادكم الله، ووفقنا الله وإياكم جزاكم الله خيراً.

(١) - الفتاوى الكبرى ج ٤ ص ١٤٨-١٤٩

ج: لا يجوز لك أن تعمل في محلات تباع الخمر أو تقدمها للشاربين، ولا أن تعمل في المطاعم التي تقدم لحم الخنزير للأكلين، أو تبيعه على من يشتريه، ولو كان مع ذلك لحوم أو أطعمة أخرى، سواء كان عملك في ذلك بيعاً أو تقديماً لها، أم كان غسلها لأوانيها، لما في ذلك من التعاون على الإثم والعدوان، وقد نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] ولا ضرورة تضطرك إلى ذلك، فإن أرض الله واسعة، وبلاد المسلمين كثيرة، والأعمال المباحة فيها شرعا كثيرة أيضاً، فكن مع جماعة المسلمين في بلد ييسر فيها العمل الجائز، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} (٢) {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (٣) وقال سبحانه: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} (الطلاق ٢-٣) وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. ^(١)

الصورة الخامسة - القمار والميسر:

واعلم أن من صور المحرمة التي لا يبالي بها بعض الناس تلك الصورة التي تتلون كما تتلون الحرباء فهي تلبس لكل مجتمع لباساً ولقد حرمها الله تعالى في كتابه ألا وهي القمار والميسر قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]

ولقد كان أهل الجاهلية يتعاطون الميسر ومن أشهر صورهم كانوا يشتركون في بعير عشرة أشخاص بالتساوي ثم يضرب بالقدح ن وهو نوع من القرعة، فسبعة يأخذون بأنصبة متفاوتة في عرفهم ، وثلاثة لا يأخون شيئاً .

وأما في زماننا فان الميسر للميسر عدة صور منها:

^(١) فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (١٤/ ٤١٤) الفتوى رقم (٤٤٢٦)

ما يعرف باليانصيب، وله صور كثيرة أبسطها أرقام بمال يجري السحب عليه، فالفائز الأول يعطى جائزة، و الثاني و هكذا في جوائز متعددة مت قد تتفاوت فهذا حرام، ولو كان و يسمونه بزعمهم خيرا.

ومنها أن يشتري سلعة بداخلها شيء مجهول أو يعطى رقما عند شرائه للسلعة يجري عليه السحب لتحديد الفائز بالجوائز.

ومن صور الميسر في عصرنا عقود التأمين التجاري على الحياة والمركبات والبضائع وضد الحريق والتأمين الشامل وضد الغير إلى غير ذلك من الصور المختلفة حتى أن بعض المغنين يقومون بالتأمين على أصواتهم.

هذا وجميع صور المقامرة تدخل في الميسر وقد وجد في زماننا أندية خاصة بالقمار وفيها ما يعرف بالطاولات الخضراء الخاصة لمقارفة هذا الذنب العظيم.

وما شابهها وهو أيضا وهو أيضا نوع من أنواع الميسر، كما يوجد في بعض المحلات الألباب ومراكز الترفيه أنواع من الألباب المشتملة على فكرة الميسر، أما المسابقات و المغالبات فهي على ثلاثة أنواع:

أولاً: ما كان ذا مقصود شرعي فهذا مباح يجعل - أي جوائز - و بغير جعل كمسابقات الابل و الخيل و الرمي والتصويب، ويدخل فيه مسابقات العلم الشرعي، كحفظ القرآن على الراجح.

ثانياً: ما كان مباحا في نفسه كمباريات كر القدم وسباقات الجري الخالية من المحرمات، كإضاعة الصلوات وكشف العورات فهذه تجوز بلا جعل.

ثالثاً: ما كان محرما في نفسه أو يوصل إلى محرم كمسابقات الفساد المسماة بمسابقات الجمال أو مباريات الملاكمة المشتملة على ضرب الوجه، وهو حرام أو ما يقام من مباريات مناطق الأكباش و مناقرة الديوك ونحوها.^(١)

^(١) محرمات استهتان الناس بها (ص : ٤٨-٥٠)

ويقول القرضاوي : وما يسمى "باليانصيب" هو لون من ألوان القمار، ولا ينبغي التساهل فيه والترخيص به باسم "الجمعيات الخيرية" و"الأغراض الإنسانية".

إن الذين يستباحون اليانصيب لهذا، كالذين يجمعون التبرعات لمثل تلك الأغراض بالرقص الحرام، و"الفن" الحرام. ونقول لهؤلاء وهؤلاء: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً". والذين يلجئون إلى هذه الأساليب يفترضون في المجتمع أنه قد ماتت فيه نوازع الخير، وبواعث الرحمة، ومعاني البر، ولا سبيل إلى جمع المال إلا بالقمار أو اللهو المحظور، والإسلام لا يفترض هذا في مجتمعه، بل يؤمن بجانب الخير في الإنسان، فلا يتخذ إلا الوسيلة الطاهرة للغاية الشريفة، تلك الوسيلة هي الدعوة إلى البر واستشارة المعاني الإنسانية، ودواعي الإيمان بالله والآخرة.^(١)

الصورة السادسة – استيفاء العمل من الأجير وعدم إيفائه أجره:

ومن صور للمبالاة بأكل الحرام: أن بعض الناس يستوفون من الأجير، فإذا طالبه الأجير بحقه بخسه حقه، ولم يعطه له كلاماً ولقد رغب النبي ﷺ في سرعة إعطاء الأجير حقه فقال «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَحِفَّ عَرْقُهُ»^(٢) ومن أنواع الظلم الحاصل في مجتمعات المسلمين عدم إعطاء العمال والأجراء والموظفين حقوقهم ولهذا عدة صور منها:

- أن يجحده حقه بالكلية ولا يكون للأجير بينة فهذا وإن ضاع حقه في الدنيا فإنه لا يضيع عند الله يوم القيامة فإن الظالم يأتي وقد أكل مال المظلوم فيعطى المظلوم من حسنات الظالم فإن فنيت أخذت من سيئات المظلوم فطرح على الظالم ثم طرح في النار.
- أن يخسه فيه فلا يعطيه إياه كاملاً وينقص منه دون حق وقد قال الله تعالى: **(ويل للمطففين)** [المطففين ١] ومن أمثلة ذلك ما يفعله بعض أرباب العمل إذا استقدم عمالاً من بلدهم وكان قد عقد معهم عقداً على أجر معين فإذا ارتبطوا به وباشروا العمل

^(١) الحلال والحرام (ص: ٢٦٧)

^(٢) أخرجه ابن ماجه (٨١٧/٢)، رقم (٢٤٤٣) صحيح الجامع: ١٠٥٥، صحيح الترغيب والترهيب: ١٨٧٧

عمد إلى عقود العمل فغيرها بأجور أقل فيقيمون على كراهية وقد لا يستطيعون إثبات حقهم فيشكون أمرهم إلى الله، وإن كان رب العمل الظالم مسلماً والعامل كافراً كان ذلك البخس من الصد عن سبيل الله فيبوء بإثمه.

— أن يزيد عليه أعمالاً إضافية أو يطيل مدة الدوام ولا يعطيه إلا الأجرة الأساسية ويمنعه أجرة العمل الإضافي.

— أن يماطل فيه فلا يدفعه إليه إلا بعد جهد جهيد وملاحقة وشكاوى ومحاكم وقد يكون غرض رب العمل من التأخير إملال العامل حتى يترك حقه ويكف عن المطالبة أو يقصد الاستفادة من أموال العمال بتوظيفها وبعضهم يراعي فيها والعامل المسكين لا يجد قوت يومه ولا ما يرسله نفقة لأهله وأولاده المحتاجين الذين تغرب من أجلهم. فويل لهؤلاء الظلمة من عذاب يوم أليم روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حراً وأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره « (١)(٢)

الصورة السابعة - استيفاء الأجر وعدم إتقان العمل:

فهذه الصورة من صور اللامبالاة والتي أضحت ظاهرة في هذه الأيام فما تدخل هيئة من الهيئات إلا رأيت هذه الظاهرة، فهذا يتأخر عن موعد العمل، وهذا جاء بطعام و شراب و حول مقر عمله إلى مطعم، فإذا جاءه إنسان لقضاء مصلحة كشر في وجهه، و عبس و بسر، وقال (فوت بكرة يا سيد) وهذا يخرج ويترك عم مكتبه، إما للجلوس على المقاهي أو لشراء لوازم البيت، وآخر ما يفكر فيه هو عمره، وآخر يجلس لقرأ الأخبار محل الكلمات المتقاطعة، وآخر لا يأتي إلى علم عالاً يوم تقاضي الراتب، فإذا تأخر الصراف قامت الدنيا ولم تقعد، وهو الذي لا ما أتقن عمله، وما راقب ربه، فهذا قد خان الأمانة التي جعلت في عنقه فويل لهؤلاء من رب الأرض و السماء

(١) رواه البخاري (١٤٧٢)

(٢) محرمات استهتان الناس بها (ص ٥٦-٥٨)

يقول العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - وأما أداء الأمانة فيما بينكم وبين العباد فأن تقوموا بما أوجب الله عليكم من حقوقهم بحسب ما يقتضيه العمل الذي التزم به الإنسان نحو غيره من الناس. فولاة الأمور صغارا كانوا أو كبارا رؤساء أو مديرين أمانتهم أن يقوموا بالعدل فيما ولوا عليه، وأن يسيروا في ولايتهم حسبما تقتضيه المصلحة في الدين والدنيا وأن لا يجابوا في ذلك قريبا ولا صديقا ولا قويا ولا غنيا ولا شريفا، فلقد أقسم رسول الله ﷺ وهو الصادق بدون قسم لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع يدها. أقسم على ذلك علنا وهو يخاطب الناس، حينما شفع إليه في رفع الحد عن المرأة التي من بني مخزوم، أقسم على ذلك تشريعا للأمة وتبيانا للمنهج السليم الذي يجب أن يسير عليه ولاة الأمور. وعلى ولاة الأمور أن يولوا الأعمال من هو أحق بها وأجدر وأقوم وأنفع. إن من خيانة الأمة وخيانة العمل أن يولى على المسلمين أحد وفيهم من هو خير منه في ذلك العمل.

والموظفون أمانتهم في وظائفهم أن يقوموا بها على الوجه المطلوب، وأن لا يتأخروا في أعمالهم أو يتشاغلوا بغيرها إذا حضروا مكان العمل وأن لا يتعدوا في أمر لا يعينهم فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. إن بعض الموظفين يخدعون أنفسهم حينما يحدثونها إذا تأخروا عن واجبهم بأن هذه الأنظمة ليست أمورا دينية أو أن الأجرة أو الراتب الذي يأخذه من بيت المال ونحو ذلك، وهذه خدعة يغترون بها. أما النظام فما دام ولاة الأمور قد نظموا وهو لا يخالف الشريعة فإن الواجب طاعتهم فيه، وطاعتهم فيه من طاعة الله قال الله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }** [النساء: ٥٩] وأما الراتب الذي تأخذه من بيت المال فإنما تستحقه في مقابلة عمل، فإن قمت بالعمل كان الراتب حلالا لك وإلا فما الذي يحلله لك ويحرمه على غيرك. ^(١)

الصورة الثامنة - سؤال الناس من غير حاجة:

^(١) الضياء اللامع (ج ١ ص ٦٠٦)

و من صور اللامبالاة التي شاعت احترام المسألة و سؤال الناس الحافا و تكثرا ،
فتراهم على الأرصفة و على أبواب المسجد و في السيارات و في مواسم الحصاد و
تراهم وقد ازدحمت بهم الحقول فإلى هؤلاء الذين لا يبالون بما جمعوا من أموال ، غنما
هي حرام و سحت عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :
« لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ
(١)»

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ مِنْ غَيْرِ فَاقَةٍ نَزَلَتْ بِهِ،
أَوْ عِيَالٍ لَا يَطِيقُهُمْ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِوَجْهِ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ» (٢)
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا،
فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ، أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ » (٣)

الباب السابع^(٤)

اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) البخاري (١٤٧٥)، ومسلم (١٠٤٠)

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٧٤/٣)، رقم ٣٥٢٦ صحيح الترغيب والترهيب: ٣٣٧٢

(٣) مسلم (١٠٤١) باب كراهة المسألة للناس، واللفظ له، ابن ماجه (١٨٣٨)

(٤) لقد أسهبت في هذا الباب لأن عليه مدار صلاح الدين و الدنيا، ومتى قامت الأمة به، تلاشت مظاهر اللامبالاة من المجتمع لذا ذكرته بالتفصيل و
الله المستعان

الفصل الأول - اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثاني: خطورة اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثالث - ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الرابع - بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الخامس - صور مشرقة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل السادس - كيفية إنكار المنكر.

الفصل السابع - أسئلة وأجوبة حول الموضوع؟

قال حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - سيأتي على الناس زمان تكون مجالسة
الناس كجيف الحمار و تكون جيفة الحمار أحب إليهم من مجالسة المؤمن
الذي يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر

الفصل الأول

اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن اللامبالاة التي أصابت نفوس كثير من الناس بالبلادة وتبلدا لإحساس حتى
أضحت أمرا عاديا قضية اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فهذا يشرب الخمر و لا يجد من ينكر عليه ، و ذلك يتعامل بالربا و لا يجد من يقول له : اتق الله ، و هذه متبرجة سافرة قد ضلت وأضلت ومالت و لا تجد من يقول لها : اتق الله ، و هذا يشرب الدخان و المخدرات و لا يجد من ينبذ و يهجره حتى يرجع عن غيه وضلاله و حدث عما يحدث في الأفراح من منكرات و محرمات و لا تسمع أحدا يقول : هذا مخالف لأمر الله ولأمر رسوله ﷺ ، فالأفراح صارة ت مستنقعا للرزيلة و الفجور بدعوى الفرح و السرور ، فيها من غناء ، و تبرج ، و شرب للدخان ، و إسراف و تبذير ، و اختلاط بين الرجال و النساء وهلم جرا ، ومآثمنا أصابها ما أصاب الأفراح من ابتداع في الدين و اجتماعا غير مشروع و إضاعة للصلوات

و مع هذا البلاء لا نسمع من يقول لهم: اتقوا الله، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم، وإذا امر أمر أو نهى ناه سمعت الضجر و الغضب، و كانه اقترب إثما عظيما، و صدق حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-سيأتي على الناس زمان تكون مجالسة الناس كجيف الحمار و تكون جيفة الحمار أحب إليهم من مجالسة المؤمن الذي يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر.

يقول العلامة ابن عثيمين-رحمه الله-لقد مرضت القلوب وكاد المرض يقضي على بعضها بالموت حتى نزع الغيرة الدينية من كثير منها، فأصبحت لا ترى المعروف معروفا ولا المنكر منكرا، أصبح الإنسان من هؤلاء لا يتمعر وجهه ولا يتغير من انتهاك حرمت الله وكأنه إذا حدث عن انتهاكها يحدث عن أمر عادي لا يؤبه له، وهذا والله هو الداء العضال الذي هو أعظم من فقد النفوس والأولاد والأموال.^(١)

ويقول أيضا وهو يصف تلك اللامبالاة التي انتشر خطرها واستفحل أمرها: عباد الله لقد انتشرت المعاصي في مجتمع الأمة الإسلامية وأصبح ما كان منكرا بالأمس معروفا اليوم، أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات تعاملوا بالربا ومنعوا الزكاة ابتعدوا عن الحياء انتهكوا الحرمت صاروا كالبهائم يطلبون متع الدنيا وإن أضاعوا الدين صدوا عن سبيل الله واتبعوا سبل الكافرين زين لهم سوء أعمالهم فظنوا ذلك تحررا وتقدما

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٢٦٥)

وتطورا وما علموا أن ذلك هو الرق تحت قيود الهوى والتأخر عن الفضائل إلى الورى والتدهور إلى الهاوية والردى.

أيها المسلمون المؤمنون بمحمد - صلى الله عليه وسلم - إن أسباب هذا التدهور ترجع إلى أمرين:

أحدهما: ضعف الدين في النفوس وقوة الداعي إلى الباطل

والثانية: ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمداهنة في دين الله عز وجل وأن حماية الدين لا تكون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بما أمر الله به رسوله والنهي عما نهى الله عنه ورسوله بقصد النصيحة لله ولعباد الله.

أيها المسلمون، إن من المؤسف المروع أن نرى مجتمعنا الإسلامي أمة محمد هكذا شعبا متفككا، لا يغارون لدين ولا يخافون من وبال، لا يتفقد الرجل أهله وولده ولا ينظر في جيرانه، بل تراه يرى المعاصي فيهم لا ينهاهم عنها ويرى التقصير في الواجب فلا يتداركه وهذا أيها المسلمون ينذر بالخطر لا سيما مع كثرة النعم والانغماس في الترف يقول الله سبحانه وتعالى: **{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا}** [الإسراء: ١٦]

{فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: ٤٤]^(١)

الفصل الثاني

خطورة اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في هذا الفصل نوضح لكل مسلم و مسلمة يرجو النجاة لنفسه و أهله وأمتة خطورة اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علّ و عسى أن يكون ذلك سبب من أسباب عودة الأمة إلى قطب الدين الإسلام الأعظم و التواصي بالحق و التواصي

^(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٥٩٦-٥٩٧)

بالصبر، ونجاة الأمة من تيه الغفلة و نجاة سفينة الإسلام من خطر هؤلاء البطالين الذين ما فتئوا يخرقون تلك السفينة

وإليك -أخي المسلم أختي المسلمة - آثار اللامبالاة بتلك الفريضة:

١- كثرة الخبث:

إن المنكر إذا أعلن في مجتمع ولم يجد من يقف في وجهه؛ فإن سوقه تقوم وعوده يشتد وسلطته تظهر ورواقه يمتد ويصبح دليلاً على تمكن أهل المنكر وقوتهم، وذريعة لاقتداء الناس بهم وتقليدهم إياهم وما أحرص أهل المنكر على ذلك ولهذا توعدهم الله جل وعلا فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]

فإذا قلد بعض الناس أهل المنكر والزيف في منكرهم؛ أخذ الباطل في الظهور، وهان خطبه شيئاً فشيئاً في النفوس، وسكت الناس عنه وشغلوا بما هو أعظم منه، وما تزال المنكرات تفسو، حتى يكثر الخبث، ويصير أمراً عادياً مستساغاً، تألفه النفوس، وتتربى عليه.

وينحسر -بالمقابل -المعروف والخير ويصبح هو المستغرب ، ولذلك قال الخليفة الملهم عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - في كتاب إلى أمير المدينة الذي يأمره فيه بأن يأمر العلماء بالجلوس لإفشاء العلم في المساجد: ((وليفشوا العلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً)).

إنها لعقوبة كبيرة أن يهيمن المنكر، ويصبح المعروف غريباً لكن .. هل يقف الأمر عند هذا الحد؟ إليك الإجابة:

٢ - إن كثرة الخبث تؤذن بالعذاب الإلهي العام والهلاك الشامل كما دل على ذلك حديث زينب المذكور آنفاً، الذي نقل عن جماعة من الصحابة، مما يدل على اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر.

ولقد بوب الإمام مالك في الموطأ على هذا الحديث باباً سماه: (باب ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة) وساق تحت هذا الباب أثراً عن عمر بن عبدالعزيز، وهو قوله رحمه الله: كان يقال إن الله -تبارك وتعالى - لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهاراً استحقوا العقوبة كلهم (١).

وهذا الأثر يدعم ما سبق ذكره من خطورة الإعلان بالمعصية ومن وجوب التفريق بين المنكر المختفي والمنكر الظاهر.

وقد قص الله - عز وجل - علينا خبر بني إسرائيل حين نهاهم أن يعدوا في السبت ولنا في تلك القصة عبرة ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٦].

إذن فقد أنجى الله تعالى الذين ينهون عن السوء فقط، وأما البقية فقد عذبهم كلهم. هذه سنته - سبحانه - في كل أمة يحق عليها العذاب.

وفاسدها؛ لأن الفئة الصالحة سكنت عن إنكار الخبث، وعطلت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستحقت أن تشملها العقوبة.

وروى أبو داود والترمذي عن أبي بكر -رضي الله عنه - أنه قال: ((أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية)): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه؛ أوشك أن يعمهم بعقاب منه))^(١) وقد روي هذا الحديث

مرفوعاً كما روي موقوفاً، والراجح أنه موقوف على أبي بكر، لكن له حكم المرفوع، لأنه مما لا يقال بالرأي. والظالم هنا هو المرتكب لأي نوع من أنواع الظلم الكثيرة، فالمشرك ظالم ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

^(١) أخرجه عبد بن حميد (١) ، والترمذي (٢١٦٨) و (٣٠٥٧) ، والروزي (٨٧)

﴿ لقمان: ١٣ ﴾ والعاصي أياً كانت معصيته ظالم لنفسه ولغيره، سواء كان سارقاً أو غاشياً أو منتهكاً عرضاً أو غير ذلك.

عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُوهُ وَلَا يُسْتَجِيبُ لَكُمْ».^(١)

يهز القلوب الحية ويدفع أصحابها إلى أن يكونوا من أولي البقية الذين ينهون عن الفساد في الأرض لتكون سفينة المجتمع محمية من الغرق الذي يهددها عندما يترك السفهاء يخرقون فيها.

عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْمُدَّهِنِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلُهَا، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَصْعَدُونَ، فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ، فَيَصُبُّونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا: لَا نَدْعُكُمْ تَصْعَدُونَ، فَتَوَدُّونَنَا، فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا: فَإِنَّا نَنْقُبُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا، فَنَسْتَقِي " قَالَ: " فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَمَنَعُوهُمْ، نَجَوْا جَمِيعًا، وَإِنْ تَرَكُوهُمْ غَرِقُوا جَمِيعًا " ^(٢).

فالمجتمع تماماً كأصحاب السفينة هؤلاء، فإن الذين في أعلى السفينة إن تركوا الذين في أسفلها ليخرقوا في نصيبهم خرقاً وقالوا: هذه حرية شخصية لهم، فليفعلوا ما شاءوا فإن النتيجة غرق السفينة وهلاك الجميع ، وإن أخذ الذين في الأعلى على أيدي الذين في الأسفل وقالوا لهم: ليس الإضرار بالملك العام من الحرية الشخصية فالنتيجة نجاة الجميع ، وهكذا حال ... المجتمع فإن أهل الفساد الواقعين في حدود الله يخرقون بمعاول انحرافهم في سفينة المجتمع، فإن

^(١) وأخرجه الترمذي (٢١٦٩) ، والبيهقي في "الشعب" (٧٥٥٨) ، والمزي في "تهذيب الكمال" ٢٣٤/١٥

^(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٦) ، والبيهقي في "السنن" ٩١/١٠ ، وفي "الشعب" (٧٥٧٦) ، والبيهقي في "شرح السنة" (٤١٥١)

أخذ المصلحون على أيديهم ومنعوه من الإضرار بالمجتمع، نجا الجميع وإن تركوهم في غيهم وتخاذلوا عن الإنكار عليهم؛ هلكوا قاطبةً.

وقبل أن أترك الحديث عن هذه العقوبة أود أن أنبه إلى أمر لا يكاد ينقضي العجب منه، وهو أن بعض الناس يستغربون مثل هذا الكلام يستغربون من قول الناصحين: إن المصلحين حماة سفينة المجتمع من الغرق بل قد يستغربون من قول الناصحين: إن ما أصابنا وأصاب غيرنا من الأحداث الأخيرة المؤلمة إنما بسبب الذنوب والمعاصي يستغربون ذلك، ويعزو بعضهم ما حدث إلى الأسباب المادية ويقولون: كيف تكون المعاصي هي سبب ما حدث؟، والكفار - مع كفرهم - يعيشون في نعيم وسعة عيش، وتمكين في الأرض؟ !

هكذا يقولون ويظنون متناسين أو جاهلين سنن الله الثابتة، والنصوص الصريحة الواضحة، والوقائع التاريخية السالفة والخالفة.

وهذا منطق الذين لا تتعدى نظرتهم الحياة الدنيا، ومنطق السطحين الذين ينظرون إلى رقعة محدودة من المكان، في حيز محدود من الزمان، ومنطق الماديين الذين يتنكرون لוחي الله عز وجل ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِدُوْبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦-١٠٠]

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦-١٧]

{وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} (٣٣) وَلِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ. { (١)

هكذا يتبين لكل ذي عينين أن الذنوب و المعاصي و اللامبالاة بها من أخطر الأمور التي تهلك الأمم و الشعوب، إن كان بعض يظهر عليهم السعادة و النعمة في الظاهر، إلا أن هذا من حكمة الله تعالى، حيث أنه يستدرجهم وصدق الله تعالى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]

يقول أبو حامد الغزالي -رحمه الله- فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد وقد كان الذي خفنا أن يكون فإننا لله وإنا إليه راجعون إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه فاستولت على القلوب مدهانة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمرًا في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب. (٢)

ثالثاً: عدم إجابة الدعاء: يا الله .. أو حقاً يدعو الناس فلا يستجيب الله لهم؟! الله الذي يقول ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الله الذي يقول ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] هل يمكن أن يحدث ذلك؟!

(١) حتى لا تفرق السفينة (ص ٣٧/٣٢)

(٢) إحياء علوم الدين (٢ / ٣٠٦)

صدق الله وصدق رسوله، وما يمكن أن يكون ذلك إلا حقاً وإنه لحق ترتجف له النفس فرقاً ويقشعر الوجدان رعباً وماذا يبقى للناس إذن؟ ماذا يبقى لهم إذا أوصدت من دونهم رحمة الله؟ ولمن يلجؤون في هذا الكون العريض كله وقد أوصد الباب الأكبر الذي توصل بعده جميع الأبواب .. ويبقى الإنسان في العراء، العراء الكامل الذي لا يستتره شيء، ولا يحميه شيء من لفحة الهاجرة وقسوة الزمهرير.

ألا إنه للهول البشع الذي يتحامى الخيال ذاته أن يتخيله ..

لأنه أفضع من أن يطيقه الخيال.

فهل كتب الله ذلك الهول البشع على عباده -المسلمين- الذين يدعونه ويسألونه ويستنصرونه؟.

نعم حين يكفون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو بأضعف الإيمان^(١).

أجل لقد أوصدت الأبواب فيها هي الأمة تدعو ولا يستجاب لها، فيها هم يذبحون في فلسطين الجريحة، ويشردون في العراق العريقة، والمسلمون يجأرون في مساجدهم ليل نهار، وما يزداد العدو إلا قسوة وظلماً، أتدري لماذا يا عبد الله؟

لأن هؤلاء الذين يجأرون لم يبالوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما زال الولاء والبراء لغير الله ورسوله ﷺ، وما زال التبرج والسفور منتشرًا، وما زالت الرذيلة لها في بيوتنا مكانًا وسوقًا قائمة ولم تجد من يقول لها ولأتباعها: اتقوا الله ولا تحرقوا سفينة الأمة !!!

فأنت يا من لا تبالي بتلك القضية سبب من أسباب تسلط الأعداء على الأمة، وسبب من أسباب تأخر النصر، فهل بعد ذلك العقاب عقاب؟

رابعاً: أن الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر شريك له في إثمه ، وشريك له في الجزاء و في العقاب يوم القيام .

^(١) حتى لا تفرق السفينة (ص: ٢٢) قبسات من الرسول، محمد قطب، ص ٥٣ - ٥٤، ط الثانية ١٩٦٢ م.

قال رسول الله ﷺ «إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكْرَهَا وَقَالَ مَرَّةً: أَتُكْرَهَا كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا.»^(١)

خامسا: أنه سبب من أسباب اللعنة و الطرد من رحمة الله تعالى ، ولقد لعن الله كفار بني إسرائيل و لعنهم أنبياءهم لتركهم هذه الفريضة فقال سبحانه : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]

يقول القرطبي رحمه الله-: «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (٦/ ٢٥٣):

«ذم لتركهم النهي، وكذا من بعدهم يذم من فعل فعلهم. خرج أبو داود عن عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنْ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: " يَا هَذَا، اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ "، " ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِييَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ "، ثُمَّ قَالَ " {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: ٧٩] "، ثُمَّ قَالَ: " كَلَّا وَاللَّهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا "»^(٢)

الثانية: قال ابن عطية: والإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه ويهجر ذا المنكر ولا يخالطه. وقال حذاق أهل العلم: وليس من شرط الناهي أن يكون سليما عن معصية بل ينهى العصاة بعضهم بعضا. وقال بعض الأصوليين: فرض على الذين يتعاطون الكئوس أن ينهى بعضهم بعضا.

^(١) أبو داود (٤٣٤٥) باب في الأمر والنهي، تعليق الألباني "حسن"

^(٢) أخرجه أبو داود (١٢١/٤)، رقم (٤٣٣٦)، والبيهقي (٩٣/١٠)، رقم (١٩٩٨٣) وقال الألباني في ضعيف أبي داود (٩٣٢): ضعيف

واستدلوا بهذه الآية، قالوا: {لَأَنْ قَوْلَهُ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} يقتضي اشتراكهم في الفعل ودمهم على ترك التناهي. وفي الآية دليل على النهي عن مجالسة المجرمين وأمر بتركهم وهجرانهم. وأكد ذلك بقوله في الإنكار على اليهود ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ٨٠] ^(١)

الفصل الثالث

ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

^(١) تفسير القرطبي (٦/ ٢٥٤)

هيا لنعيش مع أئمة الإسلام وهم يوضحون لنا ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه أمر لا بد للأمة منه بل لا حياة لها، ولا بقاء لعزتها إلا إذا اعتصمت بهذه الفريضة و أحيتها فيما بينها.

يقول ابن تيمية - رحمه الله - :- في بيان الحاجة إلى القيام بهذه الفريضة - :

وكل بشر على وجه الأرض فلا بد له من أمر ونهي، ولا بد أن يأمر وينهى، حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها، إما بمعروف وإما بمنكر، كما قال تعالى: **{إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}** [يوسف: ٥٣] (سورة يوسف: من الآية ٥٣) . فإن الأمر هو طلب الفعل وإرادته، والنهي طلب الترك وإرادته، ولا بد لكل حي من إرادة وطلب في نفسه يقتضي بهما فعل نفسه، ويقتضي بهما فعل غيره إذا أمكن ذلك، فإن الإنسان حي يتحرك بإرادته، وبنو آدم لا يعيشون إلا باجتماع بعضهم مع بعض، وإذا اجتمع اثنان فصاعدا فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بأمر وتناه عن أمر، ولهذا كان أقل الجماعة في الصلاة اثنين، كما قيل: الاثنان فما فوقهما جماعة، لكن لما كان ذلك اشتراكا في مجرد الصلاة حصل باثنين أحدهما إمام والآخر مأموم، كما قال النبي ﷺ ، لملك بن الحويرث وصاحبه: «إذا حضرت الصلاة فأذنا وأقيما، وليؤمكما أكبركما» وكانا متقاربين في القراءة.

وأما الأمور العادية ففي السنن أنه ﷺ ، قال: «لا يحل لثلاثة يكونون في سفر إلا أمروا عليهم أحدهم»

وإذا كان الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، ويؤمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله، وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله، وإلا فلا بد أن يأمر وينهى، ويؤمر وينهى، إما بما يضاد ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزل الله بالباطل الذي لم ينزله الله. ^(١)

^(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (ص: ٥١)

ولزيادة توضيح ما ذكره ابن تيمية نذكر الأخ القارئ بما تقدم من وجود أعداء كثيرين لابن آدم من الشياطين و الكفار و المنافقين ، و إن هؤلاء الأعداء أعوانا في الإنسان نفسه من الأهواء و الشهوات ، و لتعلم أن هؤلاء الأعداء لا يفترون عن محبة المؤمن و محاولة إخراجهم عن طاعة ربه ، وأهل الإيمان في مواجهة هؤلاء الأعداء أصناف :

* فمنهم من يستجيب لهم في الكفر و الارتداد عن طريق الإيمان بالكلية -و العياذ بالله - تعالى-

* ومنهم من يستجيب لهم في معصية الله في بعض الأمور، وان لم يستجب لهم في الخروج عن دين الله - عز وجل وهؤلاء هم أهل المعاصي و المنكرات.

* ومنهم من لا يستجيب للأعداء في الكفر ،ولا في المعصية وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون ، و اذا كان أعداء المؤمنين دائبين في حربه و صده عن سبيل الله ، فإن أعظم الخطر أن لا يجد هؤلاء الأعداء من يقف أمامهم من المؤمنين الصادقين ، لأن حصيلة هذا الوضع ستكون نقصانا مستمرا في جانب أهل الإيمان ، و زيادة مستمرة في جانب أهل المعاصي ، حتى يصبح الصادقون من المؤمنين أنفسهم على خطر عظيم ، غير أن واجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و الوقوف أما المستجيبين للشياطين من الظالمين و الفاسقين ، وإعادتهم إلى حظيرة الطاعة لله بوسائل اللين و الشدة .

كل ذلك يوقف المد الشيطاني، و يقلل من معصية الله ت و أهلها في مجتمع الإيمان، وينجي هذا المجتمع من غضب الله و الفتن العامة الطامة ، التي لا ينجو منها إلا الذين ينهون عن السوء ، و يأمرن بالمعروف و ينهون عن المنكر ، و لذلك قال الله - سبحانه

و تعالى : ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥] و في المقابل يقول الله -عز وجل - ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]

فمن لا ينهى عن السوء لا ينجيه مجرد إيمانه و قيامه ببعض الطاعات عند حلول الفتن و المصائب، و الذي ينجيه هو أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر، بعد إيمانه و طاعته لربه.

وقد ذكر الإمام احمد أثرا فيه أن الله - سبحانه و تعالى - أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا و كذا، فقال يا رب و كيف وفيهم فلان العابد؟ فقال: به فابدأ فانه لم يتمعر وجهه في يوم قط !!!

وذكر أبو عمرو في كتاب التمهيد: أوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء، أن قل لفلان العابد: أما زهدك في الدنيا، فتعجلت راحة نفسك، وأما انقطاعك إلي، فتعززت بي، فماذا عملت فيما لي عليك؟ قال: يا رب، وماذا لك علي؟ قال: هل واليت لي وليا، أو عاديت لي عدوا؟^(١)

يقول ابن القيم - رحمه الله - في بيان خطر من يعطل فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من أجل التفرغ لأنواع العبادات من الذكر و القراءة و الصيام : وقد غرَّ إبليس أكثر الخلق بأنَّ حسنَّ لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع، وعطلوا هذه العبوديات، فلم يحدثوا قلوبهم بالقيام بها، وهؤلاء عند ورثة الأنبياء من أقل الناس دينًا؛ فإن الدين هو القيام بما أمر الله به ، فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالًا عند الله ورسوله من مرتكب المعاصي؛ ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم - وبما كان هو عليه وأصحابه رأى أن أكثر من يُشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا، والله المستعان.

وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تُنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة [رسول الله ﷺ] يُرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذي إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزن المتلمظ ، ولو

(١) التمهيد - ابن عبد البر (١١ / ٢٦٧ ت بشأن)

نُوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جأه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه .

وهؤلاء - مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم - قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل^(١)

فهذا النوع من الجهاد تقوية لجهة أهل الإيمان الداخلية و التنقية لها من كل فاسد مفسد و تضيق على أهل النفاق و قصم لظهورهم .

قال أبو بكر الخلال عن سفيان، يقول: «إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق، وإذا نهيت عن المنكر راغمت أنف المنافق .

أما العزوف عن هذا الجهاد فيكون فيه تقوية للمنافقين و إعلاء لشأنهم ، وإمداداً لشركهم ، وفسادهم

قال أبو بكر الخلال عن الإمام أحمد بن حنبل انه قال : يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع، فقلت: يا أبا عبد الله، وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟

فقال: يا أبا حفص، صيروا أمر الله فضولاً. وقال: المؤمن إذا رأى أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهي، يعني قالوا: هذا فضول، قال: والمنافق كل شيء يراه، قال: بيده على فمه، فقالوا: نعم الرجل، ليس بينه وبين الفضول عمل»^(٢)

و عندما يغدر حال المجتمع الإسلامي ، كما وصفه ابن حنبل - رحمه الله - تتبدل القيم و تنتكس النظرة الإسلامية إلى الأمور ، فيصير الأمر بالمعروف فضولاً ، و المنافق مهذباً و مؤدباً ، فيؤول الأمر إلى انتشار المعاصي ، كما قال بعض العلماء (المعصية بريد الكفر) فإذا كثرت و لم يجد العصاة من يجد من فسوقهم عن أمر الله - عز وجل - كثر بالتالي

^(١) أعلام الموقعين (ج ٢ ص ١٧٧)

^(٢) - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من «الجامع» للخلال (ص٣٦)

المرتدون عن دين الله و الداخلون في ولاية الشيطان و الكفار ، إلى أن ترجع الحال إلى ما كانت عليه في الجاهلية الأولى ، فيعطل شرع الله ، و يتخذ ظهريا ، و يهجر كتاب الله و سنة رسوله ﷺ ، و تتحكم الأهواء في العباد و يكون ذلك كله ثمرة التقاعس عن فريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر .

يقول الإمام النووي - رحمه الله - في بيان قدر هذه الفريضة و خطورة هذا النوع من الجهاد و وجوبه على المؤمنين : و اعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة و لم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدا و هو باب عظيم به قوام الأمر و ملاكه و اذا كثر الخبث عم العقاب الصالح و الطالح و إذا لم يأخذوا على يد الظالم أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم فينبغي لطالب الآخرة و الساعي في تحصيل رضا الله عز و جل أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لا سيما و قد ذهب معظمه و يخلص نيته و لا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فإن الله تعالى قال و لينصرن الله من ينصره و قال تعالى و من يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم و قال تعالى و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و قال تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين و اعلم أن الأجر على قدر النصب و لا يتاركة أيضا لصداقته و مودته و مداهنته و طلب الوجاهة عنده و دوام المنزلة لديه فإن صداقته و مودته توجب له حرمة و حقا و من حقه أن ينصحه و يهديه إلى مصالح آخرته و ينقذه من مضارها و صديق الإنسان و محبه هو من سعى في عمارة آخرته و إن أدى ذلك إلى نقص في دنياه و عدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته و إن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه و إنما كان إبليس عدوا لنا لهذا و كانت الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم و هدايتهم إليها .^(١)

^(١) شرح النووي على صحيح مسلم (ج ٢ ص ٢٤)

ويقول ابن العربي المالكي - رحمه الله - الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر اصل في الدين ، و عمدة من عمد المسلمين ، و خلافة رب العالمين ، و المقصود الأكبر من بعث النبيين ، و هو فرض على جميع الناس مثنى و فرادى بشرط القدرة عليه ^(١)

و يقول ابن تيمية - رحمه الله - و يجب على أولى الأمر و هم علماء كل طائفة و امرؤها و مشايخها أن يقوموا على عامتهم و يأمرهم بالمعروف و ينهوهم عن المنكر فيأمرونهم بما أمر الله به و رُسُوله مثل شرائع الإسلام و هي الصَّلَوات الخمس في مواقيتها و كذلك الصَّدَقَات المَشْرُوعَة و الصَّوْم المَشْرُوع و حج البَيْت الحَرَام و مثل الإيمان بالله و ملائِكَته و كتبه و رُسُله و اليوم الآخر و الإيمان بالقدر خيره و شره و مثل الإحسان و هو أن تبعد الله كأنك تراهُ فإن لم تكن تراهُ فانه يراك

و مثل ما أمر الله به و رُسُوله من الأمور الباطنة و الظاهرة و مثل إخلاص الدين لله و التوكل على الله و ان يكون الله و رُسُوله أحب إليه ممَّا سواهُما و الرجاء لرحمة الله و الخشية من عَذابه و الصَّبْر لحكم الله و التسليم لأمر الله و مثل صدق الحديث و الوفاء بالعهود و أداء الأمانات إلى أهلها و بر الوالدين و صلة الأرحام..... ^(٢)

^(١) الاستقامة (٢١٠)

^(٢)

الفصل الرابع

فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعلم علمني الله وإياك - أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو الفريضة التي فضل الله بها الأمة على سائر الأمم، وجعلها خير أمة أخرجت للناس يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

فبين الله - سبحانه وتعالى - أن هذه الأمة خير الأمم للناس فهم أنفعهم وأعظمهم إحسانا إليهم، لان كل أمورهم خير ونفع للناس، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأقاموا ذلك الجهاد في سبيل الله بأنفسهم، وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق، كما أن الأمر بالمعروف هو من صفات المؤمنين يقول - عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]

وأمر الله تعالى المسلمين بأن تكون منهم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقال تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

قال الضحاك: هم خاصة الصحابة كما تشمل المجاهدين والعلماء

وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ثم قال (الخير القران سنتي)

والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من هذه الأم متوجهة لهذا الشأن، وأن يكون واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدريّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ يَدِهِ. فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ

فبلسانه. ومن لم يَسْتَطِعْ فَيَقْلِبْهِ. وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ^(١)، وفي رواية (وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ)

عَنْ حُدَيْفَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُوهُ وَلَا يُسْتَجِيبُ لَكُمْ»^(٢)

ولقد كان رسول الله ﷺ قدوة حسنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول تعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

بالرسول ﷺ أكمل الله الدين المتضمن للأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر، وإحلال كل طيب، وتحريم كل خبيث، و تحريم الخبائث يندرج في معنى النهي عن المنكر: كما أن إحلال الطيبات يندرج في الأمر بالمعروف.

و قد تأسى الصحابة بالرسول ﷺ ، واقتدوا به ، فامروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ، و تناصحوا فيما بينهم ووفوا بما بايعوا عليه رسول الله ﷺ ، تلك البيعة التي حدثت عبادة بن الصامت، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعَنَا، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ. وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»^(٣)

وإذا كان المجتمع الإسلامي قد قام و من قواعده الهامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه ينبغي التنبيه إلى أنه كان مجتمعا نقياً سليم الفطرة و لذلك كان ما تراه عقول

^(١) "صحيح مسلم" (٤٩)

^(٢) أخرجه: الترمذي (٢١٦٩)

^(٣) البخاري ١٩٢ / ١٣ (٧١٩٩، ٧٢٠٠)

أفراده من منكر حقا ، وما يروونه معروفا هو معروف في حقيقته ، أما اذا فسدت الضمائر في المجتمع و اختلت الأمور ، فإن الحكم على المعروف و المنكر قد يغدوا مقلوبا ، و غير سديد ، و المعروف هو ما تتفق العقول على عدم إنكاره ، أما المنكر فهو كل جريمة اجتماعية ، أي :كل جريمة تتجاوز آثارها الشخص الذي ارتكبها إلى المجتمع الذي يعيش فيه ، كالزنا و القتل و السرقة و الغيبة و النميمة ، و الكذب و الوشاية و شهادة الزور ، وإذا اقترنت الفاحشة بالمنكر ، كما في قول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١]

كان القصد من الفحشاء أو الفاحشة هو جريمة الزنا وحده، أما المنكر فيبقى عاما يشمل الجريمتين الأخيرتين القتل و السرقة كما يشمل المنكر كل ما تستنكره العقول السليمة و تأباه النفوس الزكية والفطرة النقية .^(١)

(١) - الأخلاق في الإسلام (ص: ٢٠٣)

الفصل الخامس

صور مشرقة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

* هيا لنقف مع تلك الصور المشرقة التي نالت الخيرية بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، أقدمها إلى هؤلاء الذين أصابتهم اللامبالاة لعلهم إذا وقفوا عليها حركت فيهم الغيرة على دين الله تعالى، فأمرُوا بالمعروف و نهوا عن المنكر:

المشهد الأول: لأبي الدرداء -رضي الله عنه:

مرّ أبو الدرداء رضى الله عنه على رجل قد أصاب ذنبًا وكانوا يسبّونه فقال: "أرايتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟!"، قالوا: "بلى"، قال: "فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم"، قالوا: "أفلا تبغضه؟"، قال: "إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي".

وفي هذا المشهد رأينا الحكمة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، فينبغي للأمر أن يتلطف في قوله ،وفي أمره ،وفي نهيه ، و صدق الله العظيم إذ يقول ﴿فَقُولْ لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]

المشهد الثاني:

قال محمد بن زكريا الغلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس تنحوا عن ابن أخي ثم قال إلي يا ابن أخي فاستحي الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمان بيتة عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف فقال الغلام قد أمر أن تأتية فأدخله عليه فقال له أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرفك أما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكسا رأسه ثم رفع رأسه وقال

عاهدت الله تعالى عهدا يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب فقال ادن مني فقبل رأسه وقال أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث وكان ذلك ببركة رفقته ثم قال إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرا فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون^(١)

المشهد الثالث:

من الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشهد رجل في سياق الموت، ولكنه لم يشغله جرحه الغائر عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه -

يقول ابن الجوزي - رحمه الله - فاحتُمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه، فأتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه، فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس، فجعلوا يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صُحبة رسول الله ﷺ، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردّوا عليّ الغلام، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك^(٢).

تأمل - يا من لا تبالي - عمر رضي الله عنه - في سياق الموت، ولم يشغله ما هو فيه من ألم، ومن سكرات الموت، أن يأمر ذلك الفتى، إنهم بايعوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المشهد الرابع:

^(١) الدعوة قواعد وأصول (١٤٢)

^(٢) الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة (٤/ ٣٢٠)

إنه الحرص على تبليغ هذه الرسالة، إنه الإيمان بثقل المسؤولية الملقاة على كل مسلم نحو فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رغم الأذى، رغم الأسى وصدق الله إذ يقول: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]

يقول محمد الحريف في رسالة (هل طرقت الباب) تحت عنوان (أما زوجها فقد جاوز الأربعين): مدمن خمر يسكر فيضربها هي وبناتها ويطردهم .. جيرانهم يشفقون عليهم ويتوسلون إليه ليفتح لهم .. يسهر ليله سكرًا .. وتسهر هي بكاءً ودعاء .. كان سيء الطباع .. سكن بجانبهم شاب صالح فجاء لزيارة هذا السكير فخرج إليه يترنح فإذا شاب ملتج وجهه يشع نوراً فصاح به : ماذا تريد ؟ قال : جئتك زائراً ! فصرخ : لعنة الله عليك يا كلب .. هذا وقت زيارة ! وبصق في وجهه .. مسح صاحبنا البصاق وقال : عفواً آتيك في وقت آخر .. مضى الشاب وهو يدعو ويجتهد .. ثم جاءه زائراً .. فكانت النتيجة كسابقتها .. حتى جاء مرة فخرج الرجل مخموراً وقال : ألم أطرّدك .. لماذا تصر على المجيء ؟ فقال : أحبك وأريد الجلوس معك .. فخجل وقال : أنا سكران .. قال : لا بأس اجلس معك وأنت سكران .. دخل الشاب وتكلم عن عظمة الله والجنة والنار .. بشره بأن الله يحب التوابين .. كان الرجل يدافع عبراته .. ثم ودعه الشاب ومضى .. ثم جاء فوجده سكراناً فحدثه أيضاً بالجنة والشوق إليها .. وأهدى إليه زجاجة عطر فاخر ومضى .. حاول أن يراه في المسجد فلم يأت .. فعاد إليه فوجده في سكر شديد .. فحدثه فأخذ الرجل يبكي ويقول : لن يغفر الله لي أبداً .. أنا حيوان .. سكير لن يقبلني الله .. أطرّد بناتي وأهين زوجتي وأفضح نفسي .. وجعل ينتحب .. فانتهاز الشاب الفرصة وقال : أنا ذاهب للعمرة مع مشايخ ، فرافقنا .. فقال : وأنا مدمن !! قال : لا عليك .. هم يحبونك مثلي .. ثم أحضر الشاب ملابس إحرام من سيارته وقال : اغتسل والبس إحرامك .. فأخذها ودخل يغتسل .. والشاب يستعجله حتى لا يعود في كلامه .. خرج يحمل حقيبته ولم ينس أن يدسّ فيها خمرًا .. انطلقت السيارة بالسكير والشاب واثنين من الصالحين .. تحدّثوا عن التوبة .. والرجل لا يحفظ الفاتحة .. فعلموه .. اقتربوا من مكة ليلاً .. فإذا الرجل تفوح منه رائحة الخمر .. فتوقفوا

ليناوما .. فقال السكير : أنا أقود السيارة وأنتم ناموا !! فردّوه بلطف .. ونزلوا وأعدوا فراشه .. وهو ينظر إليهم حتى نام .. فاستيقظ فجأة فإذا هم يصلون .. أخذ يتساءل : يقومون ويبيكون وأنا نائم سكران .. أذن للفجر فأيقظوه وصلّوا ثم أحضروا الإفطار .. وكانوا يخدمونه كأنه أميرهم .. ثم انطلقوا .. بدأ قلبه يرقّ واشتاق للبيت الحرام .. دخلوا الحرم فبدأ يتنفض .. سارع الخطى .. أقبل إلى الكعبة ووقف يبكي : يا رب ارحمني .. إن طردتني فلنمّن التجأ ! لا تردني خائباً .. خافوا عليه .. الأرض تهتز من بكائه .. مضت خمس أيام بصلاة ودعاء .. وفي طريق عودتهم .. فتح حقيته وسكب الخمر وهو يبكي .. وصل بيته .. بكت زوجته وبناته .. رجل في الأربعين وُلد من جديد .. استقام على الصلاة .. لحيته خالطها البياض ثم أصبح مؤذناً .. ومع القراءة بين الأذان والإقامة حفظ القرآن ..^(١)

وهكذا تكون الدعوة إلى الله تعالى، وإذ كانت تلك المشاهد السابقة مع آحاد الرعية، فهيا لنرى صوراً مشرقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام الطغاة الجبارين مع الحكام والأمراء، لنرى في وضوح حقيقة قول النبي ﷺ فعن أبي سعيد الخدري، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(٢)

و عن جابر رضي الله عنه - عن النبي ﷺ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْرَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»^(٣)

المشهد الأول:

بين أبي جعفر المنصور و ابن طاووس - رحمه الله: ورد أن أبا جعفر المنصور استدعى طاووس أحد علماء عصره ومعه مالك بن أنس رحمهما الله تعالى فلما دخلا عليه، أطرق ساعة ثم التفت إلى طاووس فقال: له حدثني عن أبيك يا طاووس: ابن كيسان التابعي " فقال: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل

^(١) رسالة هل طرقت الباب

^(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢٣١٥)

^(٣) أخرجه الحاكم (٢١٥/٣)، رقم ٤٨٨٤ وقال: صحيح الإسناد

أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله، فأمسك ساعة، قال، مالك فضممت
 ثيابي مخافة أن يملأني من دمه، ثم التفت إليه أبو جعفر فقال: عظمي يا طاووس، قال:
 نعم يا أمير المؤمنين { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرِمَ ذَاتَ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ
 يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ
 (١٠) الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
 عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) } [الفجر: ٦].

فقال أخشى أن تكتب بها معصية لله، فأكون شريك فيها فلما سمع ذلك قال: قوما
 عني.

قال طاووس: ذلك ما كنا نبغ منذ اليوم.

قال مالك: فما زلت أعرف لطاووس فضله ^(١)

وهكذا تجلّى الإيمان و تجسد في ذلك الموقف الذي يفيض قوة و شجاعة ،نابعة من قوله
 تعالى :

المشهد الثاني:

وهذا مشهد آخر مع الإمام الأوزاعي – رحمه الله- ومع ذلك الطاغية الذي سفك الدماء
 الأبرياء، وهتك أعراض المؤمنين، وسلب ديارهم وأموالهم إنه عبد الله بن علي
 العباسي، لما قدم عبد الله بن علي العباسي، لما قدم عبد الله بن علي العباسي الشام،
 وقتل من قتل من بني أمية بعد ذهاب دولتهم، استدعى الإمام عبد الرحمن بن عمرو
 الأوزاعي: وهو في جنده وحشمه، وقال له: ما تقول في دماء بني أمية.

قال الأوزاعي: قد كان بينك وبينهم عهود، وكان ينبغي أن تفي بها.

قال الأمير: ويحك اجعلني وإياهم لا عهد بيننا.

^(١) الجهاد ميادينه وأساليبه (ص ١٨٤)

قال الأوزاعي: فأجهشت نفسي، وكرهت القتل، فتذكرت مقامي بين يدي الله تعالى، فلفظتها وقلت: دماؤهم حرام عليك، فغضب عبد الله بن علي، وانتفخت عيناه وأوداجه

فقال ويحك ولم؟

قلت: قال رسول الله ﷺ " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ: كُفْرٍ بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ قَتْلِ نَفْسٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ "

قال: ويحك، أليس الأمر ديانة؟

قال: أوليس كان رسول الله ﷺ أوصى لعلي؟

قلت: لو أوصى لعلي ما حكم الحكمين؟

فسكت وق اجتمع غضبه، فجعلت أتوقع راسي يسقط بين يديه، فأشار بيديه هكذا لله، وأوماً أن أخرجوه، فخرجت (١)

وصدق الشافعي - رحمه الله - حيث يقول (أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة حق عند من يرجى ويخاف) (٢)

المشهد الثالث:

بطل هذا المشهد شاب لم يتجاوز العشرين من عمره، لكن استقر الإيمان في قلبه، إنه حطيط الزيات مع الحجاج سفاك الدماء، كان يقتل بالنظة ولندع المشهد يعبر عن نفسه: جيء بالعالم حطيط الزيات إلى الحجاج فلما دخل عليه قال: أنت حطيط؟ فقال: نعم: سل عما بدالك فإني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال:

إن سئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن،

(١) الجهاد ميادينه وأساليبه (١٨٢)

(٢) التبصرة (٦٥٩)

قال: الحجاج، فما تقول في؟

قال: أقول فيك إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة.

قال: فما تقول: في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟

قال: أقول إنه أعظم منك جرماً، وإنما أنت خطيئة من خطاياهم فأمر الحجاج أن يضعوا عليه العذاب، فأنتهى به إلى أن شقق له القصب، ثم جعلوه على لحمه وشدوده بالحبال ثم جعل يمدون - يستلون - قصبه قصبه، حتى انتحلوا لحمه، فما سمعوه يقول شيئاً، فقليل للحجاج إنه في آخر رمق.

فقال: أخرجوه فارموا به في السوق.

فقال جعفر وهو الراوي: فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيط!! ألك حاجة.

قال شربة ماء، فأتوه بشربة ثم استشهد، وكان عمره ثماني عشرة سنة - رحمه الله - أ. هـ (١).

المشهد الرابع:

وهو مشهد يصوره لنا الله في كتابه، ذلك المشهد الذي يحمل في طياته العظات والعبر والدروس، والحكم، إنه لداعية فصيح باع نفسه لله تعالى ووقف بين يدي اطنى مجرم عرفته البشرية ليدافع عن رسول بني إسرائيل، و يأمر ذلك الطاغية وتلك الحاشية بالمعروف و الايمان بما جاء به موسى عليه السلام - فهيا لنرى المشهد في ابداع أسلوب و احلى عبارة، و ازكى إشارة لاتباع طريق النجاة و البعد عن طريق الهلكة - و الشقاء.

اهل الباطل لا يناقشون الحجة بالحجة ، ولا البينة بالبينة ، إنما منطقهم عجيب ، أسمع اليهم في قصة فرعون ، ماذا يقولون ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر: ٢٥]

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (٢/ ٣٤٥)، و «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٤٦).

هذا قولهم، أما قول زعيمهم فرعون ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]

فهل هناك أطرف من أن يقال فرعون الضال الوثني عن موسى - عليه السلام - ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]

أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد عن كل داعية مصلح؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالغ في وجه الحق الجميل؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في وجه الإيمان الهادي؟ إنه منطق واحد، يتكرر كلما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصلاح والطغيان على توالي الزمان واختلاف المكان، والقصة قديمة مكررة تعرض بين الحين والحين.^(١)

فهذا هو منطق الباطل : استهزاء ، وسخرية ، ومجادلة بالباطل ، اعتداء حتى يصل إلى الإخراج من الأرض ، ومع هذا فإننا نرى في هذا الظلام الحالك ، النور الذي يحمله الداعي بين يديه ، والحرص على الناس من أن يلقوا في النار ، والرحمة التي ينشرها عليهم ، وهو يلوذ بحمي ربه ويعوذ به من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، ومع هذا فإنه لا يقول لهم إلا خيرا ، ليت الدعاة يعون هذا الدرس ويستشعرون حرص الداعي على من يدعوهم الذي نقله القرآن ، كما رأيت ، و اسمع إليه وهو يدافع عن موسى ، فما سب ولا لعن ، ولكنه يتسلل إلى قلوبهم بالنصيحة التي تسيل رقة ممزوجة بالتخويف والإقناع : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]

و تأمل ذكاء هذا الرجل و بعد نظره ، و تأمل الألفاظ التي اختارها ، و الكلمات التي تكلم بها ، و الأسلوب الحكيم الذي يقنع بع من يخاطبهم ، إنه نوع من أنواع علم البيان الذي يسميه علماؤنا (استدراج المخاطب) و ذلك أنه لما فرعون قد عزم على قتل

^(١) في ظلال القرآن ط-أخرى (٣١٦ / ٨)

موسى أراد الانتصار له بطرق يخفي عليهم بها انه متعصب له ، و أنه من اتباعه ، فجاءهم بطري النصح و الملاطفة فقال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا ﴾ و لم يذكر اسمه ، بل قال : رجلا ، ليوهم أنه لا يعرفه ، ثم قال : ﴿ أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ و لم يقل رجلا مؤمنا بالله أو نبي ، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب و لن يقبلوا قوله ، ثم أتبعه بقوله : ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ﴾ فقدم الكذب على الصدق ، موافقة لرايهم ثم تلا بقوله : ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ ﴾ و لم يقل : هو صادق ، ولو قال ، و كذلك قال ﴿ يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ و لم يقل كل الذي يعدكم و لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب له ، و أنه يزعم نبوته ، و أنه يصدقه ، ثم أتبعه بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق له ، وهو قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ وفيه تعريض بفرعون إذ هو في غاية الإسراف و الكذب على الله ، إذ ادعى الألوهية و الربوبية ، ثم كرر النصح مع التلطف : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أنتم غالبون على بني إسرائيل في أرض مصر ، قد قهرتموهم ، و استعبدتموهم اليوم : ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾

قال الرازي: أنما قال (يَنْصُرُنَا) و (جَاءَنَا) لأنه كان يظهر لهم أنه منهم و أن الذي ينصحبهم به هو مشارك لهم فيه ، أي ذكاء هذا يتحلى به هذا الداعي إلى الله و أي بصيرة و حكمة رزقها ؟!

ليت الشباب يتدبرون و يفقه الأسلوب المثل للدعوة، إنها ليست استعراضا للقوة ، و لا تطاولا على أحد ، و لكن مسلك الحكمة الذي يوصلنا للغاية و لا تطاولا على احد و لكنه مسلك الحكمة الذي يوصلنا للغاية التي تنجي ، فليست انتصارا لرأي بقدر ما هي إحقاق حق ، و إظهار حجة و بينه ، و تكرار موعظة حسنة ، وإشعار بالحرص الشديد على من ندعوهم ، فأنت ترى هذا الرجل المؤمن الذي كتم إيمانه لا يمل من تكرار المواعظ و المحاولة مع سفيه و تكبر فرعون ، و اسمع إليه و هو يقول لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٣٨] إلى أن يقول : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَيَا قَوْمِ مَا لِي

أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ
وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿ غافر: ٣٩-٤٤]

ماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشامل للحقائق الرئيسية في العقيدة ؟ إنه أخيراً
كشف عن نفسه كموقف إلهي ، ولكنه بأسلوب حكيم ، و ثبات كريم ، ولا يبقى
بعد ذلك غلا أن يفوض أمره إلى الله ليقية سيئات ما مكروا ، و قد وقاه الله : ﴿وَحَاقَ
بِالْفِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿ غافر: ٤٥]

هل نظرت إلى هذا المؤمن من آل فرعون ، و كيف يخاطب فرعون و من ت معه ، انه
يستشعر بأنهم قومه ، وأنه واحد منهم يهيمه أمرهم ، و يعنيه أن يبقى ملكهم و يدوم
لهم مجدهم : ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا
قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿ غافر: ٢٩]

فبعد أن طمأنهم على ملكهم ليجد آذاننا تسمعه بدأ يخوفهم مما أصاب الأمم من قبلهم
حين أعرضوا عن دعوة الله تعالى وطاعة رسوله : ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِلْعِبَادِ ﴿ غافر: ٣٠-٣١]

هذا ما يخاف عليهم في الدنيا، ثم انتقل إلى تخويفه من عذاب الآخرة ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
مِنْ هَادٍ ﴿ غافر: ٣٢-٣٣]

ويستمر المؤمن المخلص في دعوته إلى قومه بهذا الأسلوب ^(١)

^(١) الدعوة قواعد و أصول (١٣٠-١٣٢)

الفصل السادس

آداب وقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بعد أن رأينا خطورة اللامبالاة بتلك الفريضة و عرفنا أن التقصير فيها عاقبته وخيمة على الفرد و المجتمع ، ثم تعرفنا على ضرورة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و أنه ضرورة حتمية لخيرية الأمة الإسلامية ، ثم وقفنا مع فضل تلك الفريضة و فضل أهلها ، ثم وقفنا مع صور مشرقة مع الأمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر ، و كأني بك - أخي المسلم - قد اشتاقت نفسك لتنال أجر و ثواب الخيرية ، و كأني بصدرك قد انشرح و قد زالت عن بصيرتك غشاوة اللامبالاة ، وها أنت قد عزمت و شمرت عن مساعد الجد و الاجتهاد ، لتكون من هؤلاء المجاهدين ، و من هؤلاء الناصحين ، و لكن قبل أن تأمر و تنهي لابد أن تتعرف على آداب و قواعد تك الفريضة كما بينها العلماء و الحكماء :

أولاً: الإخلاص:

يقول ابن عثيمين - رحمه الله - : الإخلاص لله تعالى في عمله ، بحيث يقصد بدعوته التقرب إلى الله - عز وجل - و نص دينه و إصلاح عباده بإخراجهم من ظلمات الجهل و العصيان إلى نور العلم و الطاعة ، فتكون دعوته نابعة عن محبة الله و لدينه، و محبة الخير لكافة البشر ، و الدعوة النابعة عن إخلاص مع القوة و العزيم ، و الاعتماد على الله ، لا بد أن تؤثر و تعمل عملها ، ألا ترى إلى قصة موسى عليه السلام حين حشر الناس له ضحى يوم الزينة و جمع له فرعون كيده ثم أتى بأبهته و كبريائه قال لهم موسى ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْحَبَكُمْ فِي عَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ (٦١) ﴿طه: ٦١﴾

فماذا فعلت هذه الكلمة؟

إنها فرقت كلمتهم و شتت شملهم في الحل بدون تأخير ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا
النَّجْوَى﴾ [طه: ٦٢] و التنازع اكبر أسباب الفشل و ذهاب الريح كما قال تعالى ﴿وَلَا
تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]

فإخلاص الداعي في دعوته لله تعالى امر مهم بالنسبة لنجاحها فيها و ثوابه عليها ، أما
قصد مراعاة الناس بذلك أو أراد شيئاً من الدنيا مالا أو جاها أو رئاسة فعمله حابط و
نفعه قليل قال الله تعالى ﴿كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ
فِيهَا لَا يُنْحَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا
وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَلَيْهِ، ... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا
عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ
تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ
عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. ^(١)

ثانيا: العلم: أن يكون الأمر عالما بما يأتيه وتلك هي البصيرة التي ذكرها الله
تعالى في كتابه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:
١٠٨]

يقول ابن عثيمين - رحمه الله - : أن يكون الداعي عالما بشريعة الله التي يدعو إليها
،وعالما بأحوال من يدعوهم النفسية و العلمية ، عالما بشريعة الله ليدعو إلى الله على
بصيرة و برهان ، حتى لا يضل أو يُضل ، و ليكون داخلا في قوله تعالى : ﴿قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]

وليستطيع أن يدافع عن دعوته و يقنع خصمه، و كم من داع كان جاهلا فحصل من
المضرة عليه، وعلى من يدعو إليه شيء كبير ، لأنه يهزم أمام الباطل ، لقلته ما من مع

^(١) رسالة في الدعوة إلى الله (ص ١٥-١٦) الحديث أخرجه مسلم (١٩٠٥)

العلم بالحق ، و لهذا لا يجوز تمكين مثل هؤلاء الجهال من الدعوة كما لا يجوز تمكين الصبيان من الجهاد

عالمًا بأحوال من يدعوهم النفسية والعلمية ليستعد لهم و يسلك في دعوته ما يليق بأحوالهم، و لهذا لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوما أهل كتاب، فأخبر بحال من بعثه إليهم من أجل الغرضين السابقين، فإن الداعي إذا دعاهم و هو لا يعرف حالهم قد ينعكس عليه هدفه، و قد يبدأ بغير المهم، أو بغير الأهم، و يترك ما هو أولى منه ^(١)

ويقول سليمان فهد العودة: وأما الذي ينكر عن جهل فقد يفسد أكثر مما يصلح وإنك لترى كثيراً من الجهال ينكرون ما لم يألفوه، وإن كان معروفاً في الحقيقة، ومن أمثلة ذلك أنني صليت الفجر يوماً من الأيام إلى جوار أحد العوام، فبعد أن تنفلت راتبة الفجر، وتناولت المصحف لأقرأ شيئاً من القرآن؛ قال لي: لا ما يصلح هذا، لا بد إذا انتهيت من النافلة أن تسلم على من هو على يمينك، ثم تسلم على الذي يسارك ثم ترفع يديك وتدعو بما تريد، ثم تقرأ القرآن. فقلت له: سبحان الله هل تعلم دليلاً على مشروعية سلام الإنسان بعد النافلة على من هو على يمينه وعلى شماله؟ فقال: لا والله. قلت: هل تعلم دليلاً على مشروعية واستحباب رفع اليدين بعد النافلة؟ قال: لا ما أعلم، فقلت: لماذا تنكر إذن؟ فقال: علمني جزاك الله خيراً فأخبرته أن هذه الأمور ليست سنة ينكر على تاركها، بل هي في هذا الموضع بالذات -بعد الصلاة فريضة أو نافلة- غير مشروعة ومن أهل العلم من حكم ببديعتها، وأما أصل السلام فمشروع، وأصل رفع اليدين بالدعاء مشروع ولكن التزامه بعد الصلوات النوافل هو محل النظر. إذن فلا بد أن يكون المنكر عالماً على الأقل بما ينكر وبما يأمر به. ^(٢)

ثالثاً: أن يبدأ بالأهم بالواجبات قبل النوافل:

^(١) رسالة في الدعوة إلى الله (ص ١٩)

^(٢) حتى لا تفرق السفينة (ص: ٧٦-٧٧)

يقول الدكتور محمد نعيم ياسين: بما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد فيه بذل الجهد ومشقة، فينبغي على المسلم أن يوجه الجهد إلى إصلاح القضايا الأكثر أهمية، و الخرق الأعظم اتساعاً، وأصول الفساد والمنكر، ولا يحسن به أن يصرّف همه وجهده ووقته كله في علاج الجزئيات والفروع البسيطة، إذا كان فسادها ناشئاً عن فساد أصل الأصول.

و عندما يصطلح الناس أو يُربُّون على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضول، وتعد على حريات الآخرين، و يجد هذا الاتجاه دعماً واضحاً وحماية كاملة من الحكام، فيحاسب و يجازى بالشر كل مسلم يدعو إلى الخير، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحجة التعدي على حريات الآخرين، فإنه لا يجدي كثيراً معالجة الفروع و الجزئيات، ولا بد أن تتوجه الجهود إلى إزالة المنكر الأكبر وهو عزوف الناس وخاصة حكامها عن حكم ربهم وطاعته وضعف عقيدتهم و يقينهم بالله و اليوم الآخر، وإسنادهم أمورهم إلى جهالهم و ضلالهم، و عند يجهل الناس معنى الركن الأول من أركان الدين ولا يعرفون مقتضيات (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ولا حقوقها فينبغي أن تصرف معظم الجهود إلى تجلية معنى هذه الكلمة الطيبة، و بيان حقوقها، و مقتضياتها في حياة الناس و يؤيد ذلك أن بعض المفسرين قد فسوا المعروف الذي يجب على أمة الإسلام أن تأمر به بانه الإيمان بالله و رسوله و العمل بشرائعه، و فسروا المنكر الذي يجب على أمة الإسلام أن تنهى عنه [أن الشرك بالله و تكذيب رسوله و العمل بما نهى عنه، فقد روى أبو جعفر الطبري عن ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]: «يقول: تأمرونهم بالمعروف: أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، و"لا إله إلا الله"، هو أعظم المعروف وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب، وهو أنكر المنكر»^(١)

^(١) - «تفسير الطبري جامع البيان - ط دار التربية والتراث» (١٠٥ / ٧)

ففي هذه الأحوال التي يتخذ فيها الإسلام مهجوراً لا يجدي إلا الجهاد بالدعوة إلى الله - عز وجل - إلى الشهادتين وإلى حكم الإسلام وطاعة الله واتباع الرسول ﷺ و توحيد الله في الربوبية والألوهية وفي أسماء الجلال و صفات الكمال.

على أن هذا لا يعني إهمال الجزئيات والفروع، ولكن عملية الإصلاح فيها تأتي بعد إصلاح العقيدة، فل فلا يبدأ بها مع الناس الذين فسدت عقائدهم وهو أكثر بكثير ممن بقي لهم عقائد سليمة في المجتمعات الجاهلية ولكن المطلوب من الغيورين على دينهم أن يوجهوا جهودهم لما يكون أكثر جدوى في سد منافذ المنكر وأن يشتغلوا بالأهم، و يمنحوه النصيب الأكبر من اهتمامهم.

يقول العز بن عيد السلام - رحمه الله - في بيان درجات الوسائل الموصلة إلى المصالح: " يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها، فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه، والتوسل إلى معرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته، والتوسل بالسعي إلى الجهاد أفضل من التوسل بالسعي إلى الجماعات، والتوسل بالسعي إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات. . . . وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل، لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل، وإلى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل، والإنذار وسيلة إلى درء مفسد الكفر والعصيان، والتبشير وسيلة إلى جلب مصالح الطاعة والإيمان، وكذلك الأمر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة الفعل المأمور به في باب المصالح، فالأمر بالإيمان أفضل أنواع الأمر بالمعروف، وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل، والأمر بإمالة الأذى عن الطريق من أدنى مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١)

(١) قواعد الأحكام، ج ١، ص ١٢٣ - ١٢٤.

درجات الوسائل المؤدية إلى المفاصد " . . . وهكذا تختلف رتب الوسائل باختلاف قوة أدائها إلى المفاصد . . . وكذا النهي عن المنكر وسيلة إلى دفع مفسدة ذلك المنكر المنهي عنه ورتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة درء مفسدة الفعل المنهي عنه في باب المفاصد، ثم تترتب رتبه على رتب المفاصد إلى أن تنتهي إلى أصغر الصغائر، فالنهي عن الكفر بالله أفضل من كل نهى في باب النهي عن المنكر ^(١)

وقد ضرب الإمام الغزالي - رحمه الله - مثلاً لمن يشتغل في الأمور الأقل أهمية ويترك الأمور الخطيرة فيقول: " فمن غصب فرسه ولجام فرسه، فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس، نفرت عنه الطباع، ويرى مسيئاً " ^(٢)

رابعاً: ومن آداب و أخلاق الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الصبر و تحمل الأذى:

يقول الدكتور محمد رجب الشثيوي : و من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعية إلى الله الصبر على الإيذاء و تحمل البلاء ، فالدعوة إلى الله طريق صعب و شاق ، إنه طريق الأنبياء و المرسلين الذين يدعون إلى الطريق المستقيم ، وطريق الدعوة الحق ليس مفروشا بالورود و الرياحين ، بل هو طريق وعر شاق ممتلئ بالشوك من المعاندين و المعارضين ، وما ذاك إلا لأن النفس البشرية دائماً يقف أمام الحق بالجحود و الإنكار خاصة إذا كان يتعلق بالعقيدة فتحويل الناس من عقيدة إلى أخرى أمر عسير على النفوس صعب القول ، لأن العقيدة مهما كانت فاسدة لا بد و أن تترك أثراً في قلب معتنقيها ، لا يزول بسهولة ، ولا يتمكن صاحبه أن ينساه بسرعة ، ومن هنا كان جهاد الأنبياء و الرسل - عليهم السلام - مع قومهم و كان الأمر من الله للأنبياء و الرسل بالصبر الجميل على تحمل الإيذاء الذي يقع لهم من الشر ، و لذا يقول الله تعالى لنبيه وأولو العزم من السل ما نالوا هذا الوصف الكريم وسموا بأولي العزم إلا أنهم صبروا وصابروا على تحمل الإيذاء وشدة البلاء؟

^(١) (المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

^(٢) إحياء علوم الدين ، ج ٢ ص ٣١٤ .

واعلم علمني الله وإياك: أن الصبر قرين اليقين، واليقين هو المحرك الذي يحرك صاحبه على الدعوة إلى الله تعالى، فاذا صبر المسلم نال اليقين، وإذا نال اليقين نال الإمامة في الدين يقول الله سبحانه و تعالى - ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

ولذلك قال سفيان: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معرض للأذى، فلا يليق أن ينزعج ويجزع ويترك مهمته أو يتبرم بها، ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ذلك أن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مفروشاً بالورود والرياحين، بل هو ملي بالأشواك والصخور والمصاعب الجمة فمن لم يتذرع بالصبر خلى به أن يستطيل الطريق ويستثقل العمل فيتخلى عن المهمة الربانية الكريمة التي انتدب نفسه لها. عجب أمر بعضنا! يقول: عندي أخ أو زميل أو قريب لا يصلي أو يشرب الخمر أو فإذا قيل له: انصحه واجتهد في نصحه، قال: عجزت عنه، أو قال: ما فيه فائدة! سبحانه الله!! أين ذهب؟ ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] عن عقلك؟ أين الصبر الجميل؟ أين طول النفس؟ أين دأب الدعاة وإصرارهم؟ أمّن مرة أو مرتين أو عشر مرات .. تقول عجزت .. أو لا فائدة؟

ربما أن الكلمة التي جعل الله نجاة هذا العاصي بسببها لم تصل إلى أذنه بعد .. وربما تبذر أنت البذرة ويأتي غيرك فيسقيها فتنبت وتثمر، لكن إياك أن تكون كالكسعي الذي يضرب به المثل في الندامة، حين رمى بسهامه ليلاً فظن أنها لم تصب فكسر القوس، فلما أصبح وجدها كلها قد أصابت الغرض فاغتم لكسر القوس غماً لا يوصف .. فاحذر أن تكونه! إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، وللنفوس قتامة وإشراقاً ومن المصلحة أن تتعاهد

المدعو وقت إقباله وارتياحه بالكلمات الطيبات، وتهاديه وتلاطفه، وتحتال للوصول إلى قلبه بكل حيلة لا تدم.

((وَاللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِهِدَاكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ))^(١) ^(٢)

خامسا الرفق والحلم:

الحلم صفة هامة للداعية تجمع القلوب، و تذيب الإحن، و تعطي له قدارا قدرا كبيرا من الصلابة في مواجهة اشد المواقف، و أحلكها، و الحلم سيد الأخلاق، يقول - سبحانه و تعالى - ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]

والحلم ليس دليل ضعف أبدا، بل هو دليل على القوة، والمالك لنفسه عند الغضب هو القوي في الحقيقة يقول ﷺ «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ»، قالوا: مَنْ الشَّدِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(٣)

والحلم معناه: أن يكتم المؤمن غيظه، وأن يصل من قطعه، وأن يعفو عمن ظلمه، و أن يحسن إلى من أساء إليه قال الله - تعالى ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

و الداعية إلى الله هو أولى من غيره في ضرورة التحلي بخلق الحلم، و العفو و كظم الغيظ، حتى يستطيع أن يجذب القلوب إليه، وأن يحب الناس فيه، وأن يدفع أبناء الأمة للإسلامية إلى الدين الحق، و التزام هدى الله - جل جلاله.

يقول الشيخ علي محفوظ - رحمه الله -: فكمال العلم في الحلم ولين الكلام مفتاح القلوب، فيستطيع أن يعالج أمراض النفوس و هو هادي النفس مطمئن القلب، لا

^(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٣)

^(٢) حتى لا تفرق السفينة (٨٠-٨١)

^(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٣)

يستفزه الغضب، ولا يستثيره الحمق، فتنفّر منه القلوب و تشمئز منه النفوس و حسبك في هذا قول الله - تعالى لإمام الداعين ﷺ :

فلو كان الداعي سيء الخلق جافيا قاسي القلب غليظ فاعلظ لهم في القول، و تفرقوا عنه و انصرفوا من حوله ، فحرموا الهداية بأنوار دينهم ، فعاشوا و ماتوا جهلاء ، و وذلك هو الشقاء و هو بسببه و علته . أهـ

و يقول عبد الله ناصح علوان: و كم يخطئ الذين يأخذون الناس بالشد و يعاملونهم بالقسوة، و يسلكون معهم سبيل الفظاظة و العنف، عدا أنهم أعطوا الصورة المشوشة عن أخلاق الدعاة، و جانبوا سبيل التأسي بالنبي ﷺ في أمّ مرآة حلمه و عفوه الجميل، فإنهم أيضا أحدثوا ردود الفعل في نفوس من يدعونهم وربما أدت بهم هذه الردود النفسية إلى أسوأ المسالك، و أخطر الانحرافات و لضرورة هذه الصفة للداعية امر الله رسوله بها فقال له ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

و قال له ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣]

وقال الشيخ السعدي - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ وذلك يستلزم العلم بالمعروف ليأمر به، والعلم بالمنكر لينهى عنه.

والأمر بما لا يتم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر إلا به، من الرفق، والصبر، وقد صرح به في قوله: ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ ومن كونه فاعلا لما يأمر به، كاقاً لما ينهى عنه، فتضمن هذا، تكميل نفسه بفعل الخير وترك الشر، وتكميل غيره بذلك، بأمره ونهيه.

ولما علم أنه لا بد أن يبتلى إذا أمر ونهى وأن في الأمر والنهي مشقة على النفوس، أمره بالصبر على ذلك فقال: ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ الذي وعظ به لقمان ابنه

{مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} أي: من الأمور التي يعزم عليها، ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم»^(١)

وقال الإمام أحمد: الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً معلناً بالفسق فإنه لا حرمة له.

وكان كثير من السلف لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا سرّاً فيما بينه وبين من يأمره وينهاه.

وقالت أم الدرداء: من وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شأنه^(٢)

سادساً: القدوة الحسنة:

بمعنى أن يعمل بما علم، وأن ياتمر بما يأمر، و أن ينتهي عما ينهى، و ينبغي للمجاهد بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أن يتخلق بما يدعو إليه ، و أن يتجنب ما ينهى الناس عنه ، حتى يكون لكلامه أثر فيمن يأمرهم و ينهاهم ، فقد قال الله - تعالى :

{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثَلَاثُونَ} **الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴿البقرة: ٤٤﴾

وقال أيضاً: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}** (٢) **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴿الصف: ٢-٣﴾

ولقد كان عمر رضي الله عنه إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء يقدم إلى أهله ويقول (لا اعلمن أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة)^(٣)

إلا أنه ينبغي أن يلاحظ في هذا المقام أنه لا يشترط في الأمر و الناهي أن يكون عاملاً في الحال، و أن عدم امتثاله لما يقول و مخالفته قوله عمله لا يسقط عنه واجب الأمر

^(١) تفسير السعدي (ج٦:ص:٧٩)

^(٢) أخرجه الخلال (ص ١٠)

^(٣) الجهاد ميادينه و اساليبه (١٦٠-١٦١)

بالمعروف و النهي عن المنكر، فإن المعصية لا تبرر ترك الواجبات مهما كانت تلك المعصية، و مهما كانت الواجبات.

نعم و يجب على المرء أن يأمر نفسه بالمعروف و ينهاها عن المنكر قبل أمر الناس و نهيمهم ، حتى لا يواجه الناس بحال نفسه ، و يقولون له : هلا امرت نفسك قبل أن تأمرنا و نهيتها قبل أن تنهانا ، و لكن عدم قيامه بالواجب لا يجعل لله عذر في ترك غيره من الواجبات التي من أهمها ام امر الناس بالمعروف و نهيمهم عن المنكر ، فقد يكون لكلامه أثر في بعض الناس أكثر مما يكون لكلم غيره فإن النفوس تختلف في تقبل الوعظ باختلاف الواعظين^(١)

يقول بعض الشباب: أنا عاص فكيف أغير المنكر وأنا كذلك؟!

فنقول له: غير المنكر وإن كنت عاصياً فقد قال الله تعالى عن بني إسرائيل ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩] مما يدل على أن فاعل المنكر مطالب بالإنكار وهذا مذهب عامة العلماء، بل حكى بعضهم الإجماع عليه ولكن أكثر الناس لا يعلمون:

ولو لم يعظ في الناس من هو مذنب فمن يعظ العاصين بعد محمد

ووقعك في معصية لا يسوغ لك الوقوع في معصية أخرى، أعني معصية السكوت عليها وعدم إنكارها.^(٢)

سابعا: أن يغلب على ظنك أن المصلحة أرجح من المفسدة في أمرك ونهيك:

اعلم علمي الله وإياك -أن المقصود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هو تحصيل المصالح ودرء المفاصد بل إنما بعث الرسل الكرام -عليهم الصلاة والسلام -من أجل المصالح وتكليمها، وتقليل المفاصد وتعطيها.

^(١) الجهاد ميادينه و اساليبه (١٦٠-١٦١)

^(٢) حتى لا تفرق السفينة (٩٨)

ولهذا إذا علم المسلم أن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر سيترب عليه مفسدة في موقفٍ من المواقف فإنه يمنع من الأمر والنهي في ذلك الموضع.

ومما يروى في هذا الباب أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله خرج مع بعض تلاميذه من دمشق وفي طريقهم مروا ببعض التتر وهم يشربون الخمر، فهم بعض التلاميذ بالإنكار عليهم، فقال شيخ الإسلام: دعوهم وما هم فيه. فقالوا: نتركهم -رحمك الله - على هذا المنكر؟! قال: نعم إن هؤلاء القوم لو أفاقوا من سكرهم لدخلوا دمشق، فهتكوا الأعراض، ونهبوا الأموال وقتلوا الرجال.^(١)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله: وجماع ذلك داخل في القاعدة العام، فيما يجب ترجيح الراجح منها، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصلح أو يحصل من المفسد أكثر لم يكن مأمورا به، بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته. أهـ^(٢)

^(١) حتى لا تفرق السفينة (٨٢)

^(٢) الحسبة في الإسلام (ص: ٦٦)

الفصل السابع

كيفية إنكار المنكر (١)

كيفية الإنكار على من يفعل المنكر يختلف باختلاف حال الفاعل وما يناسب حاله، فينبغي للمحتسب أن يستعمل في إنكاره الكيفية التي تكون أنسب وأجدى في زوال المنكر، وذلك بأن يراعي مقامه ومنزلته، ثم يسلك معه أقرب الوسائل إلى حصول المقصود وهو الصلاح، فيكون قد أتى بالأمر والنهي بالصراط المستقيم، الذي أمر به، ومثله في ذلك كالطبيب الذي يعطي المريض من الدواء ما يناسب حاله ومزاجه، وسأستعرض أنواعاً من الناس، وأبين كيفية الإنكار عليهم على النحو التالي:

١- الجاهل لما يرتكبه بأنه منكر. ٢- العالم بأن ما يرتكبه بأنه منكر.

٣- الوالد بالنسبة لولده. ٤- العبد بالنسبة لسيده.

٥- التلميذ بالنسبة لشيخه. ٦- الزوجة بالنسبة لزوجها.

٧- السلطان بالنسبة لرعيته. ٨- الفاسق والعاصي الذي يحتاج إلى الهجر.

أولاً: كيفية الإنكار على الجاهل لما يرتكبه بأنه منكر:

من أقدم على منكر جاهلاً أنه منكر، بحيث لو علم أنه منكر لما أقدم عليه، فإنه يُعلم برفق ولطف وسياسة، وليحذر من الطيش والعجلة، بل يستعمل التأني والتثبت والملاطفة في الدعوة؛ فإن في ذلك خيراً كثيراً، وإن كان يعلم منه أنه لو سمع الكلام من غيره رجع عن فعله، فإنه ينبغي له أن يطلب من غيره ممن لا يشق عليه أن يبين له ما هو عليه من المخالفة ليكون ذلك أوعى إلى القبول والاستجابة.

ومثال ذلك: لو رأى من يسيء في صلاته لجهله، وهو يعلم منه أنه لو علم أن هذه الصلاة باطلة لم يرض لنفسه ذلك، أو رأى من يجمع الصلوات مثلاً لأنه مشغول عنها،

(١) هذا الفصل للأمانة العلمية من كتاب (القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) تأليف عبد الله بن عبد العزيز الراجحي (بتصرف وزيادة و اختصار)

فإن المنكر يستعمل معه التلطف في موعظته وتعليمه، مثل أن يقول: أنا أعلم أنك مشغول بما أنت فيه، ولكن لا بد من الطمأنينة في الصلاة، ولا بد من أداء كل صلاة في وقتها، ولا شك أنك ترى كثيراً من الناس يسيئون في صلاتهم، والناصح لهم قليل، ولكن يا أخي لا يعذر أحد في ترك تعلم أمور دينه؛ لأن الله يقول: **{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** (سورة النحل آية: ٤٣).

ويا أخي، العلماء كلهم متفقون على أن الإنسان لا يجوز له أن يؤخر الصلاة عن وقتها عمداً، وأنت قريب من الخير، ولا شك أنك تريد براءة ذمتك وإحسان عملك، والصلاة رأس مال المسلم، فلا بد من الإحسان فيها وأدائها في وقتها، ونحو هذه العبارات التي يحصل بها المقصود.

ثانياً: كيفية الإنكار على العالم بأن ما يرتكبه منكر:

من أقدم على فعل منكر مع علمه أنه منكر، إما لأنه يعلم ذلك، أو لأنه عرّف أنه منكر، ومثال ذلك من يواظب على الغيبة أو أكل الربا أو الرشوة مع علمه أنه حرام، فالمنكر يستعمل معه الوعظ والتخويف، وبيان رتبة تحريم تلك المعصية، وبيان ما جاء فيها من الوعيد والتهديد، ويسوق له الأخبار الواردة في تلك المعصية، فإن ذلك أجدى وأنجع في التأثير في العالم بالحكم.

ثالثاً: كيفية الإنكار على الوالد من قبل ولده:

إذا فعل الوالد منكراً، فللولد أن يأمر والده وينهاه بالوعظ والنصح، مع الرفق والتلطف في الكلام، وليس للولد مقابلة والده بالتخويف ولا بالتهديد ولا بالضرب ولا بالسب ولا بالتعنيف ولا بتخشين الكلام، وذلك لأن الوالد له على ولده حق عظيم، وقد قرن الله حقه بحق الوالدين في قوله تعالى: **{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}** (سورة الإسراء آية: ٢٣). وأمر بالإحسان إلى الوالدين وإن كانا كافرين مع عدم طاعتهم في الشرك، فقال تعالى: **{وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ}** (سورة

لقمان آية: ١٥). وللولد تغيير المنكر على والده بيده إن لم يحصل بسبب ذلك مفسدة أكبر، أو ضرر عليه في نفسه أو ماله أو أهله، وذلك لأن حق الله مقدم على حق الوالد، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالولد يغيّر المنكر على والده بيده مع القدرة وعدم المفسدة، ومع ذلك يستعمل معه التلطف في الخطاب، والترحم عليه والدعاء له، وبيان ضرر المعصية حتى يهدأ والده ويسكن إليه، ويعلم أن قصد ابنه محض النصح له والشفقة عليه والغيرة لله ولحارمه.

قلت ^(١): ولقد تعالى لنا ذلك الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه الذي يحمل في طياته العطف و الرفق والرافة و الرحمة و الأدب الجم ، مع ذلك الوالد المعاند الكافر يقول -سبحانه وتعالى - ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تُنْتِهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿ [مريم: ٤١-٤٧]

قال أبو السعود -رحمه الله - ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه أبداع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا يُنكَب بالكلية عن مَحَجَّة الرِّشَاد ^(٢)

يقول الزمخشري - رحمه الله -: «ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئا منه

^(١) المؤلف (أبو همام)

^(٢) «تفسير أبي السعود» (٥ / ٢٦٧)

ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستكف، وهب أنى وإياك في مسير وعندى معرفة بالهداية دونك، فاتبعنى أنجك من أن تضل وتتيه»^(١)

رابعاً: كيفية الإنكار على السيد من قبل عبده:

إذا فعل السيد منكراً فللعبد أن ينكر عليه برفق ولطف ولين إذا لم يخش من سطوته، فإن كان يخشى من سطوته، طلب من غيره أن ينصحه ممن يؤثّر نصحه فيه، وبذلك تبرأ ذمة العبد.

قلت^(٢): ومن جميل ما ذكر في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ما فعله ذلك العبد مع سيده

يروى أن رجلاً قال لعبده: ازرع هذه الأرض بُراً، وكان مسرفاً على نفسه مفرطاً في جنب الله تعالى، فلما سافر قام العبد وزرع الأرض شعيراً فلما عاد سيده وجد الأرض مزروعة شعيراً ولم تزرع بُراً، فنادى على عبده وقال له: ألم أقل لك ازرعها بُراً، فلم زرعتها شعيراً؟

قال: يا سيدي رجوت من الشعير أن يكون بُراً

قال: يا أحمق أو ترجو من الشعير أن ينتج بُراً.

قال: يا سيدي أنت تعصي الله وترجو رحمته، فعندها، قال سيده: تبت إلى الله، وأعتقه.

وهذا من فقه وفطنة ذلك العبد وحكمته في دعوة سيده

خامساً: كيفية الإنكار على الشيخ من قبل تلميذه:

إذا فعل الشيخ منكراً فللتلميذ أن ينكر عليه ويعامله بموجب علمه، ويبين له مغبة المعصية وعاقبتها الوخيمة، ويخوفه بالله وسطوته وعقوبته، ويبين له أن العالم قد قامت عليه الحجة بخلاف الجاهل، وأن من لم يعمل بعلمه ولم يأتمر بالأوامر وينزجر عن

^(١) «تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» (٣ / ١٩)

^(٢) المؤلف (أبو همام)

النواهي، فقد شابه أهل الكتاب الذين شبههم الله بالحمار الحامل للأسفار في قوله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (سورة الجمعة آية: ٥). وقد غضب الله عليهم، وأن من فسد من علماء هذه الأمة فهو داخل في المغضوب عليهم، فلعل ذلك أنجع في إقلاعه عن دينه، ورجوعه إلى جادة الحق والصواب.

سادسا: كيفية الإنكار على الزوج من قبل زوجته:

إذا فعل الزوج منكراً فإن الزوجة تنكر عليه بالرفق واللين والموعظة الحسنة، وتبين له أنها مطيعة له، ومعترفة بما له عليها من حق، ولكن عليه هو أن يطيع الله ويحترم محارمه، وأنها لن تسكت على فعله المنكر، وأنها مشفقة عليه من العقوبة، وليست عاصية له ولا مؤذية له، وإنما هي مشفقة ناصحة له، فإن أفاد ذلك في إقلاعه عن الذنب ورجوعه عنه، وإلا فتطلب من أقاربه أو أقاربها ممن له تأثير فيه أن ينصحه، حتى يزول المنكر ويحل محله المعروف فيحصل الخير والصلاح.

٧- كيفية الإنكار على السلطان من قبل رعيته:

لا شك أن من أعظم أنواع الأمر بالمعروف كلمة حق عند سلطان جائر، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(١).

وعن طارق بن شهاب رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْعُرْزِ: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(٢)

وإذا ارتكب السلطان منكراً فللرعية معه ثلاث حالات:

الأولى: أن يقدر على نصحه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر من غير أن يحصل منه ضرر أكبر من الأول، ولا منكر أعظم من الأول، ففي هذه الحالة يجب نصحه، وكيفية

^(١) أبو داود: الملاحم (٤٣٤٤).

^(٢) النسائي: البيعة (٤٢٠٩)، وأحمد (٤ / ٣١٥).

النصح يجب أن يكون بالموعظة الحسنة مع اللطف؛ لأن هذا هو مظنة الفائدة، وناصحه وأمره في هذه الحالة مجاهد سالم من الإثم، ولو لم ينفع نصحه.

الثانية: أن لا يقدر على نصحه، لأنه يبطش بمن يأمره، أو لأن نصحه يؤدي إلى حصول منكر أعظم وضرر أكبر، وفي هذه الحالة يكون الإنكار عليه بالقلوب، وكراهية منكروه والسخط عليه، وهذه الحالة هي أضعف الإيمان.

الثالثة: أن يكون راضياً بالمنكر الذي يفعله السلطان ومتابعاً له عليه، وفي هذه الحالة يكون شريكه في الإثم والوزر.

وقد دل الحديث الصحيح على هذه الحالات الثلاث للرعية مع السلطان، وهو حديث أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: لَأَ، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ» (١)

فقوله ﷺ «فمن كره» أي بقلبه، ولم يستطع إنكاراً بيد ولا لسان، فقد برئ من الإثم وأدى وظيفته - وقوله: «ومن أنكر فقد سلم» أي: من أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية. وقوله: «ولكن من رضي وتابع» أي: من رضي بالمعصية وتابع عليها فهو عاص كفاعلها. ولا يجوز الإنكار على السلطان بالخروج عليه ومقاتلته. (٢)

قلت (٣): يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: لا يعرف لطائفة من طوائف المسلمين خرجت على ذي سلطان إلا و كان في خروجها من المفاصد اعظم من المصالح التي حصلتها

وقال أيضاً: ما تواتر عن رسول الله ﷺ في نهيه عن الخروج عن الأئمة الظلمة أصحاب المنكرات مع انه قد يخطر لبال الخارج انه يحصل مصلحة، وزوال المنكر، وظهور السنة

(١) مسلم: الإمارة (١٨٥٤)، والترمذي: الفتن (٢٢٦٥)، وأبو داود: السنة (٤٧٦٠)، وأحمد (٦ / ٢٩٥:٦ / ٣٠٢:٦ / ٣٠٥:٦ / ٣٢١).

(٢) انظر أضواء البيان جـ ٢ ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٣) المؤلف (أبو همام)

،و لكن لما كان الغالب في الخروج إزهاق الأرواح وهتك الأعراض ،وإباحة الأموال ،
نهى رسول الله ﷺ عنه .

كيفية الإنكار بالجهر

نتكلم على الهجر في حدود المباحث التالية:

١- معنى الهجر

٢- تقسيم الهجر وبيان الهجر الشرعي من غيره

٣- الحكمة من الهجر الشرعي

٤- بيان من يشرع معه الهجر من الناس ومن لا يشرع .

٥- بيان نهاية ووقت الهجر للمهجور

٦- بيان هل يفرق بين الأحوال والأشخاص و الازمان في الهجر

٧- بيان هل يجتمع في الشخص الواحد سبب المولاة و سبب المعادة فيكون فيه خير
وشر ،وبر و فجور وطاعة و معصية ،فيحب من وجه و يبغض من وجه وبيان الشخص
الذي يحب من وجه و يبغض من وجه .

أولاً: معنى الهجر والمراد به:

الهجر في اللغة: الترك، ومنها قوله تعالى: **{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}** (سورة المدثر آية: ٥).
والمراد به هنا هجر العاصي ومقاطعته، وترك تكليمه والسلام عليه، وعدم إجابة دعوته
ورد السلام عليه.

٢- تقسيم الهجر وبيان الشرعي من غيره:

والهجر نوعان:

أحدهما: هجر لحق النفس وحظها.

والثاني: هجر لحق الله.

فالأول: غير مشروع ولا مأمور به، بل منهي عنه؛ لأن المؤمنين أخوة

والثاني: هجر لحق الله، وهذا هو الهجر الشرعي المأمور به، فهو طاعة، والطاعة لا بد أن تكون خالصة لله، وأن تكون موافقة لأمره، فتكون خالصة لله صواباً، فمن هجر لهوى نفسه، أو هجر هجرًا غير مأمور به، لم يكن مشروعًا.

والهجر الشرعي نوعان:

أحدهما: المنكرات وهو نوعان:

الأول: هجر الإنسان نفسه عن المنكرات كما قال ﷺ «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»^(١) ومنه قوله تعالى: **{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}** (سورة المدثر آية: ٥) .

الثاني: هجر المقام بين من يفعل المنكرات، فلا يشهد المنكرات

مثل قوم يشربون الخمر، يجلس عندهم، أو دعي إلى وليمة فيها خمر أو زمر، يجب دعوتهم، إلا لحاجة كمن حضر عندهم للإنكار عليهم، أو حضر بغير اختياره، ولهذا يقال: حاضر المنكر كفاعله. وفي الحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسُ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ»^(٢) ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام والإيمان، فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونه من فعل ما أمر الله به.

وهذا النوع في قوله تعالى: **{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}** (سورة الأنعام آية: ٦٨) وقوله تعالى: **{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا**

^(١) البخاري: الإيمان (١٠) ، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩٦) ، وأبو داود: الجهاد (٢٤٨١) ، وأحمد (١٩٣ / ٢) .

^(٢) الترمذي: الأدب (٢٨٠١) ، وأحمد (٣٣٩ / ٣) ، والدارمي: الأشرية (٢٠٩٢) .

سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ} (سورة النساء آية: ١٤٠) .

النوع الثاني من أنواع الهجر الشرعي: هجر من يظهر المنكرات حتى يتوب منها وهذا الهجر على وجه التأديب، فهو بمنزلة التعزير والعقوبة لمن يفعل المنكرات، والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات، فإن المنكرات الظاهرة يجب إنكارها، بخلاف الباطنة، فإن عقوبتها على صاحبها خاصة، ومثال ذلك من السنة: هجر النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين الثلاثة الذين خلفوا، حتى أنزل الله توبتهم، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر، ولم يهجر من أظهر الخير وإن كان منافقاً، ولهذا فرق السلف والأئمة بين الداعية إلى البدعة وغير الداعية، فالداعية لا تقبل شهادته، ولا يصل خلفه، ولا يؤخذ عنه العلم، ولا ينكح؛ لأنه أظهر المنكرات فاستحق العقوبة، بخلاف الكاتم، فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله مع علمه بحال كثير منهم.

٣-الحكمة من الهجر الشرعي:

الهجر شرع لحكمة ومصلحة ورحمة كسائر ما شرعه الله، فإن الله حكيم يفعل لحكمة، ويخلق لحكمة، ويشرع لحكمة، والحكمة من الهجر هي زجر المهجور وتأديبه، ورجوع العامة عن مثل حاله، إذ المقصود به بيان الحق ورحمة الخلق.

٤- بيان من يشرع معه الهجر من الناس ومن لا يشرع:

الهجر يشرع في حق العصاة والمذنبين، أما الكافر فلا يشرع في حقه الهجر، إذ إن عقوبته على كفره أعظم من الهجر، وليس الهجر مشروعاً في حق جميع العصاة والمذنبين من أهل الإسلام، بل يراعي المهاجر المصلحة الراجحة في الهجر أو الترك، فإن الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم، وقتلهم وكثرتهم، فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله، فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر أو خفته كان مشروعاً، وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع

بذلك، بل يزيد الشر، والهاجر ضعيف، بحيث تكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته
لم يشرع الهجر، إلى أن قال :

درجات إنكار المنكر ثلاث وهي:

١- الإنكار باليد.

٢- الإنكار باللسان.

٣- الإنكار بالقلب. فيجب على من رأى منكراً أن ينكره، وأن يغيره بحسب الاستطاعة
والقدرة من هذه الدرجات الثلاث، فيغيره بيده، فإن كان لا يستطيع غيره بلسانه، فإن
كان لا يستطيع أنكره بقلبه، ودليل ذلك قول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري
«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،
وَذَلِكَ أَوْفَى الْإِيمَانِ»^(١)

فالإنكار فرض باليد واللسان والقلب مع القدرة، فأما فرضه باليد واللسان فهو من
فروض الكفايات، إذا قام به طائفة سقط عن الباقي من الناس، وإن تركوه كلهم أثموا،
وأما القلب فلا يسقط عن المنكر بحال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس بمؤمن،
كما قال النبي ﷺ «وَذَلِكَ أَذْنَى أَوْ أَوْفَى الْإِيمَانِ»^(٢) وقال: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ
الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»

وقيل لابن مسعود من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.
وهذا هو المفتون الموصوف في حديث حذيفة بن اليمان بأنه لا «يعرف معروفاً ولا ينكر
منكراً»^(٣).

قال ابن النحاس "وأما الإنكار بالقلب وهو كراهة تلك المعصية وبغضها، فلا يسقط عن
مكلف بوجه من الوجوه، إذ لا عذر يمنعه" اهـ

^(١) مسلم: الإيمان (٤٩)، والترمذي: الفتن (٢١٧٢)، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨)

^(٢) مسلم: الإيمان (٤٩)، والترمذي: الفتن (٢١٧٢)

^(٣) أخرجه مسلم جامع الأصول ج ١٠ ص ١٢١.

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية: فصل: النهي عن المنكر فرض كفاية على من لم يعين عليه، وهو فرض كفاية على من لم يعين عليه، وسواء في ذلك الإمام والحاكم، والعالم والجاهل، والعدل والفاستق - إلى أن قال - وأعلاه باليد ثم باللسان ثم بالقلب، وفي الحديث الصحيح: «لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ».

قال الشيخ تقي الدين - رحمه الله -: مراده أن من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال: " لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ " فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، فكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه، قال: وعلم بذلك أن الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم، مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم اهـ.

وقال ابن القيم "وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما، وتكلم يحيى بن معاذ الرازي يوماً في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقالت له امرأة: هذا واجب قد وضع عنا. فقال: هي أنه قد وضع عنكن سلاح اليد واللسان، فلم يوضع عنكن سلاح القلب. فقالت: صدقت جزاك الله خيراً" اهـ (١).

مرتبتا تغيير المنكر أو طريقا الدعوة إلى الله

للدعوة إلى الله طريقان طريق اللين، وطريق الغلظة والقسوة.

ولتغيير المنكر مرتبتان مرتبة اللين، ومرتبة الشدة.

الطريق الأول: طريق اللين

وهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه، وقد أرشد القرآن الكريم إلى هذه الطريق وأمر بها في قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (سورة النحل آية: ١٢٥). أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم، إلى سبيل ربك المستقيم، المشتمل

(١) انظر أعلام الموقعين لابن القيم ج٢ ص ١٥٧.

على العلم النافع والعمل الصالح بالحكمة، أي: ليكن بالوجه الحسن، برفق ولين وحسن خطاب، فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون -عليهما السلام- حين بعثهما إلى فرعون في قوله: **{فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}** (سورة طه آية: ٤٤). ومن الحكمة مراعاة الأحوال في المدعويين، كل أحد على حسب حاله وفهمه، وقبوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم.

ومن الحكمة البدء بالأهم فالأهم، وبهما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انتقاد بالحكمة وإلا انتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به، وما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطريق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدتها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، بشرط أن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة المرجوة منها، وليكن قصد الداعية هداية الخلق إلى الحق، لا المغالبة ونحوها^(١)

الطريق الثاني: طريق الغلظة والشدّة والقسوة:

إذا لم ينفع اللين واللفظ ولم يجد الوعظ والتذكير والرأي الراشد الحلّيم فانه يصار إلى الغلظة والشدّة بالكلام الخشن أو الضرب أو السيف في جهاد أعداء الله فان لم تنج طرق اللين وتعينت طريق القسوة بالسيف حتى يعبد الله وحده، وتقام حدوده وتمثل الكفار والمنافقون وتجنب نواهيهم، كما في قوله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾** [التوبة: ٧٣]

^(١) انظر أضواء البيان ج ٥ ص ١٧٤ - ١٧٥، وانظر تفسير ابن كثير ج ٥ ص ١٠٢ وتفسير ابن سعد ج ٤ ص ١٢٤ - ١٢٥.

وقال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]

ففي الآية إشارة إلى إعمال السيف بعد إقام الحجة، ولا تسلك هذه الطريق إلا عند الضرورة، حيث لم تثمر طرق اللين ثمرتها، كما قيل: آخر الدواء الكي، و إن لم تنفع الكتب، تعينت الكتائب، و الله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ولا بد لسلوك هذه الطريق في تغيير المنكر، و الدعوة إلى الله من الشروط التالية:

١- القدرة على ذلك فإن كان لا يقدر على الشدة يقط عنه، وسلك طريق اللين.

٢- أن لا يترتب عليه مفسدة كما قال تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

وقد أخذ من الآية أن درأ المفسد مقدم المصالح، وهي مسألة مقررة في الأصول

٣- أن لا يفيد اللين، ولا يجدي شيئاً في حصول المعروف وزوال المنكر.

وقد وجدت هذه الشروط لما نزلت آية الغلظة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]

فإن الآية مدنية وذلك بعد تمكن الرسول ﷺ وأصحابه من الجهاد باليد وظهور الاستمرارية على الكفر من أعدائهم، ولم يجد اللين فيهم شيئاً، ف وقعت الغلظة في مركزها (١)

(١) - القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر (ص ٧٤-٩٧) بتصرف و اختصار في بعض الموطن وزيادة

الفصل الثامن

أسئلة وأجوبة حول الموضوع

السؤال الأول: هل يجوز للداعية أن يأخذ الموافقة من ولاية الأمر أو من الحكومة مثلاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الإجابة: الله المستعان، - مع الأسف - هذا السؤال منبعث من واقعنا المريض نحن المسلمين، فالله تعالى يقول: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ مِّنْكُمْ}** [آل عمران: ١٠٤] ورسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً ...».

فما الذي يربط الدعوة بولي الأمر؟

وما الذي يربط إنكار المنكر بولي الأمر؟!

أما الأمور الظاهرة فهذه يعالجها المختصون، ولكن الأمور الداخلية أو الأمور الفردية أو ما إلى ذلك فالمسلم يدعو إلى الله ممثلاً أمر الله الذي يقول: **{وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ}** ويقول: **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا}** [فصلت: ٣٣]. فليتعامل مع الله ويدعو لولاية الأمور بالدعوات الصالحة وبالهداية لهم، وبأن يعدل الله حالهم، ويصلحها، أو يخلص المسلمين منهم، ويبدلهم بأفضل إن كان فيهم شر.

على كل حال إذا كان هناك تنظيمات ودعوتة تستدعي أن يتصدر في منبر أو أن يتصدر في مؤتمر أو ما إلى ذلك، وهذا الأمر لا يصل إليه إلا عن طريق من يملك هذا الوضع، وله إشراف عليه، فلا بأس، ويكون هذا من باب التنظيم. أما أصل الدعوة فلا إذن فيه؛ الإذن في الشكليات التي يملكونها كما وضحت ذلك.

السؤال الثاني: هل تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة أم أن الواجب الاستمرار؟

الإجابة: لا تبرأ الذمة بإنكار المنكر مرة واحدة، إلا إذا كان منكراً واحداً ولم يتكرر ولم يقع مرة ثانية، فالمطلوب المواصلة في الإنكار فيما تكرر أو جدد أو أصر عليه صاحبه،

وقوله -صلى الله عليه وسلم - : « من رأى منكم منكراً فليغيره ... » الحديث عام يشمل من رآه أول مرة ومن تكررت رؤيته للمنكر.

السؤال الثاني: هل يلزمي لإنكار منكر الأمر بمعروف أن أعرف الدليل وإن كان ذلك المنكر واضحاً عندي؟

الإجابة: على كل حال أنا أشرت إلى هذا فيما ينبغي أن يتحلى به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والداعية إلى الله يجب أن يكون على علم، وكلمة (على علم) تعني: أن عنده من الله فيه برهان.

فتكون على علم بما تنكره وتكون عارفاً لدين الله وعارفاً للدليل؛ بحيث لو نوقشت يكون عندك في هذا برهان؛ أما أن تقول: هذا منكر، وتسكت، دون معرفة للدليل، ثم إذا سئلت عن الدليل قلت: أما ما أدري سمعت فلاناً يقول: أنه منكر فأنكرت. وقد يناقشك فاعل المنكر وينقدك، خاصة إذا كان صاحب حجة ويبين لك أنه معروف. فالعلم لابد منه والدليل أيضاً في مثل هذه الأمور التي يواجه بها الناس أرى أنه من الضروري معرفتها.

السؤال الرابع: هل يجوز المداراة في أمور المعتقد بقصد جمع كلمة المسلمين مع اختلاف عقائدهم؟

الإجابة: لا يجوز ذلك. واسمع قول الله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة: ٤]. وقوله تعالى: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: ١٢٣].

هل يلزم من إنكار المنكر مظنة الاستجابة

بعض الناس يطرح سؤالاً مضمونه: هل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مشروع على مستوى المراتب التي سبق ذكرها؟

وهل يلزم من إنكار المنكر أن يغلب على ظنك الاستجابة أو لم يغلب؟

نقول: لا؛ لأن الاستجابة أمر لله وليس لك، إن عليك إلا البلاغ، كما قال تعالى لنبهه - ﷺ عليك الأمر، عليك النهي، عليك هداية الدلالة التي أمر الله رسوله ﷺ بها في قوله تعالى: **{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [الشورى: ٥٢].

فلا يلزم ألا تأمر فلاناً بمعروف ولا تنهيه عن منكر إلا إذا غلب على ظنك أنه يستجيب. وهذا حجر عشرة في الدعوة إلى الله، وحجر عشرة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فأنت عليك العمل، وعليك هداية الدلالة، وعليك البلاغ، كما قال - تعالى - لنبهه، عليه الصلاة والسلام.

أما كون المأمور أو المنهي يقبل أو لا يقبل فهذه من الأمور المنفية عنك وعن من هو أفضل منك! يقول - تعالى - لنبهه، عليه الصلاة والسلام: **{إِنَّكَ لَأَتَّهِدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}** [القصص: ٥٦].

ولا ينبغي القول بمظنة الاستجابة؛ لأنه يعطل الدعوة إلى الله، ويعطل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ولكن لو قام اثنان بمنكرين وأحدهما يغلب على الظن استجابته، والآخر بضد ذلك ولا طاقة لك إلا بالإنكار على أحدهما فبداءتك بمن تُظنُّ استجابته أولى وأخرى، وكذا لو كان بك طاقة على الإنكار عليهما. فابتداءؤك بمن تظن استجابته خير وأجمل، لتقليل فاعلي المنكر، وإضعاف المنكر قبل الإنكار على من قد يشتد في البقاء على منكروه.^(١)

(١) المصدر السابق (٣٢-٣٣)

قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}** (سورة المائدة آية: ١٠٥) عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن هذا الواجب يسقط إذا أدى الإنسان الواجبات التي عليه لظاهر قوله **{إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}** .

وهذا الوهم باطل مردود لما يأتي:

١- أن من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يهتد، ومن قال بهذا حذيفة وسعيد بن المسيب كما نقله الألوسي عنهما في تفسيره وابن جرير ونقله القرطبي عن سعيد بن المسيب

٢- أن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده فلم يقبل منه المأمور، فمن العلماء من قال: **{إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}** أي أمرتم فلم يسمع منكم، ومنهم من قال: يدخل الأمر بالمعروف في المراد بالاهتداء في الآية، وهو ظاهر جداً، ولا ينبغي العدول عنه لمنصف.

٣- أن الله تعالى أقسم أن الإنسان في خسر إلا من استثناه في قوله تعالى: **{وَالْعَصْرِ}** **{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}** **{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ}** (سورة العصر آية: ١-٣) فالحق وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فدل ذلك على أن من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر لم يتوَّص بالحق ولم يؤدِّ الواجب، فهو غير مهتدٍ، فيضره ضلال من ضلَّ؛ لأنه غير مهتد.

٤- أن النصوص دلت على أن الناس تعمهم العقوبة والعذاب إذا لم يأمر بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر كقوله تعالى: **{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}** (سورة الأنفال آية: ٢٥) وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُعَيِّرُوهُ أَوْ شَكَّ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»^(١)

^(١) الترمذي: الفتن (٢١٦٨) ، وأبو داود: الملاحم (٤٣٣٨) ، وابن ماجه: الفتن (٤٠٠٥) ، وأحمد (١ / ٧) .

٥- أن صديق هذه الأمة أبا بكر رضي الله عنه دفع هذا الوهم حينما قرأ هذه الآية وأوضح معناها، وبيّن أنها لا تدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} (سورة المائدة آية: ١٠٥). وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»^(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة.

وفي رواية لأبي داود سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُغَيِّرُوا إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^(٢).

وعند النسائي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الْقَوْمَ إِذَا رَأَوْا الْمُتَكَرَّرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ»^{(٣)(٤)}.

قال ابن النحاس: ولا نعلم أحداً من العلماء ذهب إلى أن معنى {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} (سورة المائدة آية: ١٠٥). أنه لا يلزمكم أن تأمروا بمعروف ولا تنهوا عن منكر؛ لأن ضلال غيركم لا يضركم، معاذ الله أن يذهب إلى هذا أحد غير الجهلة العوام الهمج الرعاع أتباع كل ناعق، إذا أمرت أحدهم بمعروف أو نهيته عن منكر قال: قال الله تعالى: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} (سورة المائدة آية: ١٠٥). فيتأول الآية على غير تأويلها كما قال سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ويردّف إثم المعصية بإثم تفسير القرآن برأيه وهو من الكبائر كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وما علم المسكين أن شؤم العاصي وعقوبته في الدنيا والآخرة، تعم المداهن الذي لم ينكر المنكر قطعاً. اهـ.^(٥)

^(١) أبو داود: الملاحم (٤٣٣٨)، وأحمد (١ / ١).

^(٢) أبو داود: الملاحم (٤٣٣٨)، وأحمد (٩ / ١).

^(٣) الترمذي: الفتن (٢١٦٨)، وأبو داود: الملاحم (٤٣٣٨)، وابن ماجه: الفتن (٤٠٠٥)، وأحمد (٧ / ١).

^(٤) انظر أضواء البيان جـ ٢ ص ١٦٩ - ١٧٠، وانظر تنبيه الغافلين ص ٨١.

^(٥) "تنبيه الغافلين ص ٨٢".

وبهذا تتبين الدلالة الواضحة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في قوله تعالى **{إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}** ويؤيده كثرة الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما سبق ذكر طرف منها.

وهم آخر ورده

قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة: **{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}** (سورة البقرة آية: ١٩٥). أن من جهر بكلمة الحق وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر عند سلطان جائر أو أمير مسلط، فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، وأن هذه الآية الكريمة تشملها.

وهذا الوهم باطل مردود لما يأتي:

١- أن من جهر بكلمة الحق عند السلطان والأمير الجائر فإنه من أفضل المجاهدين كما في حديث أبي سعيد الخدري: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ»^(١) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن فكيف يكون ملقيًا بنفسه إلى التهلكة وهو من أفضل المجاهدين؟!

٢- إن هذه الآية جارية على السنة كثير من الناس في مثل هذا؛ لما غلب عليهم من الجهل بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولما استولى على قلوبهم من الركون إلى مداينة الخلق، وإيثار مودتهم وبقاء صحبتهم، وثقل كلمة الحق على ألسنتهم، وما يلقيه الشيطان في قلوبهم من الخوف والجبن، واعتقاد أن السكوت عن المنكر واجب، وما علموا أن التهلكة هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن النجاة إنما تكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تدل على ذلك النصوص الكثيرة.

٣- أن أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه دفع الوهم حينما أولها بعض الناس بالمجاهد الذي يحمل على صفوف الكفار، فبين أبو أيوب الأنصاري سبب نزولها، وأنه ترك الغزو وإصلاح الأموال.

^(١) أبو داود: الملاحم (٤٣٤)، وأحمد (٣ / ٦١) .

فخرّج الترمذي وصححه عن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صنعاً عظيماً من الروم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! يلقي بيده إلى التهلكة؟! فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: أيها الناس إنكم لتأولون هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله تعالى قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو قمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلنا: **{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}** (سورة البقرة آية: ١٩٥). وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب رضي الله عنه شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم^(١).^(٢)

^(١) انظر تنبيه الغافلين لابن النحاس ص ٥٩ - ٦٠.

^(٢) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله و الأمر بالمعروف و النهي المنكر (٣٩-٣٥)

المراجع

- ١- تفسير ابن كثير
- ٢- تفسير القرطبي
- ٣- الكشف / للزمخشري
- ٤- محاسن التأويل / للقاسمي
- ٥- تيسير الكرم المنان / للسعدي
- ٦- ظلال القرآن / سيد قطب
- ٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري / لابن حجر
- ٨- صحيح مسلم بشرح النووي
- ٩- مسند الإمام أحمد
- ١٠- سنن أبي داود
- ١١- سنن ابن ماجه
- ١٢- موطأ الإمام مالك
- ١٣- صحيح الجامع / للألباني
- ١٤- شرح السنة / للبخاري
- ١٥- الفتاوى الكبرى / لابن تيمية
- ١٦- مجموع الفتاوى / لابن تيمية
- ١٧- صحيح الترغيب والترهيب للألباني

- ١٨- زاد المعاد / لابن القيم الجوزية
- ١٩- إعلام الموقعين / لابن القيم
- ٢٠- طريق الهجرتين / لابن القيم
- ٢١- الداء والدواء / لابن القيم
- ٢٢- إغاثة اللهفان / لابن القيم
- ٢٣- الروح / لابن القيم
- ٢٤- البداية والنهاية / لابن كثير
- ٢٥- التبصرة / لابن الجوزي
- ٢٦- صيد الخاطر / لابن الجوزي
- ٢٧- صفة الصفوة / لابن الجوزي
- ٢٨- بحر الدموع / لابن الجوزي
- ٢٩- لطائف المعارف / لابن رجب
- ٣٠- التخويف من النار / لابن رجب
- ٣١- رسالة في الخشوع في الصلاة / لابن رجب
- ٣٢- أدب الدنيا و الدين / لأبي الحسن على بن محمد الماوردي
- ٣٣- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي
- ٣٤- الحلال والحرام / لأبي حامد الغزالي
- ٣٥- المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح / للدمياطي
- ٣٦- الزه لابن المبارك

- ٣٧-الكبائر / للذهبي
- ٣٨-العزلة / للخطابي
- ٣٩-حلية الأولياء / لأبي نعيم
- ٤٠-التذكرة / للقرطبي
- ٤١-الرسالة / للإمام الشافعي
- ٤٢-الرسالة / للقشيري
- ٤٣-الشفاء بتعريف حقوق المصطفى / القاضي عياض
- ٤٤-نصب الراية / للزيلعي
- ٤٥-حياة الصحابة / للكاندهلوي
- ٤٦-الضيء اللامع / لابن عثيمين
- ٤٧-رسالة في الدعوة / لابن عثيمين
- ٤٨-الحسبة ودورها الفرد فيها / عبد الله مبروك النجار
- ٤٩-أصول الدعوة / عبد الكريم زيدان
- ٥٠-الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة / محمد رجب الشتيوي
- ٥١-الدعوة قواعد وأصول / جمعة أمين عبد العزيز
- ٥٢-هداية المرشدين / الشيخ علي محفوظ
- ٥٣-تذكرة الدعاة / البهي الخولي
- ٥٤-حتى لا تغرق السفينة/ سليمان فهد العودة
- ٥٥-من أخلاق الداعية/ سليمان فهد العودة

- ٥٦-الجهاد ميادينه و أساليبه/ محمد نعيم ياسين
- ٥٧-الأخلاق في الإسلام يعقوب المليجي
- ٥٨-القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عبد العزيز عبد الله الراجحي
- ٥٩-اثر الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر / عبد الله بن حسن آل قعود
- ٦٠-هل طرقت الباب محمد العريفي
- ٦١-الدرة المرضية شرح منظومة القواعد الفقهية / جمعة صالح محمد
- ٦٢-السنة النبوية الشريفة / أحمد كريمة
- ٦٣-الجزاء من جنس العمل / سيد حسين العفاني
- ٦٤-سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب / محمد بن عبد الله با موسى
- ٦٥-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
- ٦٦-شأن الكلمة في الإسلام / محمد سعيد رسلان
- ٦٧-محرمات استهان الناس بها / لمحمد المنجد
- ٦٨-السلوك الاجتماعي / حسن أيوب
- ٦٩-أربعين خطأ للسان / وحيد عبد السلام بالي
- ٧٠-العذر بالجهل / الشريف محمد فؤاد هزاع
- ٧١-الحلال والحرام / يوسف القرضاوي
- ٧٢-الصلاة لماذا/ محمد بن إسماعيل المقدم
- ٧٣-فتاوى اللجنة الدائمة

٧٤- الويل لك يا تارك الصلاة / محمد عبد الملك الزغبى .

٧٥- الحسبة في الإسلام / لابن تيمية

٧٦- مدارج السالكين / لابن القيم

الفهرس

- المقدمة ٥
- الباب الأول :اللامبالاة بترك السنة..... ٨**
- مظاهر اللامبالاة بترك السنة ٩
- أدلة حجة السنة ١٠
- علماء الأمة يردون على منكري السنة ١٧
- القسم الثاني (أ) قسم اقر بها و لكنه تهاون بشأنها..... ٢٨
- بيان فوائد السنن والنوافل ٣٢
- (ب) القسم أقر بها ولكنه تكبر وتهاون بشأنها ٣٨
- الباب الثاني اللامبالاة بالكلمة..... ٤٦**
- اللامبالاة بالكلمة وأثرها ٤٧
- خطورة اللامبالاة بالكلمة ٥١
- خوف السلف من اللامبالاة بالكلمة ٥٤
- صور من اللامبالاة بالكلمة ٥٧
- أولا - في مجال الاعتقاد ٥٧**
- ١-سب الدين ٥٧
- ٢-سب الدهر ٥٩

٦٢..... ٣- اللامبالاة بكلمة (لو)

٦٤..... ٤- قول (ما شاء الله وشئت)

٦٦..... ٥- الحلف بغير الله

٦٩..... **ثانيا من صور اللامبالاة بالكلمة**

٦٩..... (أ) اللعن

٧١..... (ب) النكته

٧٢..... (ج) الكذب في الرؤيا

٧٣..... (د) الكذب على رسول الله ﷺ

٧٥..... (هـ) الانشغال بعيوب الناس

٧٨..... (و) كثرة الكلام في غير حق

٧٩..... (ز) الغيبة

٨٣..... (ح) النميمة

٨٦..... (ط) الاستهزاء والسخرية

٩٢..... (ي) الكلام فيما لا يعني

٩٦..... (ك) المراء والجدال

٩٧..... (ت) إفشاء الأسرار

٩٩..... (م) إفشاء الأسرار الزوجية

١٠١..... **الباب الثالث: اللامبالاة بالذنوب والمعاصي**

١٠٢..... اللامبالاة بالذنوب والمعاصي

خطورة اللامبالاة بالذنوب والمعاصي ١٠٣

الباب الرابع: اللامبالاة بالصلاة ١٢٢

الفصل الأول: اللامبالاة بترك الصلاة ١٢٤

الفصل الثاني: اللامبالاة بتأخير الصلاة عن وقتها ١٣٥

الفصل الثالث: اللامبالاة بصلاة الجماعة ١٤٠

الفصل الرابع: اللامبالاة بأحكام الصلاة ١٤٨

الطريق إلى الخشوع ١٦٥

الباب الخامس: اللامبالاة بالموعظة ١٧٩

اللامبالاة بالموعظة ١٨٠

الموعظة وأنواعها ١٨٢

الموعظة بالمسموع ١٨٢

الموعظة بالمشهود ١٨٨

الباب السادس: اللامبالاة بأكل الحرام ٢٠٢

المبحث الأول - المال في القران والسنة ٢٠٤

المبحث الثاني آثار اكل الحرام ٢٠٨

قاعدة عانة في الكسب ٢١٢

المبحث الثالث صور من اللامبالاة في طلب الرزق ٢١٥

الصورة الأولى: التعامل بالربا ٢٢٠

الصورة الثانية الغش ٢٢٦

٢٣١.....	الصورة الثالثة الرشوة
٢٣٧.....	الصورة الرابعة العمل في الوظائف المحرمة
٢٣٨.....	الصورة الخامسة القمار والميسر
٢٤٠.....	الصورة السادسة: استيفاء العمل من الأجير وعدم إيفائه حقه
٢٤١.....	الصورة السابعة استيفاء الأجر وعدم إتقان العمل
٢٤٣.....	الصورة الثامنة سؤال الناس من غير حاجة
٢٤٤.....	الباب السابع: اللامبالاة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٤٥.....	الفصل الأول: اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٤٧.....	الفصل الثاني - خطورة اللامبالاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٥٥.....	الفصل الثالث - ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٦١.....	الفصل الرابع - فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٦٤.....	الفصل الخامس - صور مشرقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٧٤.....	الفصل السادس: آداب وقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٨٦.....	الفصل السابع - كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٩٩.....	الفصل الثامن - أسئلة وأجوبة حول الموضوع
٣٠٦.....	المراجع
٣١١.....	الفهرس